دفاع عن القرآن الكريم

أصالة الإعراب ودلالته على المعانى في القرآن الكريم واللغة العربية

الركتور

محمل حسن حسن جبل أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر (العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة)

حقوق الطبع محفوظة رقم الإيداع ٣١١٥ / ٢٠٠٠

البربرا للطباعة الحديثة بسيون غربية ت: ٢٧٤٢٣٧٥



\ \

		1			1 17			
						-		
			•					
		4						-9.
							ri e	
		. (1)						
							5.4	131.5
								140
								•
				112				
		1			i -			
								·
							1	
							4	
								- 1
				Y				
							- 1 A	
		210			*			
								4
						-	•	
		1						
					1			
								11.6
			•					
								*
		**			*			4
				4.0				
				4				
					4 4			
			- 4					
						*		144
			1					
				100				
		The state of the s						
						30		
		90		*				
				- 17		0.70		
								e
								4
						1		
		å.			-			
				0				
							3	
					4			
			100					
				46				
	100							45
			11				¥	1
						* 1		
								1 TY
								•
							19	
		1						
								4.4

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة الله وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد . فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب (دفاع عن القرآن الكريم : أصالة الإعراب ودلالته على المعانى في القرآن الكريم واللغة العربية) .

وهي طبعة نُقُحَت وزيدت في مُواضع كثيرة .

أسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل قبولا حسنا . وأن يُلقِى القبول الحسن على ما فيه من صواب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . اللهم آمين .

طنطا في ٢٣ من شعبان سنة ١٤٢٠هـ . ١ من ديسمبر سنة ١٩٩٩م

أ. د. محمد حسن حسن جبل
 أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
 والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة

					4.		
			*	140		4	
						+	
2							
			À				
					E 179		
			14				
				: 44. 4 E			
					2		
· ·			r				
•							
		*					
		, (E)		4			
					4	3	
		To the second se					
		₹		v			
						- 171	
0							
		ū,		4			
		50		-1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -1 -	1		
		•					
				-2-			
			•	9			
			•				
							1.0
	F			4			
				9.0		ur.	
	* "					w.	
		· ·				W.	
						×	
		÷	347		90	W	
	*	*	**		*** **	- No.	
		÷			#* -}	*	
	*	*	347				
	*			* 6 171			
	*	*					

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة الله وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان .

وبعيد ...

فإن الهجوم على القوام الثقافي للإسلام والمسلمين في العالم يشغل جبهات كثيرة . من أخطرها ما يتخذ العربية – لغة هذا الدين – هدفًا له ، فيوجّه الطعن اليها ، مدركا أن زعزعة أيّ من ثوابت اللغة العربية : أصالة الفاظها أو معانيها، أو خصائصها = يُخِل بأساس الاحتجاج بنصوص مصادر التشريع الإسلامي : القرآن ، والسنة ، والآثار الشارحة لهما ؛ وبسند الاستنباط منها ، ويجعل العربية نفسها في متناول ذوى الأهواء .

وإذا كانت بعض تلك الهجمات اللغوية تبدو كأنها تنصب على الجانب التاريخي أو الفني فحسب - كالطعن في أصالة العربية وتاريخها بادعاء أنها فرع من شجرة اللغات الهندية الأوربية - كما زعم لويس عوض ، أو في أصالة أهم روافدها القديمة : الشعر الجاهلي - كما زعم بعض المستشرقين وردد بعض العرب زعمهم ، أو في قدرتها على التعبير عن العصر ، وكالقول برمزية ألفاظها بالنسبة لمعانيها - لا تعبيرها عنها - كما يشيع الآن تقليدًا لقول الغربيين عن لغاتهم ، وكجحد أصالة إعرابها ودلالته على المعاني التركيبية فيها - كما سنري وندرس بعد قليل ... إذا كان بعض الهجمات فعل ذلك فإن بعضا آخر اختصر الطريق إلى الهدف ووجه قذائفه إلى القرآن الكريم مباشرة وصراحة - كما سنري .

وموضوع هذا الكتاب الدى نقدم له هو مواجهة دعوى من هذا النوع الأخير ...

الدعوى هي عدم أصالة الإعراب() في القرآن الكريم: بمعنى أن الإعراب أمر مستحدث لم يكن موجودا في اللغة العربية حتى القرن السابع الميلادي (الموافق للقرن الأول الهجري الذي نزل فيه القرآن الكريم). شم اخترعه العلماء في القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري)، وقد صرح بعض أصحاب الدعوى بأن القرآن نفسه كان في أول أمره غير معرب أيضا، ثم لما (اخترع) النحاة الإعراب حَذَوا لغة القرآن عليه – أي طبقوا الإعراب في النص القرآني.

وزعمهم هذا يعنى أن النص القرآني تعرض للتدخل البشرى في صياغته . وهذا عبث – وباب لكل عبث – بمقدسات الإسلام .

إن هذا الزعم وما يبنى عليه هو فى الحقيقة تعبير عن عقيدة الذين ينكرون أن القرآن كلامُ الله ويدّعون أنه كلام بشر ، يتسللون إلى دعم عقيدتهم تلك بهذا المدخل ليَخْتِلُوا محدودى الثقافة الإسلامية ويتصيدوهم . وقد زعموا هذا الزعم نفسه بالنسبة للنتاج اللغوى العربى السابق للقرن الثانى الهجرى ، فادّعوا أن النحاة كروًا عليه بالضبط الإعرابي بعد أن كان غير مُعْرب .

وهناك فرع مهم لجحد أصالة الإعراب في اللغة العربية هو جحدُ دلالة الإعراب على المعانى في اللغة العربية ، وفي القرآن الكريم أيضا .

⁽۱) الإعراب هو الإبانة عن المعنى التركيبي للكلام بعلامات صوتية تلحق أواخر الكلم . فإذًا قلنا رفع الرجل العِلْم فإن وضع الضمة على آخر لفظ "العِلْم" والفتحة على آخر لفظ "الرجل" يتحصل منه أن العلم هو الذي رفع قدر الرجل ، في حين أن ضم لام " الرجل " وفتح ميم " العلم" يتحصل منه أن "الرجل" هو الذي رفع قدر "العِلْم". وهكذا. وانظر الفصل السادس من الباب الثاني، والبابين الثالث والرابع، والفصل الأول من الخامس في هذا الكتاب .

وهناك فروع أخرى ولدتها دعوى عدم أصالة الإعراب في اللغة العربية . ستتضح بعد .

ومواجهة هذا الكتاب للدعوى المذكورة وفروعها هى مواجهة علمية (بالحقائق التاريخية)، وفنية (أى تطبيقية) بالدرجة الأولى، فليس فيها من الحجاج الجدلى إلا القدر الضرورى والقريب الذى يمهد للمواجهة العلمية التطبيقية.

وهذا المنهج العلمى التطبيقى هو الذى نؤمن أنه يؤدى إلى كشف الحقائق والإقناع بها من أقرب طريق . نعنى إقناع من يحترم الحقائق العلمية ، ولديه استعداد للاقتناع بها . أما الذين استعبدهم التعصب فليسوا من هَمَنا ، لأن سُبُل وصول الحقائق العلمية إلى قلوبهم تَزْحَمها عقباتٌ نَسفُها من حق أنفسهم عليهم .

وقد قُسم الكتاب قسمين:

فى الأول عرضنا الادعاءات الجاحدة لأصالة الإعراب فى العربية وفى القرآن الكريم، ولجدوى الإعراب فى إفادة المعانى فيهما. وكذلك الادعاء الجاحد لأصالة الشعر الجاهلى وجودًا أو صياغة - من حيث إن الشعر الجاهلى هو أهم مواد النتاج اللغوى الجاهلى التى استُنبِطت منها ومن القرآن الكريم قواعد النحو (التى هى قواعد الإعراب). وقد عرضنا الادعاءات معزوة لأصحابها، ومصحوبة بأدلتهم التى أقاموا عليها تلك الادعاءات.

أما القسم الثانى فخصصناه للرد على تلك الادعاءات بمناقشتها نظريا أو لا ، ثم بإثبات أصالة دلالة الإعراب على المعانى فى العربية وفى القرآن الكريم وذلك مع الحرص على مواجهة كل الدعاوى الفرعية والمسائل المانبية مواجهة علمية . فخرج هذا القسم فى خمسة أبواب فيها عشرون فصلا - (تفصيلها فى ثبت المحتويات) تضاف إليها خاتمة بأهم الاستخلاصات .

إيضاح: هذه أول نشرة لهذا الكتاب ، وقد سبقتها طبعة خاصة هُذَّبت ووسِّعت كثيراً بهذه النشرة .

أسأل الله العلى القدير أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يُلقى القبول الحسن على ما فيه من صواب ، ويقيض لما فيه من خطأ من يقومه . وهو سبحانه ولى التوفيق .

طنطا فی ۷ من شوال ۱٤۱۸ هـ ٤ من فبرایر ۱۹۹۸ م

in the section

and the second of the second o

the control of the co

القسم الأول الادعاءات وأدلتها



أولا: الادعاءات

ومعنى هذا الإدعاء أن القرآن الكريم كان يُنْطَق خاليًا من الضبط الإعرابي، وأن الشعر العربي الذي ثبت يقينًا أنه كان متداولاً في ذلك القرن كان يُنْطَقُ غير مُعْرَب كذلك. سواء من ذلك الشعر ما كان مرويا عن شعراء العصر الجاهلي، وما كان نتاج شُعراء ذلك القرن السابع الميلادي نفسه. ويَنْطَبِقُ هذا على ماكان متداولاً من النثر والأحاديث في ذلك القرن من باب أولى.

ب - وهذا الذي يُستخلص من ادعاء خلو عربية القرن السابع الميلادي من الإعراب = (وهو خلو القرآن الكريم نفسه من الإعراب) صرح به بعض

⁽۱) يؤخذ من كتابات اللغويين العرب المتتبعين لجهود المستشرقين بلغاتهم أن ممن ادعى هذا الادعاء كارل فوللرز ،وفتسشتاين (د. رمضان عبد التواب- فصول فى فقه العربية ٣٧٧ - ١٤٧٨ ، ٣٧٨) وفيشر وشبيتالر ، وهانزفير ، وف . ديم (د. عبد الفتاح البركاوى - مقال فى حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ع٢ سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ص ٣٣٥ - ٣٥٥) .

⁽۱) ولد النبي في ما يوافق سنة ۷۱ م، وبُعتُ في مايوافق سنة ۲۱ م وهاجر في مايوافق سنة ۲۱۱ م وهاجر في مايوافق ۲۲۲ م وهذه السنة الأخيرة توافق بدء التاريخ الهجرى . فالقرن السابع الميلادي يسبق القرن الأول الهجرى بنحو ۲۰ سنة أي أنه يطابقه في نحو ۸۰ سنة . ومن هنا فالقرنان السابع الميلادي والأول الهجري متوازيان تقريبا ، ويمكن أن نعدهما متوافقين . وقد استمر التوازي والتوافق إلى الآن . فالقرن الرابع عشر الهجري الذي انتهى منذ ثماني عشرة سنة وافق القرن العشرين الذي سينتهي بعد تبلات سنوات . وسر تحرك التوازي بحيث صار القرن الهجري هو السابق أن السنة الهجرية قمرية أيامُها تقل عن السنة الميلادية (الشمسية) أحد عشر يوما . فدورة السنة الهجرية أسرع .

المستشرقين ، فذكروا أن القرآن الكريم كان في أول الأمر خاليا من الضبط الإعرابي ، وأنه كُتِب باللهجة الشعبية (أي غير المعربة) التي كانت سائدة في مكة أو في الحجاز (١).

ج - وقد أكملوا تلك الادعاءات بادعاء آخر هو أن القواعد الإعرابية التى تم كشفها - وهم يقولون (اختراعها) - في القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادي)، قد طُبقت - بعد (اختراعها) على نص القرآن الكريم، وقد عللوا ذلك التطبيق المتأخر (حسب زعمهم) بأن العرب والمسلمين الأول كانوا يعدون اللغة العربية البدوية نموذجا للنطق الصحيح، فلم يستسيغوا أن تُرتَّل كلمةُ الله بلغة أقل من مستوى اللغة النموذجية (٢).

د – والادعاء السابق يحمل في طياته ادعاءً آخر هو أن نص القرآن الكريم أُدخلت عليه تعديلات في القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادي) أو مابعده في صورة تطبيق العلامات الإعرابية عليه – حيث قيل إن العلماء في العواصم الإسلامية: الكوفة والبصرة والمدينة ومكة – نشطوا لجمع الشعر من البوادي المجاورة ودراسته، "ثم اتُخِذت المادة التي جُمعت بهذه الطريقة أساسا للعربية النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثم حُذيت لغة القرآن على نمطها "(٢)

⁽۱) ممن صرح بذلك الادعاء كارل فوللرز ، وباول كاله (دراسات في فقه اللغة - محمد الأنطاكي ٢٤٩ ، فصول في فقه العربية د. رمضان ٣٧٧ - ٣٧٨) وطبيعي أن يُنسب ذلك الرأي أيضا إلى كل من أنكر وجود الإعراب في العربية في عصر نزول القرآن .

⁽۲) نسب ذلك صراحة إلى فوللرز ، وكاله - ينظر المرجعان السابقان . ومن حقنا أن نلحظ اعترافهم الضمني بأن الإعراب كان متحققا في العربية البدوية النموذجية .

⁽٦) هذا كلام باول كاله ينظر فصول فى فقه العربية ٣٧٨ . وهنا أيضا من حقنا أن نلحظ اعترافهم بأن شعر البوادى العربية كان هو المعين الذى استقى منه العلماء قواعد العربية النموذجية أى أنه كان معربا .

والعجب أن باول كاله - صاحب هذا الكلام - يضيف قائلا "ومع ذلك لم تغير كتابة المصحف ، بل ابندعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص لضمان صحة القراءة "(۱) ولولا أن باول كاله هذا يصرح بأن "العربية النموذجية " ابتدعها النحويون ، ثم يصرح بأن لغة القرآن "حذيت " على نمط العربية النموذجية - التي (ابتدعت) بعد نزول القرآن ببضعة عشر عقدا من السنين - حسب ما يستخلص من قوله هذا ، ولولا التعبير بعبارة (حذيت) وهي عبارة قد تعنى "إعادة الصياغة " - لولا ذلك كله لقلنا إن باول كاله إنما يتكلم هنا عن وضع رموز الحركات على كلمات المصحف على يد أبى الأسود (ت ٦٩هـ) أولا - وهي عملية قصد بها تعريف الأعاجم وأشباههم - بواسطة تلك الرموز المكتوبة - بهيئة نطق القرآن الكريم نطقا صحيحا حسب الأداء الفصيح للعربية ، وهو الأداء الذي كان معروفا وملتزما منذ العصر الجاهلي ، ووصَلنا بما فيه من التزام الإعراب في صورة الشعر الجاهلي والخطب والحكم والأمثال الجاهلية .

۲ – هناك من أولئك المستشرقين من صرح بأن لغة الشعر – المتمثلة فى الشعر الجاهلى = مصنوعة أى مزورة (۲) بمعنى أن الشعر – الجاهلى لم يكن على هذا الاتزان الذى عرفناه به ، ولم يكن مقيدا بالضبط الإعرابى على ما عرفناه به ، بل إن الادعاء يسمح بأن ألفاظه وعباراته تعرضت للتغيير . والذى يهمنا الآن هو ما يخص الضبط الإعرابى ، ذلك أن الضبط الإعرابى الذى كان ملتزما فى الشعر الجاهلى كما وصل إلينا ، وكان ذا أثر بالغ فى وزن ذلك الشعر وقوافيه = كان (ذلك الضبط) أحد الروافد الأساسية للقواعد الإعرابية التى

⁽۱) نفسه ۲۷۸ – ۳۲۹ .

⁽٢) من هؤ لاء فوللرز ، وفتسشتاين (فصول في فقه العربية ٣٧٧ - ٣٧٨ . ٣٨١ .

وضعها النحاة بدءا من أبى الأسود (٦٩هـ) حتى سيبويه (١٨٠هـ) ، إذ كانوا يستنبطون تلك القواعد من استقراء الضوابط الإعرابية الملتزمة فى الشعر وفى القرآن الكريم ، وفى كلام العرب .

فالقائلون بأن لغة شعر الجاهلية مصنوعة يرمون بادعائهم هذا إلى إهدار أهم مصادر الضوابط الإعرابية ، ليقال بعد ذلك إن هذه الضوابط (الأداء المعرب وقواعده) = مختلّقة أو مُقتبسة من لغة أخرى ، أو ما إلى ذلك .

 7 – ومن الطبيعى كذلك أن يدعى بعضهم أن الضوابط الإعرابية التى يطالبُ المتحدث بالعربية الفصحى بالالتزام بها = هى عديمة الجدوى – أى لا دلالة لها فى الكلام $^{(1)}$ وهذا الادعاء ينسجم مع الادعاء بأن الضوابط ليس لها أصل فى اللغة العربية ، وإنما اخترعها النحاة اختراعا – على مامر بنا الآن ، بل إن الادعاء الأخير قد يتخذه أصحاب الادعاء الأول بفروعه دريئة يغرون بها المتعجلين .

٤ - أهم لغوى عربى فى العصر الحديث اتخذ موقفا مماثلا لموقف أولئك المستشرقين - من حيث جحد أصالة الإعراب ودلالة ضوابطه على المعانى - هو الدكتور إبراهيم أنيس (ت١٩٧٨م) . فقد كتب فى المسألتين تسعا وسبعين صفحة حشدها بالاجتهادات التى تفتقر إلى الأساس العلمى(٢) . ثم انتهى إلى

⁽١) قال بهذا فتسشتاين . ينظر فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ٣٨١ .

⁽۲) الصفحات المذكورة هي في كتابه " من أسرار اللغة " ط. ۷ ص ۱۹۸ – ۲۷۶ . وفي كتابه " في اللهجات العربية " ص ۸۶ – ۸۵ . ومما في الأول :

أ - القول بعدم دلالة الحركات الإعرابية على المعانى (ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٣٩، ٢٣٥، القول بعدم دلالة الحركات الإعرابية على وقد سبقه فتسشتاين به (كما في رقم ٣ من الادعاءات حسب ماذكرناها هنا).

ماقاله قطرب (تلميذ لسيبويه ت٢٠٧هـ) من أن حركات أواخر الكلم فى الشعر (الجاهلي وغيره) إنما هي حركات للتخلص من التقاء الساكنين (١)، لأن (اللفظ)

جـ- لتهوين من قيمة الميزة التي يتيحها وجود الإعراب في العربية وهي إمكانية تحريك عناصر الجملة (كلماتها) تقديما أو تأخيرا (ص ٢٤٣ وما بعدها) . وذلك لتهيئة المجال للقول بعدم أصالة الإعراب في العربية ، وعدم جدواه فيها .

(١) نص ما قاله قطرب حسب ماجاء في الإيضاح للزجاجي ص ٧٠-٧١ " لم يُعْرِب الكلام للدلالة على المعانى ، والفرق بين بعضها وبعض ، لأنا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الاعراب مختلفة المعاني وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني . فمما اتفق إعرابه واختلف معناه قولك إن زيدا أخوك ولعل زيدا أخوك وكأن زيدا أخوك . اتفق إعرابه واختلف معناه . ومما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك ما زيد قائما ، وما زيد قائم ، اختلف إعرابه واتفق معناه . ومثله : ما رأيته منذ يومين ، ومنذ يومان ، ولا مال عندك ولا مالَّ عندك ، وما في الدار أحدُّ إلا زيدٌ وما في الدار أحدُّ إلا زيدًا . ومثله : إن القوم كلُّهم ذاهبون ، إن القوم كلُّهم ذاهبون ، ومثله (إن الأمر كُلُّه لله) قرئ بالوجهين جميعا . ومثله (ليس زيد بجبان و لا بخيل) و (... و لا بخيلاً) ومثل هذا كثير جدا مما اتفق إعرابه واختلف معناه ، ومما اختلف إعرابه واتفق معناه . قال : فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعانى ، لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله . قال قطرب : وإنما أعْرَبَتْ العربُ كلامَها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكمانوا يبطئون عند الإدراج (يعنى عند إلقاء الكلام متواليا) فلما وصلموا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ، ليعتدل الكلام . ألا تراهم بَنُوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب ٣٠

⁻ب - التهوين من قيمة آراء المستشرقين الذين أثبتوا آثارا للإعراب في اللغات السامية (ص٢١٢ - ٢١٦) ، لأن ذلك يؤصل وجود الإعراب في العربية، وينقض مقولة جحد هذه الأصالة .

فى العربية ينطق ساكن الآخر عند الوقوف عليه ، فلو جعلوه ساكنا أيضا عند وصل الكلام لتولدت حالات كثيرة لالتقاء ساكنين بين أواخر الكلمات وأوائل الكلمات التى تليها إذا كانت مبتدأة بساكن – كلام التعريف فى أوائل الأسماء ، وكثير من صيغ الأفعال . والتقاء الساكنين تقيل يجعل نطق الكلام بطيئا ، فحركوا أواخر الكلم تخلصا من ذلك. (۱) وأضاف د. أبيس أن الذى يتحكم فى اختيار حركة التخلص من التقاء الساكنين هذه (ضما أو فتحا أو كسرا) هو الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة ، أى تجانس الفواصل ، وإيثار بعض الحروف لحركات معينة (۱) . والذى يحدد (موقع) عناصر الجملة من فاعلية أو العربية ، والرتبة الخاصة لكل موقع (يعنى أن الفاعل – مثلا – رتبته التأخر عن الفعل ، والتقدم على المفعول ،أى تأتى الكلمة المعبرة عن الفعل أولا ، ثم تأتى بعدها الكلمة المعبرة عن الفاعل وأخيرا تأتى الكلمة المعبرة عن المفعول ، والمبتدأ رتبته التقدم على الخبر وهكذا)، وثانيهما مايحيط بالكلام من ظروف وملابسات. (۱)

أما الهدف الذى قصد إليه النحاة من تخصيص كل من تلك الحركات بدلالة نحوية (الرفع للعمدة فاعلا أو نائبا عنه أو مبتدأ إلخ، والنصب للفضلة مفعولا

⁼الإسكان . قيل له : فهلا لزموا حركة واحدة لأنها مجزئة لهم إذ كان الغرض إنما هو حركة تعتقب سكونا ؟ فقال : لو فعلوا ذلك لضيقوا على أنفسهم فأرادوا الاتساع فى الحركات وألا يحظروا على المتكلم الكلام إلا بحركة واحدة .

⁽۱) ينظر نص ما نقل عن قطرب في التعليق السابق ، ومن أسرار اللغة ٢٢٠، ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٢ .

^{(&}lt;sup>۲)</sup> ينظر " من أسرار اللغة " ۲۵۲ - ۲۵۳ .

^{(&}lt;sup>r)</sup> السابق ص ۲٤۲ – ۲٤۳ .

به أو له .. أو حالا .. إلخ ، والجر للمضاف وما بمعناه) ، ووَضِع القواعد المفصلة لها فهو – كما هو واضح مما ردده د. إبراهيم أنيس في الصفحات المذكورة – أن يخاق النحاة لأنفسهم مجالا للنفوذ والجاه : بأن تكون ضوابط الكلام – الذي يحتاجه كل أحد – بأيديهم ، وذلك بواسطة علم النحو المذي اخترعوه هم ، ولايحيط به غيرهم ، ومن شم يمارسون به الرقابة على الناس وبخاصة أهل السلطة واللسن الذين يمثل المستوى الراقى من الأداء اللغوى – خطابة أو شعرا – إحاماً ومؤهلا جوهريا لأوضاعهم الاجتماعية. (۱)

وانسجاما مع تصوره هذا ، اتهم د. أنيس الأئمة الذين وضعوا قواعد النحو باختلاق الظواهر ليبنوا (أو ليُكُملوا) بها القواعد ، وعبر عن كشفهم للقواعد والأصول بأنه "ابتكار "(١) .

والدكتور إبراهيم أنيس هو أبرز رأواد الدراسات اللغوية العربية الحديثة في القرن العشرين، وله بذلك دين في عنق جل من شارك في هذا المجال من الدراسات اللغوية. ومن حقه وحق العلم أيضا أن تتلقى آراؤه بكل الاهتمام والجد - تأييدا وبسطا واستكمالا لصحيحها، وتمحيصا لما يمكن أن يكون طُغيان فكر أو خطأ اجتهاد. وربما كان الشطر الأخير من هذه الحقوق هو الأهم، لأن ضخامة شخصية صاحب الرأى تتطلب حشد كل الطاقات العلمية الاقتلاع ما يكون في آرائه من تجاوز، توصلا إلى "ما ينفع الناس". وهذا كله يفسر تخصيصنا الدكته، إن اهيم أنيس بمعولة جحد أصالة الإعراب ودلالته على

⁽۱) يرجع لبى الفصل الثالث في " من أسرار اللغة " ۱۹۸ . وبخاصة ۱۹۸ – ۲۰۷ . ۲۰۰ – دريا اللغة " ۱۹۸ . ۱۹۸ وبخاصة ۱۹۸ – ۲۰۷ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۲۰ – ۲۰۰ . ۲۲۰ – ۲۰۰ . ۲۲۰ – ۲۰۰ . ۲۲۰ – ۲۰۰ . ۲۲۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰۰ – ۲۰۰ . ۲۰۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰۰ – ۲۰۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰ – ۲۰

⁽۲) ينظر " من أسرار النغة " : ص ۱۹۸ " صناع الكلام و ۱۹۹ " ابتكروا أصولا وقواعد و ۲۰۳ . ۲۰۳ . ۲۰۳ " قيل لنا و ۲۶۹ " أهملوا ما أهملوا وقاسوا ما قاسوا " .

المعانى ، كما يفسر توجيه الردود إليه . غفر الله لنا وله .

ثاتيا : أدلة جاحدى أصالة الإعراب ودلالته على المعاتى :-

إن أدلة أصحاب الادعاءات الجاحدة لأصالة الإعراب ولقسطه من الدلالة على المعانى ترجع إلى ماادّعوه مما يلى :-

أولا: انفرادُ العربية - بين أخواتها من اللغات السامية - بظاهرة الإعراب، إذ لايوجد منه - في زعم هؤلاء المدّعين - إلا آثارٌ في بعض تلك اللغات. وهذه الآثار الضئيلة لا تشبه ما في العربية من إعراب. وهذا كله يثير الشك في أصالة الإعراب في العربية ، وبخاصة أنه - أي الإعراب - في العربية عظيمُ التشعب والتفاصيل، بحيث يبدو فيها بين الساميات وكأنه شيئ تولد من لاشئ (۱).

⁽۱) هذا الدليل - انفراد العربية بالإعراب دون سائر اللغات السامية - نصبه الدكتور إبراهيم أنيس ليدعم به نفى أصالة الإعراب فى العربية ، وفى سبيل نصب هذا الدليل تجاوز عما يزعزعه : فأغفل الكلام عن اللغتين الساميتين : الأكادية والأوجاريتيه - رغم وجود الإعراب الإعراب فيهما ، كما أغفل ما أثبته نولدكه ورايت وبروكلمان وغيرهم من وجود الإعراب فى الساميات ، وأغفل أصل ماذكره (ولين) من إثبات الحركات قديما ، وأخذ كلامه عن فقد أثرها فى اللهجات الحديثة ، كما نفى وجود إعراب فى السريانية والأرامية ، ثم قال إنه لم يجد فى العبرية والحبشية إلا (هاء) تنتهى بها (بعض) الكلمات "فسرها المستشرقون على أنها من رواسب الإعراب " ، كما قال : إن المستشرقين وجدوا (مصادفة) فى (بعض) الأسماء العبرية نهايات تشبه الفتوح والكسر والضم (فسموها) أثار اللإعراب ، ولما وجدوا أنها لا تناظر ما فى العربية فقد قالوا إنها فقدت دلالتها ، ثم اتمهم بما خلاصته أن قولهم بأن تلك الحركات آثار إعراب إنما جاء تأثرا بما رأوه فى الفروع الحديثة الإنجليزية والفرنسية - للغات الهندية والأوربية القديمة اليونانية واللاتينية القويمة كانت مُعربة ثم فقدت إعرابها كما وقع للغات القديمة ، فهم توهموا أن العبرية القديمة كانت مُعربة ثم فقدت إعرابها كما وقع للغات الأوربية . أى أن ما ظنوه إعرابا فى العبرية القديمة القديمة هو مجرد وهم لا أصل له (ينظر من أسرار اللغة ٢١٢ - ٢١٢) .

ثانيا: ما يقتضيه التشكيك في أصالة الشعر الجاهلي ويقتضيه الادعاء بأن لغة ذلك الشعر مصنوعة مزورة (١) - من فقدان السند اللغوى الموثق الذي يثبت وجود الإعراب في عربية ما قبل الإسلام والذي يمكن أن تستمد منه قواعد النحو.

وقد قلنا منذ قليل إنه يترتب على نفى أصالة الشعر العربى القديم أى ادعاء نُحلِهِ (٢) إهدار أهم مصادر الضوابط الإعرابية ، ليقال بعد ذلك إن هذه الضوابط لا أصل لها ، فهى مختلقة من (صنع) النحاة و (اختراعهم) ، أو مقتبسة من لغة أخرى .

ثالثا : "أن جميع اللهجات العامية المتشعبة من العربية ، والتي تستخدم الآن في الحجاز ونجد واليمن والعراق والشام وفلسطين ومصر والسودان وبلاد

⁽۱) الفرق المتصور بين الدعوبين أن القائلين بأن " لغة " الشعر الجاهلي مصنوعة ، قد يعنون أنه كان هناك أصل لهذه القصائد الجاهلية خال من كثير من الضوابط التي نعرفها ضرورية للشعر وبخاصة الإعراب وقد يكون أيضا خاليا من التزام الوزن التفعيلي في البيت أو البحر في القصيدة ، فلا يتصور حينئذ أكثر من أنه كان كالكلام المسجوع غير المضبوط بالضبط الإعرابي ثم جاء الذين (صنعوه) فنسقوه على الأوزان مضبوطا بالإعراب . أما المشككون في وجود الشعر الجاهلي نفسه فيرمون إلى إنكار وجود ذلك الشعر أصلاً ، والى أنه اختُلق اختلاقا ونسب إلى تلك الأسماء التي اشتهرت به. والأمران سواء أو كالسواء لأن ذلك الأصل المتصور على قول القائلين بأن " لغة " الشعر الجاهلي مصنوعة هو ليس شعرا في الحقيقة ، وهذا يلتقي مع قول المشككين والمنكرين لوجود شعر جاهلي أصلا .

⁽۲) عن دعوى مرجيلوث ، وقضية نحل الشعر الجاهلي ينظر "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية "د/ناصر الدين الأسد - طه - وبخاصة ص ۲۵۲ - ٤٢٨ . والكتاب كله مخصص للقضية . وسنعرض لهذه المسألة في الفصل الثالث من الباب الثالث من كتابنا هذا .

المغرب العربى = مجردة من الإعراب ، فلو كانت لهجات المحادثة العربية القديمة معربة = = V لانتقل شئ من نظامها هذا إلى جميع اللهجات الحاضرة أو بعضها V .

رابعا: أن قواعد الإعراب - وشأنها معروف من حيث التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه ، وملاحظة عناصر الجملة وعلاقتها بعضها ببعض = هذه القواعد لايعقل أنها كانت مراعاة في لهجات الحديث ، لأن لهجات الحديث تتوخّي في العادة السهولة واليسر ، وتلجأ إلى أقرب الطرق للتعبير "(۲) وما دامت تلك القواعد لم تكن مراعاة في لهجات الحديث - حسب هذا الافتراض - فهذا يدل على أنها غير ضرورية للكلام ، أو لإفادة المعانى ، وغير أصيلة في لغة العرب .

خامسا: أن قواعد الإعراب العربية التي نعرف مدى ما تتميز به من التشعب والدقة لايعقل أن تكون قد نشأت من تلقاء نفسها ، كما لايمكن لعقليات ساذجة كعقليات العرب في عصورهم الأولى أن تقوى على خلقها، فهي تحمل آثار الصنعة الدقيقة المحكمة، ويبدو عليها طابع من عقلية المدارس النحوية التي ظهرت في العهود الإسلامية بالبصرة والكوفة وما إليها (٢) ، وعلى ذلك فهي حسب هذا الدليل - دخيلة على لغة العرب، تُرْجِمت أو اقتُبِست من قوم (يُحكِمُون الصنعة)

سادسا : هناك مجموعة من الاستشهادات أتى بها د. إبر اهيم أنيس ليدعم بها الادعاء بأن الحركات الإعرابية ليس لها دلالة على المعانى :

^(۱) فقه اللغة د. وافي ۲۱۱ .

⁽٢) السابق نفسه ، ودراسات في فقه اللغة - محمد الأنطاكي ٢٤٩ .

⁽٢) فقه اللغة د. وافي ٢١١ (بتصرف طفيف).

- (أ) قول سيبويه: "وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به "(۱).
- (ب) قول أبى على الفارسى: "وحركات البناء أيضا قد تدل على المعنى وقد حذفت ، ألا ترى أن تحريك العين بالكسر في نحو "ضرب "يدل على معنى، وقد جاز إسكانها . فكذلك يجوز إسكان حركة الإعراب^(۲) وهذا معناه أنه يمكن الاستغناء عن علامات الإعراب .
- (ج) قراءة أبى عمرو بتسكين أواخر الكلمات مثل " يأمر كم " " ينصر كم " " يعلمهم " ومثل ﴿ والهدى والقلائِد ذَلك لتعلموا .. ﴾ و ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رَّحمة ربى .. ﴾ (") يعنى عند الإدغام أى أنه استغنى فيها عن علامات الإعراب .
- (د) أن فقدان الكلمات في الجمل لحركات الإعراب لا يؤثر في فهمنا لمعانى تلك الجمل ، حتى ليفهمها من لم يتصل بالنحو . (٤) ومعنى هذا أنه ليست لعلامات الإعراب أية دلالة .
- (هـ) عدم اتساق الحركات الإعرابية التي تطبق على ألفاظ بعض الأساليب مع مواقع تلك الألفاظ كنصب اسم إن، ومفعول صيغة " ما أفعله " في التعجب

⁽۱) من أسرار اللغة ۲۳۷.

^(۲) من أسرار اللغة ۲۳۷.

⁽٢) نفسه ٢٣٨ – ٢٣٩ (والأيتان الأخيرتان من المائدة ٩٧ ، والإسراء ١٠٠ على التوالي) .

⁽ن) نفسه ۲۳۹ - ۲۲۰. وتنظر أيضا الصفحات التي أشير إليها في (أ) من التعليق رقم ١ص١١هنا .

- مع أنهما في الحقيقة ركنا إسناد .(١)
- (و) قبول ألفاظ بعض الأساليب أكثر من ضبط دون اختلاف المعنسى كالمفعول لأجله ينصب ويمكن أن يجر باللام ، وكالظرف ينصب ويمكن أن يجر بفي (٢) .
- (ز) وهذا الذى ذكرناه عن د. أنيس فى (و) مقيس على قول قطرب إن هناك ما يختلف إعرابه ويتفق معناه ، مثل " ما زيد قائما "، و " ... قائم " .

وقد سبق قطرب أيضا إلى القول بأن هناك ما يتفق إعرابه ويختلف معناه مثل إن زيدا أخوك ، ولعل زيدا أخوك وكأن زيدا أخوك .

وبيانا لمدى الخطأ أو الصواب في الدعويين فإننا سنناقش أدلتهما - التي ذكرناها على أوثق وجوهها عند أصحاب الدعويين ، وصنفل مناقشة كل من الدعويين عن الأخرى بغية التحددي والوضوح.

⁽۱) من أسر ار اللغة ۲۳۹ – ۲٤٠ .

⁽۲) نفسه ۲٤۰ .

⁽٢) يراجع نص كلام قطرب في تعليق في القسم الأول من كتابنا هذا .

القسر الثانج

مناقشة نظرية للادعاءات ، ثم إثبات أصالة الإعراب ودلالته على المعانى إثباتا علميا



الباب الأول

الرد على ادعاء فقدان الآثار القديمة والحديثة للإعراب

جاحدو أصالة الإعراب يدَعون أنه لا توجد آثار تدل على أن أيًا من اللغات السامية القديمة كانت معربة ، فانفراد العربية - دون أخواتها الساميات بالإعراب يعنى أنه متكلًف مصنوع لا أصل له . كذلك يدَعون أن اللهجات العامية العربية الحديثة ليس فيها أثار إعراب، مما يدل على أن أصلها وهو اللغة العربية التي كان يجرى التخاطب بها في القرون الهجرية الأولى وما قبلها = لم تكن مُعْرَبة أيضاً ، وهذا يعنى أن الإعراب أمر متكلّف لا أصل له .

وقد عقدنا الفصل الأول من هذا الباب للرد على دعوى خُلُو اللغات السامية القديمة من الإعراب فأثبتنا وجوده في تلك اللغات .

وعقدنا الفصل الثانى لبيان آثار الإعراب وبقاياه الموجودة في اللهجات العامية العربية الحديثة . وهذا يثبت أصالة الإعراب أيضًا .



الفصل الأول

الردّ على ادّعاء خلق اللغات الساميّة من الإعراب

أثبت العلماء العرب والمستشرقون الذين درسوا اللغات السامية القديمة وجود الإعراب في أكثر تلك اللغات:

- فذكر رينان أن هناك أثاراً ضئياة بدائية في العبرية والأرامية والحبشية (۱) .

- وقال يوهان فك : "لقد احتفظت العربية الفصحى ، فى ظاهرة التصرف الإعرابي ، بسمة من أقدم السمات التى فقدتها جميع اللغات السامية - باستثناء البابلية القديمة - قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى "(٢) ويبدو أنه لا يعتد إلا بالآثار الواسعة الكثيرة . ولكنه مع ذلك أثبت وجود الإعراب فى البابلية القديمة ، وأن العربية القديمة كانت معربة كسائر اللغات السامية ، ثم إنها اختصت بالاحتفاظ بسمة الإعراب رغم فقد سائر الساميات إياه .

- وذكر إسرائيل ولفنسون في كتابه " تاريخ اللغات السامية " أن هناك شيئا من بقايا الإعراب في أغلب اللغات السامية " ثم ذكر أمثلة لذلك من العبرية والسربانية والبابلية "(") .

وعقد كارل بروكلمان - ضمن كتابه " فقه اللغات السامية " - مبحثا لحالات الإعراب في تلك اللغات رجح فيه وجود الإعراب - بعلاماته المشهورة للرفع والجر والنصب - في السامية الأولى ، وذكر صورة وجود بعض تلك

⁽١) ينظر فقه اللغة د. على عبد الواحد ٢١١ ، ٢١٢ ،

⁽٢) انعربية ليوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجار ص ٣.

^{(&}lt;sup>r)</sup> ينظر تاريخ اللغات السامية ص ١٥.

العلامات في الحبشية والأكدية ، ثم بين أصل كل من العلامات الثلاث حسب اجتهاده ، ثم قال " وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة – غير أن الحركات قد قصرت " الخ ..(۱) وبالرغم من أن المؤلف لم يعرف اللغة الأوجاريتية، لأنها كشفت بعد صدور كتابه بثلاث وعشرين سنة، فإن ما ذكره قاطع بوجود الإعراب في تلك اللغات وجودا واسعا.

- وعبارة برجشتراسر في كتابه "التطور النحوى للغة العربية": "والإعراب سامى الأصل ، تشترك فيه اللغة الأكدية وفي بعضه الحبشية ، ونجد اثاراً منه في غيرها أيضا . غير أن العربية ابتدعت شيئين : الأول إعراب الخبر والمضاف - وتتفق في بعض ذلك مع أخواتها ، والثاني : عدم الانصراف في بعض الأسماء - وانفردت بذلك عن غيرها "(٢) . - كذلك لاحظ جوردون - في در استه للأجريتية من خلال نقوشها التي ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م أن تلك اللغة يتحقق فيها التصرف الإعرابي بصورته العربية مع وجود ظاهرة الممنوع من الصرف أيضا(٣) . فلا يجوز أن يدعى أن العربية انفردت بالإعراب من بين الساميات .

⁽۱) ينظر فقه اللغات السامية كارل بروكلمان ترجمة د. رمضان عبد التواب ۱۰۰ – ۱۰۲ وتنظر مقدمة المترجم ص ٦ – ۷ .

⁽۲) ينظر التطور النحوى للغة العربية برجشتراسر (أخرجه وصحصه ، وعلق عليه درمضان عبد التواب) ص١١٦ والتعليق رقم ٢ في الصفحة نفسها .

⁽٢) تنظر مجلة علوم اللغة مج ١ ع٢ سنة ١٩٩٨ ص٢٨ (مقال د. محمود فهمي حجازي) .

- ومن مثبتى وجود الإعراب فى اللغات السامية المستشرقون نودكه ، ورايت (١) .

- إن قيمة شهادة المستشرقين في هذه المسألة اللغوية (وجود الإعراب في الساميات أو عدمه) تكمن عندنا في ما توفير لهم فيها من التجرد العلمي لأنها مسألة تاريخية خاصة باللغات السامية، وتبدو بعيدة عن مجالات الهوى. بل إن بعضهم أثبت وجود الإعراب في الساميات رغم ماعرف عنه من اتجاه لثلب العقلية والحضارة العربية والشرقية (۱) هذا بالإضافة إلى أن أحكامهم صدرت عن دراسة لنقوش وآثار مكتوبة -أى أن واقع مادى- لا عن ترجيحات وافتراضات.

كذلك فإن مما له قيمة جوهرية هنا أنه لم ينف أي من المستشرقين وجود الإعراب في اللغات السامية بأسرها نفيا تاما، وقصارى ما لبعضهم في هذه النقطة نفى وجود الإعراب في بعض تلك اللغات ، أو الحكم على ما وجد منه فيها بأنه ضئيل. ومثل هذا الحكم فيه من إثبات وجود الإعراب في السامية ما يكفى لتأصيل وجود الإعراب في العربية منذ أقدم صورة لوجودها مع الساميات (٣) وهو المقصود من إيراد شهادات المستشرقين هنا .

⁽۱) أما ليتمان فإنه راجع كتاب تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون مراجعة دقيقة وله تعليقات كثيرة على كثير من محتويات الكتاب بدءا من صفحاته الأولى خالف فيها أراء ولفنسون ، ونكنه لم يعلق على رأيه في الإعراب - وقد ذكرنا نصه (دون الأمثلة التي أوردها ونفنسون) مما يعنى أن ليتمان يتفق مع ولفنسون في هذه النقطة . (تنظر مقدمة كتاب ولفنسون ص ١٥ والتعليقات ص ٢٧٣) ، وأما نولدكه فينظر في شأنه فصول في فقه اللغة ٣٨٥ ، وأما رايت فينظر عن رأيه " نحو وعي لغوى " د. مازن المبارك ٦٤ ، وإشارة إليه في " من أسرار اللغة " ٢١٣ .

⁽۲) ينظر ما قاله ولفنسون (تاريخ اللغات السامية ص ۱۳-۱۶) عن رينان ، وينظر فقه اللغة د. على عبد الواحد وافي ص ۲۱۱ - ۲۱۲ .

^{(&}lt;sup>٣)</sup> ينظر فقه اللغة د. على عبد الواحد وافي ص ٢١٤.

وبعد ، فلقد أزاحت الجهود الدائبة للمستشرقين دُثُرُ الغموض الكثيفة التي كانت تلف آثار اللغات السامية ، فانكشفت صورة تلك اللغات بما يميزها من سمات وظواهر لهم أولا، ثم صارت اللغات السامية مادة علمية تدرس بلا خبايا أو أسرار، فلم يعد للاختلاف في وجود الإعراب فيها مجال، وأصبح من حق المنهج العلمي أن يحتج برأى المبرزين(١) في العلم بها من اللغويين العرب، وأن يعد الاحتجاج بهم أقوى ، لأن أصالة إحساسهم بالإعراب في العربية تجعل تمييزهم ما هو من آثار الإعراب حقيقة في الساميات أقوى ، وقدر قرروا وجود الإعراب في الساميات القديمة وجودًا محققًا لاشك فيه. ونجتزئ هنا بما قرره أحد كبار علماء العربية والساميات (٢) من "وجود الإعراب كاملا في بعض اللغات السامية القديمة كالأكَّدية ، وتشمل اللغتين البابلية والأشورية في عصورها القديمة وهذا قانون حمورابي (١٧٥٠-١٦٩٢ ق.م) . المدوّن باللغـة البابليـة القديمة ، يوجد فيه الإعراب كما هو في اللغة العربية الفصحي تماما . فالفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، وعلامة الرفع الضمة ، وعلامة النصب الفتحة ، وعلامة الجر الكسرة - تماما كما في العربية " (ثم ذكر عدة أمثلة) ثم قال: " ولا يقتصر الأمر على ذلك . بل إن المثنى وجمع المذكر يماثلان في الإعراب المثنى والجمع في العربية. فيرفع المثنى بالألف، وينصب ويجر بالياء - التي تحولت إلى كسرة طويلة ممالة - بعد انكماش الصوت المركب - كما حدث في اللهجات العربية الحديثة " (ثم ذكر عدة أمثلة)(٢) .

⁽۱) مثل د. رمضان عبدالتواب ، ود. محمود فهمى حجازى . من كبار اللغويين العرب المعاصرين .

⁽٢) هو د. " رمضان عبد التواب "، وله مؤلفات في نصوص الساميات وقواعدها .

⁽٢) فصول في فقه اللغة ٣٨٢ - ٣٨٣ .

وبقوله: "وتوجد حالات الإعراب كذلك في اللغة الأوجاريتية .. وهي مكتوبة بالخط المسماري غير أنه يسير فيها على النظام الأبجدي، ولا يوجد بها رموز لضبط الحركات، إلا في الرمز الدال على صوت الهمزة، فإن هذا الرمز له ثلاثة صور، ونجد في هذه الكتابات الأوجاريتية أن الكلمة إذا كانت منتهية بالهمزة صورت الهمزة فيها بإحدى الصور في حالة الرفع ، وبالصورة الثانية في حالة النصب ، وبالصورة الثالثة في حالة الجر ".

شم بقوله: بل إن اللغة الحبشية تكفى هى أيضا للتدليل على أصالسة الإعراب، ودلالته على المعانى فى اللغة العربية، إذ تظهر فى الحبشية حالة النصب، التى تطابق من الناحية الإعرابية نظيرتها فى اللغة العربية إلى حد كبير.(١)

وأخيرا يقول: "هذا ، وفي اللغات السامية الأخرى - عدا الأكدية ، والأوجاريتية ، والحبشية - بقايا حقيقية ، وأخرى مظنونة من حالات الإعراب التي كانت موجودة في اللغة السامية الأم ".(٢)

وبثبوت وجود الإعراب في اللغات السامية القديمة وجودًا يقينيا تحقق واقعيا في النقوش، وشهد به العلماء المتخصصون - كما بينا الآن - تسقط إحدى دعائم التشكيك في أصالة الإعراب في العربية. وهي الدعامة التي خلاصتها ادعاء انفراد العربية الحديثة دون أخواتها الساميات بالإعراب، وأن انفرادها - دون أخواتها الساميات - بالإعراب يعنى أن وجوده فيها أمر شاذ يخالف الأصل، وهو تماثل لغات الفصيلة اللغوية الواحدة في أهم خصائصها،

⁽۱) نفسه ص ۳۸۶ .

⁽١) فصول في فقه النغة ص ٣٨٥.

وهذا يقوى ادعاء اصطناعه أو استجلابه . وقد سقط هذا الادعاء لأنه يخالف الواقع كما بينا . وبسقوط دعامة التشكيك هذه تثبت أصالة الإعراب في الساميات ومنها العربية .

أما عن الوجود الفعلى للإعراب في العربية خاصة في عصر ما قبل الإسلام ، فإن لدينا :

أ – ما تشهد به النقوش المأثورة من العربية من وجود الإعراب فيها ، وشهادات المستشرقين المبنية عليها (وقد أسلفنا منها مقولة بروكلمان "وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة ") وقد ذكر مما احتفظت به العربية صورة من إعراب الأسماء الخمسة ، فذكر منها ثلاثة هي الأب والأخ والحمو ، كما ذكر من ذلك إعراب مالا ينصرف، وإعراب جمع المؤنث السالم .

وهناك شهادة أصرح منها لمستشرق آخر هو تيودور نولدكه (ت ١٩٣٠) . فقد قال – بعد أن قدم بحديث عن نقوش تنتمى إلى العربية ، ويرجع بعضها إلى ماقبل الميلاد ، مع أدلة صوتية على عروبة هذه النقوش ، وأن العربية الحقيقية كانت تلوح دائما من خلال الأجنبي (المتمثل في الخطوط غير العربية التي كتبت بها) – قال : "ومن هنا يُعْرف أن هؤ لاء العرب الذين كانوا يعيشون قبل ميلاد المسيح وبعده بقليل كانوا يتكلمون لهجة تتشابه كثيرا مع العربية الكلاسيكية (= الفصحي) التي جاءت فيما بعد . فهي ترمز لحالة الرفع المسمى " بالاسم المنصرف " بالضمة ($\mathbf{0}$) أو لحالة الجر بالكسرة (\mathbf{i}) (وكذلك أيضا لحالة النصب بالفتحة (\mathbf{a}) تماما كما في العربية ولكن بدون إضافة تتويين (\mathbf{n}) لي ذلك . كما أنها تترك عموما نفس الأعلام الممنوعة من الصرف في العربية بلا نهايات إعرابية . ويوجد رمز الرفع (\mathbf{O}) ل يضا في الأعربية العربية ويوجد رمز الرفع (\mathbf{O})) أيضا في الأعلام العربية

في الجهات الشمالية مثل تدمر ،وإديسا نفسها(١).

ب - وبجانب ما تشهد به النقوش المأثورة من العربية من وجود الإعراب فيها^(۲) فإن لدينا أقوى سجلاته وأكملها أيضا في الشعر الجاهلي وفي نص القرآن الكريم . ومما لا جدال فيه أن وجود الإعراب في الشعر الجاهلي وفي نص القرآن الكريم يقطع بأصالة وجوده في العربية قبل أقدم شعر جاهلي وصل إلينا بمئات السنين، لأن الظواهر اللغوية متكاملة النظام عامة التطبيق لاتولد بشكل فجائي، بل تحتاج قرونا وقرونا لتتكامل وتعم وتمتزج بصميم النظام اللغوي على ما هو الحال في الإعراب بالنسبة للغة العربية .

وفي هذا الجانب النظري يصلح أن نأتي بفقرة من كلام يوهان فك يقول: "فأشعار عرب البادية - من قبل العهد الإسلامي ومن بعده - ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان ... أما أن أقدم أثر من آشار النثر العربي وهو القرآن قد حافظ أيضا على غاية التصرف الإعرابي فهذا أمر وإن لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر الذي لا تترك أساليب العروض والقافية مجالا للشك في إعراب كلماته - إلا أن مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك أثرا للشك فيه كذلك . انظر مثلا آية ٢٨ من سورة فاطر ﴿ إِنّما يَخْشَى اللّه مِنْ عبادهِ العلماء ﴾ ، وآية ٣ من سورة التوبة ﴿ أَنَّ اللّه بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ، وآية ١٢٤ من سورة البقرة ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ ، وآية ٨ من سورة النساء ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقُسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى ﴾ فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات (كالاستعمال اللاتيني : الأم تحب البنت Martrem amat fila) لا يمكن أن

⁽۱) اللغات السامية - تخطيط عام - للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ترجمة عن الألمانية د. رمضان عبد التواب ص ۷۲-۷۲ وما قبلها حتى ٦٩ .

⁽٢) ينظر أيضا فقه اللغة العربية د. على عبد الواحد وافي ص ٣١٤ فقرة ١٠.

يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها حيا صحيحا "(١).

- وقد سبق أن قدمنا تحقيق ما أشار إليه يوهان فك تحقيق علميا وإنما أوردناه هنا شهادة ممالا ظن به أن يجاملنا .

* * * * *

⁽۱) العربية : در اسات في اللغة واللهجات والأساليب " يوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجار (ط١٣٧٠هـ – ١٩٥١م) ص ٣-٤ .

الفصل الثاني

مناقشة الاستدلال بخلو اللهجات العامية الحالية من الإعراب على أن الإعراب لم يكن في أي وقت

- القول بأن اللهجات العامية المتشعبة من العربية والمستعملة الآن في الأقطار العربية مجردة من كل أثر للإعراب ، وأن هذا يدل على أنه لم يكن هناك إعراب أبدا ، وإلا لبقى منه أثر .. هذا قول باطل ، لأن لدينا بالفعل آثاراً إعرابية في لغة الحياة اليومية ينبغي أن نذكر منها ما سجله العلامة ياقوت المتوفى ٦٢٦هـ، ثم الفيروز ابادى المتوفى ٨١٧ هـ ثم الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ ه عن أهل جبل عكاد باليمن قرب زبيد " أنهم باقون على اللغة الفصيحة إلى الأن" . كذا عبر الزبيدى . (أى منذ حوالى مئتى سنة فقط) ، وعبارة ياقوت : وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحتهم، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه " وذكر الزبيدي من محافظتهم على لغتهم أن " الغريب لا يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفا على لسانهم "(١) فهذا الوجود للفصحى - ولابد أن تكون معربة ، وإلا ما استحقت أن يصفها الزبيدي بأنها فصيحة ، أو أن يقول عنها ياقوت إنها باقية على ما كانت عليه منذ الجاهلية إلى اليوم لم تتغير ، ولأن الإعراب من أهم ما يفقد فتصير اللغة عامية لا فصيحة = شاهد تاريخي موثّق لوجود الفصحى بإعرابها في استعمال العامة إلى ماقبل مئتى سنة على الأقل.

⁽۱) ينظر معجم البلدان لياقوت (صادر ١٤٣/٤): (عكوتان)، وتاج العروس (عكد)، وأصل اللفت إلى هذه المعلومة للشيخ محمد على النجار - رحمه الله - (ينظر الخصائص لابن جنى بتحقيقه ٢/٤).

- ثم لنستمع الى شهدة يوهان فت - وهو مستشرق ألمانى عاش فى هذا القرن العشرين - يقول: "وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء التصرف الإعرابى فى لغة التخاطب الحى . فأشعار عرب البادية - من قبل العهد الإسلامى ومن بعده - ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان . كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا - حتى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى على الأقل - يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم = تدل على أن التصرف الإعرابى كان بالغا أشده لذلك العهد ، بل لا نزال حتى اليوم نجد فى بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداة ظواهر الإعراب "(۱) .

ويصدق الشهادات السابقة تلك الآثار الإعرابية في عاميتنا الحالية وإن كانت قليلة . ففي مصر مثلا نسمع مما فيه علامة الرفع "أبوه – أخوى " وقد يكون مما فيه علامة الرفع : "كتابه .. قلمه .." إلى مثل ذلك من كل اسم أضيف إلى ضمير الغائب، ومما فيه علامة النصب ألفاظ مثل طبعا ، حتما ، لزما ، حرما خصوصا ، غيب . جا . مثلا ، فرضا، غصبن عنك حتما ، لزما ، حودا ، (بعدن عنك) (بعيدًا عنك) عامن ول (عاما أول) احتياطا، أصولا ... "خيرا تعمل شرا تلق " (أحيانا تنطق خيرن تعمل شرن تلق – بالجر) . ومما فيه علامة الجر " أخينا " ، ومع كلّ ، أي حاجة تكون ، كل ش (شيء) كان . ومما فيه ما يصلح للعلامتين المثنى مثل قلمين كتابين – تنطق ممالة ، (وفي جهة شباس الشهداء تنطق كالمثنى المنصوب دون إمالة ...) وجمع المذكر السالم مثل ناس طيبين ... مجرمين ... مبسوطين ... والأعداد

⁽۱) " العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، بوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجار ص٣ وكلمة "يختلفون " معناها هنا : يذهبون ويعودون مرة بعد أخرى .

خمسين ستين ... ، وفعل الأمر في مثل اكتب / اسعه (اسع) ... وتتبع مثل هذا يكشف كثيرا من الأمثلة . وفي السعودية يشيع بين العامة استعمال بعض صيغ الأفعال الخمسة مرفوعة " يكتبون تلعبون ... الخ " وفي السودان يقولون خمسون ستون ... ولا شك أن في كل لهجات الأقطار العربية آثارا إعرابية كتلك التي ذكرناها أو أكثر . أما سر قلة هذه الآثار فهو خضوع الأداء اللغوى لقانون معترف به علميا وهو " ضعف الأصوات الأخيرة في الكلمة وانقراضها "(١) - (أي بمرور الزمن ، والأصوات الأخيرة في كلم العربية هي أصوات حركات الإعراب) ، وهو قانون قد خضعت له جميع اللغات الإنسانية . فالآثار الباقية داخلة في النطاق المقبول علميا .

وبذلك يتبين زيف ادعاء "تجرد العاميات الحالية من كل أثر للإعراب "، وأنه لا اعتداد به لأنه مجرد ادعاء يخالف الواقع أيضا.

⁽١) ينظر فقه اللغة د. وافي ٢١٢ وفيه أمثلة مما ذكرنا في هذا الرد .

الباب الثاني

مناقشة الدعاوى التى أسست على تشعب قواعد الإعراب ودقتها

رتب جاحدو أصالة الإعراب على تشعب قواعد النحو مع دقتها عدة ادعاءات غريبة:

- أ أنه لا يُعقَل أن عرب القرون الأولى الأميين كانوا يلتزمون بتلك القواعد المتشعبة الدقيقة في لغة الحياة اليومية التي يتداولونها .
- ب أن عقليات أولئك العرب الأميين الساذجة قاصرة عن إنشاء هذه القواعد المتشعبة الدقيقة .
- جـ أنه بناء على الأمرين السابقين لابد أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة اخترعت من لاشئ أو اقتبست من لغة أخرى بعد القرن السابع الميلادى (= الأول الهجرى).
- د أنه بعد اختراع تلك القواعد من لاشئ أو اقتباسها من لغة أخرى طُبقت على النتاج اللغوى العربي الذي وصلنا مُعْرَبًا .
- هـ أنه بعد التوصل لتلك القواعد بأى سبيل " حُذِيت لغة القرآن عليها " أى طُبقت تلك القواعد فيه ، إذ كان حسب زعمهم غير معرب ، وذلك في أواخر القرن الثاني للهجرة .

ولمناقشة هذه الدعاوى وإثبات زيفها عقدنا فصولا لبيان مايلي:

- (١) أن الأميين يتعاملون باللغة فطريا وتلقائيا دون إحساس بتشعب .
- (٢) أن القول بقصور عقليات العرب هو عنصرية مبنية على نظر فاسد .

- الله الما القواعد " ألم تطبيقها على العربية هو بناء على مستحبلات .
- (٤) أن ادعاء تطبيق القواعد بعد وضعها على القرآن هو ادعاء مغرق في الجزافية .
- شم أضفنا فصلين للتأسيس والتوضيح العلمي لما قررناه في الفصول السابقة وهما:
- (°) نشأة النحو (علم قواعد الإعراب) لبيان أصالته وأن نشأته كانت ضرورة وتمت بالتدرج.
- (٦) بيان أن تشعب قواعد الإعراب هو مجرد تشقيق علمي وراءه قواعد كلية محدودة ضابطة.

* * * * * 1

الفصل الأول

الأميون يتعاملون باللغة فطريا وتلقائيا دون إحساس بتشعب

القول بأنه ليس من المعقول أن قواعد الإعراب كانت مُطبَقة رغم ما نعلمه من كثرتها وتشعبها وبخاصة في مجتمع من أميين = قائم على شبهة وهمية غير علمية .

والرد على تلك الشبهة (بصرف النظر عن الاحتكام إلى المعقولية) (١) أنه لا توجد في الحقيقة كثرة ولا تشعب عند أهل اللغة الأميين ، وأن ما يبدو من كثرة في القواعد حسب أبواب النحو إنما هو ثمرة للتشقيق الذي يقتضيه البحث لعلمي لأية مادة ، حيث تُشقق إلى صور ذات ضوابط يُجريها ويهتم بها العلماء الباحثون من أجل ضبط مقرراتهم ، في حين أنها عند جمهور الناس غير العلماء وغير الباحثين تكون مادة واحدة . وذلك كالماء والطاقة والحديد .. كل منها عند الناس مادة واحدة أو مادة ذات صور محدودة ، ولكن كلا منها عند الباحثين والمتخصصين ذو صور كثيرة ، لكل صورة منها مكونات وأحكام خاصة . كذلك اللغة – كل لغة – يتحدثها أهلها على سَجيتهم وبسليقتهم صحيحة مفهومة حسب ما نشئوا عليها – دون أن يميز الأمي منهم المصطلحات أو يعي الضوابط الفنية التي يعيها دارسو تلك اللغة . والعربية ككل لغة كان أهلها الأميون ينطقونها ويتعاملون بها صحيحة مُعْرَبة دون أن يميزوا المصطلحات (مبتدأ / خبر / اسم إن / خبر كان / فاعل / نائب فاعل / مفعول مطلق / به / معه / فيه

⁽۱) القيمة العلمية للمعقولية وعدمها تكون عندما يؤدى افتراض أمر ما إلى تناقض كاجتماع الشئ ونقيضه أو ضده فيقال غير معقول ، أو يكون الأمر خارقا للعادة بلا أساس معترف به ، أو يكون مبني على وقوع سلسلة احتمالات مرتب بعضها على بعض وقوعا اتفاقيا (بالمصادفة) .. فمثل هذه ندلات هي التي يقال فيها " غير معقول " .

/ حال / تمييز / مستثنى ... الخ) . شم إن هذه الحالات والمواقع التي تقصد بالمصطلحات السابقة وغيرها كانت كلها تئول عند العربي الأمي إلى شلاث فقط هي أصوات الحركات التي تَنْطَقُ بها أواخر الكلم: صوت ما سماه النحاة رفعا وذلك للفاعلية وما حُمِل عليها، وصوت ما سمَّوه نصبا للمفعولية وما حمل عليها، وصوت ما سمَّو م جرا لما سُبقَ بحرف جار أو حُمِل عليه . بل إذا اعتددنا الرفع هو الأصل آل التغيير إلى حالتين فقط. ومعنى ذلك أن العربي كان ينطق الكلمة منصوبة الآخر - مثلا - دون أن يستحضر المصطلح الإعرابي الذي يحدد موقعها : أنها هنا مفعول مطلق أو به أو لأجله أو معه أو فيه أو حال أو تمييز أو مستثنى أو منادى أو صفة أو توكيد أو بدل أو معطوفة على ما هو منصوب. ولكنه حين ينطقها منصوبة فلابد أنها واقعة في أحد المواقع التي عرف النحاة فيما بعد أن الكلمة تنصب فيها . وهو ينطقها هكذا سليقيا. وإذا سئل عن الموصوف بالخضرة في عبارة " أعجبتني شجرة في الحديقة خضراء مُز هرة " مثلا فسيقول هو الشجرة . ولو كانت العبارة " .. في الحديقة الخضراء " الأجاب بأن الموصوف هو الحديقة . أي أنه يعي بالفطرة ويعين الصفة والموصوف، وكذلك أركان الجملة وسائر مكملاتها - دون معرفة بالمصطلحات. وقد سمع أعرابي مؤذنا ينطق " أشهد أن محمدًا رسولَ الله " بنصب كلمة " رسول " فقال: يفعل ماذا ؟ أى أنه أحس بالفطرة أن نصب كلمة "رسول " يجعلها صفة للفظ "محمد " ، وأن الجملة هكذا ينقصها ركن الخبر . لكنه لا يستطيع أن يعبر عن هذا بالألفاظ الاصطلاحية له وهكذا . فما يُدَّعَى من كثرة القواعد وتشعبها إنما هو من تشقيقات البحث، ولا يخطر للعربي الأمي على بال. فلا كثرة ولا تشعب عنده في الحقيقة.

لقد كان العربى يحس بهذه المعانى التركيبية مجملها (ركنى الجملة والمجرورات والمنصوبات ...) وتفاصيلها (هذا يعبر عن الحال ، وهذا بيان

لجنس المقدار ، أو بيان لوجه المقارنة أى تمييز ... وهكذا) إحساسا باطنيا معتمدا على القدرة اللغوية المفطورة في الإنسان وصورة ممارستها التي ينشأ عليها ، وضمن ذلك الضوابط الإعرابية .

فهذا "الدليل" الذي سيق على أساس أنه " لا يعقل " مراعاة الضوابط الإعرابية الكثيرة التشعب .. هذا الدليل مبنى على تصور قاصر ، ولا أثر له في القضية . ونضيف هنا ما قد يقنع تاريخيا بما قلناه ، وهو " أن دقة القواعد وتشعبها لا يدلان على أنها لم تكن مراعاة مطلقا ، أو أنها اخترعت اختراعا ، فاليونانية واللاتينية مثلا في العصور القديمة ، والألمانية في العصر الحاضر تشتمل كل واحدة منها على قواعد لاتقل في دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة العربية ، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد ، ولا في مراعتها في الحديث .

ولم يقل أحد إنها من خلق علماء القواعد. (١)

⁽١) عن فقه اللغة د. و في ٢١٣ بتصرف طفيف .

الفصل الثاني

القول بقصور عقليات العرب هو عنصرية مبنية على نظر فاسد

القول بأنه " لايعقل " أن تكون تلك القواعد نشأت وحدها ، و "لايعقل " أن تقوى عقليات العرب على خُلْقها هـذا القول مبنى على نظر فاسد من ناحية ، واتجاه عنصرى فاسد أيضا من ناحية أخرى .

فأما النظر الفاسد فهو النظر إلى الإعراب بالصورة التفصيلية المتشعبة بما تتضمنه من مئات التفاصيل ، وافتراض أن ذلك كله تم طفرة واحدة ، وأنه كان دائمًا في وعي العربي بتلك التفاصيل عندما يتكلم . والفساد في ذلك النظر يتمثل في هذا الافتراض الأخير من ناحية – فقد أسلفنا أن الأمر كان في وعي العربي بالصورة المجملة كما تُلقيت عن العرب متمثلة في نتاجهم اللغوى نثرًا وشعرا . كما أن الإنسان يشرب ويأكل ويتنفس دون أن يلقي بالا للعناصر المكونة للشرب أو لهواء التنفس أو الطعام الذي يؤكل . أما العناصر فقد تبينت بدراسة المتخصصين .

والناحية الأخرى من الفساد في ذلك النظر هي اختصاص تلك التفاصيل الإعرابية الدقيقة بافتراض أنها تمت طفرة واحدة . إن النظر السديد يبدى لنا أن كل صورة أو إنجاز حضارى في العلوم: الهندسية والطب والرياضيات والفلك والمساكن والمواصلات ... إلخ قد تم على مراحل وأطوار . وليس هناك ما يحتم أن تستثنى اللغة من هذه السنة الكونية .

وقد صرح بعض أئمة النحاة المتقدمين بهذا ، فقال أبو الطيب اللغوى (٣٥١هـ) : "كان أبو الأسود أول من رسم النحو ، فوضع منه شيئاً (جليلا) ،

حتى تعمق النظر بعدُ وطولوا الأبواب "(۱) وللإمام يونس بن حبيب (۱۸۲هـ) قولة عن علم عبد الله بن أبي إسحاق (۱۱۷هـ) بالنسبة لعصره (أوائل القرن الثاني) ثم بالنسبة لعصر يونس (أواخر القرن نفسه) تؤكد نفس المعنى الذي ذكره أبوالطيب (۱). وسيأتي أن كشف قواعد النحو بالصورة المفصلة التي نراها في كتاب سيبويه استغرق نحو قرن ونصف قرن من الزمان .

وأما الاتجاه العنصرى فيتمثل في افتراض أن "العرب " جنس أقل في الاستعدادات العقلية من جنس "الأوربيين " أو غيرهم . ومع مافي الاتجاه من عنصرية ، فإنه مبنى على نقص ثقافة بشع ، فإن في العالم الآن آلافا من العلماء عنصرية ، فإنه مبنى على نقص ثقافة بشع ، فإن في العالم الآن آلافا من العلماء المبرزين من العرب والأفارقة والأسيويين تفوقوا على قرنائهم الأوربيين في مجالاتهم وفي بلادهم . فالإنسان هو الإنسان ، وإنما التفوق بحسب ما يهيئاً له أو يلجئه – من الظروف للجد في تحصيل العلم وفي الابتكار العلمي والحضاري. ثم إن العرب في باديتهم كانوا أزكى نفسا وأدق فكرا وأرق شعورا من غيرهم – وهذه من أقوى الظروف المهيئة للنتاج اللغوى ، وإن كانوا أرْضمي بأسلوب حياتهم في البادية – ولهم وسائلهم في الرقى به مع المحافظة عليه ، وهذا لايعيبهم لأنه حكم البيئة .

ثم إنهم عندما رفعوا علم العلم والحضارة الإسلاميين بقوة الإخلاص والاتحاد استوعبوا أعظم حضارات العالم حينذاك ، وأضافوا إليها خطوات تطورية وابتكارية هائلة في جميع ميادين العلم والرياضة : الفلك والطب

⁽۱) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى (تح أبو الفضل) . وكلمة "جليلا" محرفة عن "قليلا" كما يتضح من السياق .

⁽۱) سئل يونس عن ابن أبى إسحاق وعلمه فقال هو والنحو سواء . أى هو الغاية . وقيل له " فأين علمه من علم الناس اليوم ؟ قال لو كان اليوم فى الناس أحد لايعلم إلا علمه لضميك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذُه ونظر وكان أعلم الناس " إنباه الرواة ٢/٥٠٢ .

والهندسة والصيدلة ... وميادين الحضارة من عمارة وصناعات بالإضافة إلى الفكر والأدب^(۱) ثم انتقل ذلك كله إلى الأوربيين عن طريق الأندلس وغيرها ، فبنوا عليه الحضارة الحديثة التى جاوزت منجزاتها الخيال . والشاهد أن العرب لم يعجزوا عندما جاءت دولتهم وتهيأت لهم الظروف . فالقول بتفوق جنس ما على الأجناس الأخرى فطرة وطبيعة = خرافة لا يقرها التحقيق العلمى . فهذا الدليل أو القول ساقط لا يعتد به .

* * * * *

⁽۱) إن سهام عرب والمسلمين على علم والحضا عالميين شهر وأوسع وأوثق من أن نعقد تلخيصا أو إحالات (بنصر مثلا : سيم _ هونكه سمس الله على الغرب) .

الفصل الثالث

ادّعاءُ تكلُّف القواعد ثم تطبيقها على العربية بناءً على مستحيلات

القول بأن الإعراب اخترع اختراعا من الأشئ أو اقتبس من لغة أخرى ثـم طُبِّق في اللغة العربية هو قول خارج عن نطاق التصور العقلي ، لأن قبوله لا يتم إلا بافتراض وقوع سلسلة من المستحيلات التي أولها أن يكون الناس في القرنين الأول والثاني اللذين تنبه العلماء إلى نُطْق العرب فيهما واحتجوا بـه مـع ما أُثر من شعر الجاهلية ونثرها = قد خضعوا - في شأن اللغة التي ينطقونها وهم يتنفسون - لمن يقهرهم على إلحاق علامات الإعراب بمعظم الألفاظ التي ينطقونها ، ولا يتم هذا إلا بأن يكون ذلك القاهر مُراقبًا لنطق كل عربي بحيث لا يند عنه إلا الشاذ النادر (في حدود نسبة ما روى من حالات لحن) ، شم (يتصادف) كذلك أن تكون علامات الإعراب التي قهرهم ذلك القاهر على الحاقها بجمهور ألفاظهم - جارية على تلك القواعد التي اعترف الجميع بدقتها -رغم تشعبها العظيم الذي اعترفوا به . ثم لا تتم أيضا هذه الاحتمالات إلا بعد وقوع احتمالات أخرى ، وهي أن تكون هناك هيئة أو جهة ما طبقت تلك العلامات الإعرابية على كل ما أثر من الشعر والنثر منذ العصر الجاهلي وفي قرنى الاحتجاج، وكان هذا التطبيق متماثلا لدى كمل الرواة والناقلين، وفي عشرات الآلاف من الأبيات ومئات الآلاف من الجمل ، ومتسقا مع مقتضيات القواعد الإعرابية التي اخترعوها ، ومع الضوابط العروضية أيضا - على ما أسلفنا . وهنا أيضا نقول إن الحساب العلمي للمصادفة والاحتمال ، يحيل قبول تلك الافتر اضات ، وإن قبولها يعنى الغاء كل قيمة للعقل والمنطق .

هذا كله على افتراض أنهم طبقوا ما اخترعوه في كلام الناس . أما إذا كانت الدعوى أنهم اخترعوا الإعراب من عند أنفسهم ولم يطبقوه على كلام الناس فالأمر أفحش استحالة ، لأن الأفراد الذين يجهرون بما يتوهمونه مما لا واقع له بين الناس ولا يعرفونه = يعدون مجانين مصيرهم معروف . في حين أن كتب التاريخ تحدثنا عما كان يحظى به علماء العربية من رجاحة عقل ، ومن تعظيم وإجلال عند كبار القوم رغم رقة حالهم وبعدهم عن السلطة .

فالقول بأن الإعراب اخترع اختر اعما هُراء لا يجدُّ به إلا من بعقله شر

شم إن القول بأن الإعراب اختراع لا أصل له يلزم عنه الحكم على عشرات العلماء من أهل العربية بأنهم كذابون في ادعائهم السماع من الأعراب والعرب، وقد صرحوا هم بالسماع من العرب، كما صرحوا فيما لم يسمعوه بأنهم لم يسمعوه (١) كما يعني الحكم بتكذيب المؤرخين الذين ذكروا رحلاتهم إلى البادية، والذين وتقوهم وذكروا أمانتهم، والذين ذكروا تحلق الناس حولهم وإجلالهم إياهم. وتكذيب المرويات التاريخية بهذه الصورة الموسعة استجابة لافتراضات وهمية عمل لا صلة له بالعلم ولا بأهله، كما أن دعوى (اختراع) الإعراب خبط لا صلة له بالعلم ولا بأهله.

⁽۱) ذكر سيبويه في كتابه سماعه أو سماع من بلغه عن العرب أكثر من عشرين ومئة مرة . تنظر فهارس الكتاب للشيخ عضيمة ٣٥. ٤١ كما صرح بأنه لم يسمع نحو ثماني مرات ص ٣٦. ١٠٤٠ .

الفصل الرابع

الرد على ادعاء تطبيق القواعد الإعرابية على القرآن الكريم بعد التوصل إليها في أواخر القرن الثاني الهجري

هذا الإدعاء هو أكثر تلك الادعاءات إغراقا في الجزافية ، وفي الدلالة على فقد أصحاب تلك الدعاوى لصفة التمحيص وإنعام النظر . فقد عرف المسلمون من أول ما نزل القرآن وإلى الآن – أن القرآن الكريم هو أقدس مقدساتهم ، فلم يكونوا يتسامحون في أي مساس بنصه – حتى لو كان ذلك المساس مجرد لحن في القراءة غير مقصود .

وقد ذكرت كل مصادر التأريخ لنشأة النحو قصة الأعرابي الذي وفد من البادية فأقرأه أحدهم ﴿ وَأَذَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ بجر كلمة "رسول" الأخيرة ، فأحس الأعرابي بأن المعنى الذي تؤديه هذه القراءة مناقض للدعوة المحمدية فتساءل منكرا: أو قَدْ بَرئَ اللهُ من رسوله؟!.

وشاع خبر هذه القراءة ، فقامت الدنيا ولم تقعد ، حتى اتخذ المسلمون أولى الخطوات لإنشاء علم النحو. والقصة في غاية الشهرة (١) ، وهذا الأثر الهائل كان بسبب لحن شفوى . فكيف يقال إن لغة القرآن حُذيبَت على نمط اللغة النموذجية أي عُدلت أو أُعيدت صياغتها تبعا لقواعد الصياغة الصحيحة التي توصل إليها النحاة في أو اخر القرن الثاني ؟

إن هناك حقائق تاريخية - يصعب حصرها - تدحض هذا الادعاء . وسنجملها في سطور .

⁽۱) القصة في مراتب النحويين ٨ وأخبار النحويين البصريين ٣٤، والفهرست ٦٠، وتماريخ العلماء النحويين ١٦٦، ونزهة الألباء ٢٠-٢٠ وإنباه الرواة ٤٠ ...

- لقد كان القرآن الكريم يُسجَّل خطيا فور نزول آياته واحدة أو مجموعة بعد الأخرى على مدى ثلاثة وعشرين عاما حتى توفى الرسول في ، وكان لله كَتَبَة يقومون بهذا التسجيل الخطى بعد إملائه في عليهم ما أُوحِى إليه . وبذا كان النص القرآنى المكتوب مفرقًا في الألواح والعرائض (١) .
- كتبت منه نسخة مرتبة فى عهد أبى بكر (حوالى ١٢هـ)، ثم عدة نسخ خمس أو سبع سنة ٢٥هـ فى عهد عثمان وورزع أكثرها على الأمصار ليقرءوا عليه ويكتبوا منه (٢).
- لم تحدث بعد ذلك أية إضافة أو تغيير في النص المكتوب، وإنما وضعت رموز:
 - (أ) لحركات الإعراب ثم الحركات القصيرة عامة .
- (ب) لإعجام الحروف المتشابهة الصورة لتمييز بعضها من بعضها (الباء نقطة من تحت ، والتاء نقطتان من أعلى الخ) .
 - (ج) رموز للتقسيم الكمى (أجزاء وأرباع وأسباع وأخماس وأعشار).
 - (c) رموز للسجدات والسكتات وللأداء والوقوف(r) .
- بعد كتابة النسخ في عهد عثمان وتوزيعها لم يحدث أي تعديل في رسم كلماته إلى يومنا هذا ، لدرجة أن بعضا من المسلمين لحظوا في رسم المصحف ما ظنوه خطأ في الإعراب بالحروف ورفعوا ملاحظاتهم إلى عثمان فرفض إجراء أي تعديل في الرسم^(٤) وسيأتي تفصيل هذا .

⁽۱) ينظر باب كاتب النبي ﷺ ، في صحيح البخاري ، وشرحه في فتح الباري ٣٩٦/١٠ .

⁽۲) ينظر الإتقان للسيوطي النوع ١٨.

⁽r) ينظر المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني .

^{(&}lt;sup>؛)</sup> ينظر الاتقان النوع ٤١ .

- بلغ من حرص المسلمين على التزام ما روى عن الرسول وصحبه من ضبط إعرابي أن تجنبوا الأخذ عن إمامين كبيرين من أئمة القُراء النحويين هما ابن محيصن (١٢٣هـ) وعيسى بن عمر (١٤٥هـ) لأنهما أجازا القراءة بضبط إعرابي يتأتى في بعض الأيات ، لكنه لم يكن واردا عن الرسول على الأهامة في القراءة (۱) ، ثم جرى قريب من هذا - بعد نحو قرنين - حيث أجاز محمد بن أحمد بن شنبوذ (٣٢٨هـ) القراءة بما ورد بالرواية الشفوية وتقتضيه العربية في ظنه لكن يخالف رسم المصحف فحوكم وضرب حتى تاب. (١) وكذا أجاز محمد بن الحسن بن مقسم (٤٥٣هـ) القراءة بما وافق المصحف وصح في العربية ولو لم يكن له سند فحوكم حتى تاب(١) ، بل إن محمد بن أحمد بن العربية ولو لم يكن له سند فحوكم حتى تاب(١) ، بل إن محمد بن أحمد بن المسورة النحل) معزوة إلى أبي عمرو في الشاطبية فلما ثبت أن هذا الإدغام الرسورة النحل) معزوة إلى أبي عمرو في الشاطبية فلما ثبت أن هذا الإدغام ليس فيها ، أوقف عن الإقراء حتى رجع عن هذا(٤) وهذه كلها حقائق تاريخية . المعربية أنهم عدّلوا في صياغة القرآن أو قبلوا تعديل صياغته ؟! .

- لقد منع عمر عبد الله بن مسعود أن يُقْرئ الناس القرآن بلهجة قبيلته هذيل ، مع أنها لهجة عربية عربية عربية ، وأمره أن يقرئ بلغة قريش، والمعلوم أن اللهجة الخاصة هي لغة الفطرة . فهل يستقيم أن يُمتع الإقراء بها لكمال الحرص على قداسة نص القرآن ثم يُسمح بالتعديل وإعادة الصياغة ؟

⁽۱) عن محمد بن عبد الرحمن بن محيصن ينظر غاية النهاية ١٦٧/٢ وعن عيسى بن عمر ينظر ١٦٧/١ منه .

⁽۱) ينظر عنه غاية النهاية ٢/٢٥ - ٥٦ .

⁽۱) ينظر غاية النهاية ۱۲۳/۲ - ۱۲۵ .

^{(&}lt;sup>ئ)</sup> نفسه ۲ ۵۷ .

- وكانت تثور مسائل بين الصحابة من أجل ضبط قراءة كلمة ضبط إعرابيا (وستأتى أمثلة لهذا) حسب ما تلقوه عن النبى في . وتضمن كتاب سيبويه مناقشات كثيرة لتوجيه الضبط الإعرابي لقراءة كلمة ، وذلك في بضع مئات من الآيات ، ووقعت تلك المناقشات بين العلماء في القرنين الأول والثاني ، وانصبت على توجيه الضبط بالرواية عن الرسول في والصحابة الذي تلقوا عنه، واستمداد القواعد من هذا الوارد ومن نظائره في القرآن الكريم وفي الشعر والنثر ... فهل يسوغ - مع هذا التدقيق العظيم ، ومع هذا الاستمداد للقواعد من الضبط الوارد في القرآن ، ومع هذه الحقائق المدونة خطيا = أن يُدَعَى أن القرآن أن القرآن كان غير معرب حتى توصل أولئك العلماء إلى قواعد الإعراب ، ثم كروا على القرآن ليطبقوا ما توصلوا إليه فيه ؟!

والأهم من ذلك كله أن تصور كيفية "حذو لغة القرآن على اللغة النموذجية " - حسب ما يدَّعون ، لا يمكن أن يتأتى إلا بتغيير كامل في نصوص كلمات القرآن الكريم ، الإعراب بالحروف شائع في القرآن أوسع شيوع - (في الأسماء الخمسة أو الستة ، وجمع المذكر السالم والمثتى والملحق بهما، والأفعال الخمسة - وهناك منها عشرات الآلاف من الكلمات - فكيف يتأتى تغيير مثل "المتقون"، و"المفلحون"، و"الفاسقون" .. و"يعلمون" و"يتفكرون" .. " إلى " المتقين" و"المفلحون" و الفاسقين " " ويعلموا ويتفكروا " وكذا تغيير " لاتدعو " وما أشبهها من الأفعال المعتلة الآخر إلى " لا تدع " وكذا كل ما تتأثر حروفه بالإعراب .. كيف يقع التغيير في مثل هذا كله مما لا يحصى على الصورة التي ذكرناها أو بعكسها = ثم يقول صاحب الادعاء نفسه (باول كاله ومن معه) إنه لم يحدث تغيير في نص القرآن الكريم "؟!.

إن هذا التناقض يكشف أن صاحب هذا الادعاء لم يكن في وعي عقلي - بله الوعى العلمي - حين أطلق هذا الادعاء . ثم إنه لم يجرؤ أحد من أعدى أعداء القرآن الكريم - وكانوا كثيرين - أن يدَّعِي أنه شارك في إعادة صياغة القرآن الكريم أو أن هذا الحذو ، أو إعادة الصياغة وقع أو أثر عنه أي خبر .

شبهه أسىء استغلالها.

الشبهة التى ربما أخطاً فى فهمها مُذعو خلو القرآن من الإعراب فى القرن الأول الهجرى أو صدره - (والأرجح أنهم لم يخطئوا وإنما استغلوها للتمويه على الناس كبدا للإسلام)، هى أنه لما عظم عدد الأعاجم الذين دخلوا الإسلام، ولم تكن عندهم سليقة لغوية عربية، وكثر وقوعهم فى الخطأ الإعرابي فى قراءة القرآن = انتدب أولو الأمر أبا الأسود الدؤلى (ت ٢٩هـ) ليضع رموزا خطية للحركات الإعرابية تطبق فى المصاحف المكتوبة ليستدل بها الأعاجم على النطق الصحيح. فابتكر أبو الأسود نقطا ترمز بأوضاعها أمام الحرف أو فوقه أو تحته إلى الحركة التى ينبغى أن يُنطق بها . ثم جاء نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ) فوضع نقط الإعجام التى تميز الحروف المتشابهة (الباء نقطة من تحت والتاء نقطتان ...) ولم يكن ذلك معروفا من قبل ، لكن العرب السليمي الفطرة كانوا يميزون الحروف فى الكلمات أى يعرفونها عند القراءة دون حاجة الى إعجام (ثم جاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) فاستبدل بنقط التشكيل حركات التشكيل المعروفة الأن)(١) ومن الطبيعى أن يطبق ذلك فى المصاحف المكتوبة شأن بقية الكتابات الأخرى . ولكن من الواضح أيضا أن وضع الرموز الخطية

⁽۱) بالنسبة لنقط أبى الأسود ينظر مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ١٠-١١ وغيره. وبالنسبة لإعجام عاصم ينظر شرح ما فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى ص١٢ أما حركات الخليل ففى المحكم للدانى ص ٧٠٦.

للحركات الإعرابية في موضعها من كلمات المصحف المكتوب = هو أمر مختلف عن استحداث الإعرابية كانت تنطق في مختلف عن استحداث الإعرابية كانت تنطق في مواضعها من الكلم العربية قبل الإسلام بمئات السنين كما في الشعر الجاهلي، على ما سنفصل فيما بعد ، وإنما الذي استحدث هو الرموز الخطية التي تدل فاقدى السليقة العربية عليها حتى ينطقوها عند قراءتهم للقرآن لتكون قراءتهم صحبحة .

والمتبادر أن مدعى خلو القرآن من الإعراب فى أول الأمر ثم تطبيق الإعراب عليه فى القرن التالى = أخطئوا فهم ابتكار رموز للحركات الإعرابية وظنوا أن ذلك اختراع للحركات الإعرابية الصوتية نفسها أى إيجاد لها بعد أن لم تكن موجودة . وظنهم هذا باطل آثم . وإزاء وضوح هذه المسألة بأدنى تأمل فإن الإنسان لا يستطيع أن يمنع نفسه من ترجيح أنهم إنما تعمدوا استغلال ابتكار الرموز الخطية ليموهوا به ويدعوا أنه اختراع للحركات الصوتية والإعرابية ، كيدا ضد الإسلام وأهله .

الفصل الخامس

نشأة النحو وهو علم قواعد الإعراب

دعانا إلى التعرض هنا لنشأة النحو العربى ما أشير إليه من قبلُ من أن تشعب قواعد النحو مع دقتها وإحكامها أمر يُحيل أو يُصعّب توصل العرب إلى إنشائه ، لقصور عقلياتهم عن ذلك . وقد رددنا على دعوى القصور وفندناها .

لكن يبقى أن نواجه ما تارت عنه تلك الإشارة من تصورات خاطئة .

وقبل بيان هذا الخطأ . نوضح أولا . أن لفظ " النحو " معناه اللغوى هو التحويل والتحريف إلى جانب أو حالة غير الأولى (١) وقد لوحظ في اتخاذ لفظ " النحو " اسما اصطلاحيا لذلك العلم المعروف = تغير حركات أواخر الكلم وتحولها من ضم إلى فتح أو كسر – أو عكس ذلك ، واختلاف الحركات هذا أوضح ظواهر النحو ، وأوضح آثار تغير العوامل (١) فسمى العلم الذي يدرس أسس تحول الحركات هذه وضوابطه بعلم النحو وكأن معناه الدقيق علم (قواعد) اختلاف الحركات ..

⁽۱) أخذاً من قولهم " نحاه ينحوه أى صرفه ، وأنحى بصره عنه صرفه ، ونحا الشئ ينحوه وينحاه : حرفه قيل ومنه سمى النحوى لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب " اهم من تاج العروس (نحو) ، وقد جاء هذا التعليل لتسمية النحو في معجم الأدباء ١/٨٢ منسوبا إلى أبى عمرو بن العلاء ، وفي لسان العرب (نحو) في سياق كلام لابن السكيت أيضا . وهذا التعليل هو المقبول ، لأنه ينوط التسمية بعلة حسية وخاصة ، وهي مع ذلك أهم ظاهرة في النحو : أعنى ضبط أو اخر الكلم تبعا لاختلاف المواقع والعوامل – في حين أن التعليل " بالقصد " عام ، وبعبارة " انحوا هذا النحو " لفظي ، وكلاهما أضعف من أن يعبر عن حقيقة هذا العلم .

⁽٢) انظر التعليق السابق.

وبما أن اختلاف الحركات هذا هو أهم صور الإعراب أى الإبانة - بالحركات وما إليها - عن المعانى التركيبية فإنهم سموا النحو إعرابا أيضا(١) .

ونعود إلى ما عقدنا له هذا المبحث، وهو مواجهة الخطأ الذى ثار عنه ادعاء عجز العرب -ممثلين في أئمتهم المتقدمين- عن إنشاء النحو بقواعده البالغة التشعب مع الدقة. فالذين هالهم تشعب قواعد النحو مع دقتها إلى حد ذلك الإدعاء = بنوا موقفهم هذا - إن كانوا صادقين - على افتراض أن "النحو" كان ترفا أو نافلة أقحمت على الحياة العربية في العهد الإسلامي دون حاجة ملحة تدعو إليه. وأن قواعد النحو هذه البالغة التشعب مع الدقة والإحكام - ظهرت في المجتمع العربي الإسلامي دفعة واحدة. وهذا الافتراض بشقية خاطئ تماما.

فاقد كانت نشأة علم "النحو" ضرورة ملحة لأنه عنصر مهم في لغة القرآن التي يناط البناء العقدى والتشريعي للمجتمع الإسلامي بالضبط الكامل لمبانيها ومعانيها ، حفاظا على سلامة معطياتها ودقتها. فاختلال هذا العنصر يؤدي إلى إبهام واختلال في ما يؤخذ من الكتاب والسنة والآثار الشارحة لهما من مقررات تصوغ الحياة الدينية للأمة . ولذا وجدنا بين علماء الطبقات التي أنشأت النحو كثيرا من القراء ، وذُكِر بعضهم في كتاب سيبويه ، وكانت مشكلات الإعراب المبكرة قرآنية ، واحتوى كتاب سيبويه على ٤٤٤ آية أو شطر آية تكرر كثير منها في مسائل مختلفة .

ويضاف إلى ذلك أمور خاصة باللغة العربية أيضا: الأول هو الطبيعة التعبيرية للعربية: أعنى أنها لغة معبرة عما فى نفوس أهلها - لا رامزة إليه كما يقال عن اللغات الأخرى - فهى تصوره وتمثله بناء على علاقة حقيقة بين

⁽۱) في الإيضاح للزجاجي ٩١ قال "ويسمى النحو إعرابا ، والإعراب نحوا سماعا "وفي تاج العروس (عرب) "والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعانى .. "

الألفاظ ومعانيها ، والأمر الثانى أنها لغة تحفل بالتخصيص والتدقيق الذى يميز الأشياء فى النفس ويلبى حاجة الفكر المتوثب اللماح . والأمر الثالث هو سعة مجال النتاج الرفيع الممتع فى العربية شعرا ونثرا بقوالب متكاثرة .

وصدق التعبير ودقته ، وكذلك المتعة الفنية = احتياجات إنسانية مهمة . والإعراب يسهم في بلوغ العربية غايتها في إشباع هذه الحاجات أيضا .

ومن هنا فإن وقوع اللحن الإعرابي وانتشاره في العقود الأولى من عصر ظهور الإسلام بحكم مخالطة غير العرب، وبحكم التطور الثقافي الهائل = دفع أولى الأمر إلى التفكير في ما يعصم من تحيف اللغة بهذا اللحن الإعرابي - فكان علم النحو.

وإذا كانت الاحتياجات الثلاثة (التشريعي والتعبيري والإمتاعي) هي أكثر الدوافع إلى إنشاء النحو، فإن من وراء هذا أيضا ما يستشعره أهل كل لغة من غيرة إزاء ما يمس وظائفها التي من أهمها خَلْقُ الترابط الاجتماعي، وقولبة الفكر ونقله، وتسجيل الحضارة والقيم

وخلاصة هذا كله أن نشأة علم النحو لم تكن ترفا، ولا نافلة يمكن تخطيها، ولكنه كان ضرورة وتلبية لحاجات ملحة . والحاجة تفتق الحيلة .

وأما أن النحو تمت نشأته بالتدريج فهذا واقع تاريخى . فقد لفتت وقاتع اللحن الإعرابي المبكرة (۱) أنظار أولى الأمر (العلماء والحكام) في الأمة إلى التفكير في ما يحفظ للغة عناصر سلامتها . فوجهوا إلى تعلم عربيتها أي الإعراب المبين عن معانيها التركيبية ، ولفت على رضى الله عنه (ت ٤٠هـ) أبا

⁽۱) فى الاحتجاج بالشعر فى اللغة د. محمد حسن جبل ٣٧-٣٧ عرض مجزئ لموضوع اللحن .

الأسود الدؤلى (79هـ) إلى حركات الإعراب التى تتعاور أواخر الكلم وتختلف المعاتى باختلافها ، وفيها لحن أكثر اللاحنين ، ولَقِنَ أبو الأسود إشارة على ، وضن بها دهرا ، ثم استثير بلحن فى قراءة القرآن فوضع لها رموزا وطبقها خطيا فى المصحف – حسب ما أجملنا سابقا . ولفته هذا إلى ما تطرد فيه كل حركة بعينها ، فاهتدى إلى سر بعض الأبواب منها باب الفاعل وباب المفعول خاصة وكذا الحروف (الكلمات العوامل) التى تُسبَبُ نصب مابعدها أو جره أو رفعه . واختلف إليه طلاب العربية يتعلمون منه . (1)

وتلقت عن الطبقة التى تعلمت العربية على أبى الأسود طبقة، وعنها أخرى ثم أخرى ثم أخرى ثل منهن تدرس الشعر الجاهلى وما بعده ، وعبارات القرآن، وتستقرى اللغة التى صدرت وتسمع من العرب ، ثم تستنبط قواعد جديدة ، أوتفصل وتدقق القواعد التى توصل إليها الذين سبقوها . حتى خرجت الطبقة الخامسة سيبويه (١٨٠هـ) . وقد اشتمل "كتابه " على قواعد النحو الجامعة لجهود من سبقوه . وفي كتاب سيبويه أسماء كثيرين من علماء تلك الطبقات (٢) .

⁽۱) تفاصيل هذه المرحلة من نشأة النحو وتوثيقها في كتاب نشأة النحو د. محمد حسن جبل . تحت الطبع .

⁽۲) ينظر – عن هذه الطبقات وأبرز علمائها: مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى (تح أبى الفضل)، وأخبار النحويين البصريين للسيرا في (تح د. محمد البنا)، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأتبارى. وينظر أيضا طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح محمود شاكر) ۱۲/۱ – ۲۲ وقد اجتزأ.

⁽۲) مثل ابن أبى اسحاق ، وعيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب ، وأبى الخطاب الأخفس والخليل ومثل ابن مسعود رضى الله عنه والأعرج وهارون ومجاهد والأخيرون أئمة في قراءة القرآن .

- لقد نشأت قواعد النحو استخلاصا بالاستقراء من الكلام العربى المأثور في الشعر الجاهلي والإسلامي، والجاري في عصير الاحتجاج، وكان القرآن الكريم بضبطه المتلقى عن النبي في وأصحابه مستوى رفيعا من ذلك الكلام العربي الذي استخلصت منه القواعد.

- وقد عبر الإمام أحمد بن يحيى (تعلب) (٢٩١هـ) عن كون كتاب سيبويه هو خلاصة جهود الأئمة السابقين - مع جهده - بقوله "اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل "(١) ولب هذه المقوله صحيح تماما . أما كون القواعد مستخلصة من القرآن الكريم ومن كلام العرب شعره ونثره فيشهد له الكم الهائل من العبارات العربية التي تضمنها (الكتاب) ونوقش ضبطها وإعرابها فيه فقد بلغت العبارات القرآنية فيه ٤٤٤ (أربعا وأربعين وأربع منه) عبارة، وفيه ١٠٥٠ (خمسون وألف) بيت من الشعر، وصمور وثلاثون وسبع منة وتسعة آلاف) جملة(٢).

- وقد ذكرنا هذا كله لتتبين صورة التدرج في إنشاء قواعد النحو . ونضيف إلى ماذكرناه أن النحو - على صورته في كتاب سيبويه - قد استغرق إنشاؤه نحو قرن ونصف بدءا من حياة سيدنا على (المتوفى ٤٠هـ) إلى سيبويه (المتوفى نحو ١٨٠هـ) ، وتطورت أبوابه ومباحثه من مقررات مجملة إلى

⁽١) المقوله في الفهرست ٧٦ وإنباه الرواة ٢٤٧/٢.

⁽۲) الإحصائية: الآيات القرآنية وأبعاضها من فهرس الكتاب للعلامة عبد السلام هارون، والشعر معلومة مشهورة وموثقة ينظر عنها الخزانة (هارون) ۲۱/۱ "كلمة الجرمى، والجمل من كتاب شرح جمل سيبويه" د. محمود سليمان ياقوت ۱/٥-٧و ١٠٩٨/٢ وإحصاؤه يشمل العبارات المروية في الكتاب تحقيق العلامة هارون فيه (٣٥٤) عبارة بإضافة الأمثال (٤١) مثلا إليها.

تفاصيل دقيقة تكاد تستوعب كل الصور المحتملة . وتطور الأبواب هذا تصوره شهادة يونس بن حبيب لعلم عبد الله بن أبي إسحاق (١١٧هـ) بالنسبة لأهل عصره في أوائل القرن الثاني الهجري أنه "هو والنحو سواء . أي هو الغاية" أي هو قمة العلماء بالنحو في عصره . ثم شهادته عن نسبة علمه (أي ابن أبي إسحاق نفسه) بالنحو إلى علم عصر يونس في أواخر ذلك القرن الثاني - إذ قيل له " أين علمه من علم الناس اليوم ؟ فقال " لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه (أي علم ابن أبي إسحاق) يومئذ = لضُحك به " أي لصار مثارا للسخرية لضآلة حصيلته منه بالنسبة لما حصله الناس من ذلك العلم بعد نحو ستين سنة من حياته . ثم أضاف في شهادته " ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ، ونظر منظر هم كان أعلم الناس "(۱) .

هذا المجمل التاريخي لنشأة النحو يزيف التصور الواهم أن قواعد النحو كانت نافلة لا تقضى بها ظروفها الزمنية ، وأنها وجدت دقيقة محكمة في طفرة ترجح أنها من صنع مدارس محترفة غير عربية أو مدارس متأخزة .

بل إننا نقول إن كتاب سيبويه وحده - بما احتشد فيه من آراء العلماء السابقين له في المسائل التي تولد عنها النحو، وبتلك المسائل المنصبة على أساليب وعبارات قرآنية وعربية، وبصياغته التي لم تلتزم بحصر مسائل كل باب في إطاره و لا بترتيب الأبواب ترتيبا مدرسيا كفعل المحترفين .. نقول إن كتاب سيبويه بهذا كله يشهد وحده بأن النحو نشأ نشأة طبيعية ، وتكاملت أبوابه بالتدريج . فهو نبت أصيل للبيئة العربية على أيدى العلماء العرب واستمدادا من أساليب لغتهم ، ولضبطها وتقنيتها .

وكل كلام غير هذا هو مرسلات جزافية غير علمية ولا تمحيص فيها.

* * * * *

⁽۱) الخبر في طبقات الشعراء (تحد محمود شاكر) ۱٥/١ وفي أخبار النحويين البصريين للسير افي (تحد د. البنا) ٤٣-٤٣ وفي طبقات النحويين للزبيدي ٣١-٣٣ .

الفصل السادس

تشعب النحو تشقيق علمي وراءه قواعد كلية محدودة

هذا المبحث هدفه بيان أن النظرة إلى النحو العربى نظرة علمية شاملة ومدققة تكشف أن التشعب الذى هول أمره جاحدو أصالة الإعراب، وبنوا عليه ادعاء عجز العرب وقصور هم عن وضع قواعده هو مجرد تشقيق علمى لظاهرة منضبطة من ظواهر العربية ، وأن له فى الحقيقة إطارا إجماليا يجعله فى متناول القدرة الفطرية والدراسية أيضا .

ذلك أن تركيب الكلم جملا تتكون من مواقع لكل منها جنس من الإعراب يقوم على مايلي:

أ - من حيث هيكل التركيب: الجملة الفعلية هي أساس التركيب والجملة الاسمية محمولة عليها مشبهة بها(١).

ب - العمل للفعل بالأصالة ، وللحرف تشبيها بالفعل وله بعض الأصالة . والأسماء لا تعمل إلا حملا عليهما (٢) .

⁽۱) ينظر الإيضاح ۷۱ وفي ضونه يفسر باقي ٦٩/ منه والمقتصد (شرح عبد القاهر لإيضاح أبى على) ۲۱۰/۱ والبسيط (شرح ابن أبي الربيع لجمل الزجاجي) ٥٩/١ والبسيط (شرح ابن أبي الربيع لجمل الزجاجي)

⁽۱) ذكر أصالة الفعل في العمل الإعرابي في الأصول ا/٥٤ ، والهمع ١٥٩/١ ، والأشباه والنظائر (تحد د/ مكرم) ٢٣٨/٢ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، وذكر حمل الحرف على الفعل في العمل في الكتاب ١٤٠ ، ١٢١/١ ، ١٤٠ ، والإيضاح ٧١ ، والمقتصد ١١١/١ (وأغفل في العمل في الكتاب ١٤٠/١ ، ١٤٠ ، والإيضاح ٢١ ، والأشباه والنظائر ٢٨٨/٢ ، الأمر وشرح الرضي الكافية (١/٩٠١ -١١٠ ، ٢٥٧) ، والأشباه والنظائر ٢٨٨/٢ ، ١٤٠ وفي هذا الأخير أيضا أن للحروف المختصة أصالة في العمل ينظر ٢٤٠٠، ٢٤٥ ، وذكر حمل الأسماء في العمل على الأفعال في الإيضاح ١٣٥ حيث ذكر تصريحا وتفصيلا أن اسم الفاعل (ضارب) يعمل الفعل =

- ج الإعراب للأسماء بالأصالة لأنها هي التي تسند إليها الأخبار وتوقع عليها^(۱) والبناء للأفعال والحروف بالأصالة، لأن معانيها لا يعتورها (أي لايقع عليها بالتداول) ما يوجب اختلاف اللفظ، ولا يجوز أن يغير اللفظ لغير معني^(۱) وأعربت الأفعال المضارعة لمضارعتها (أي مشابهتها) الأسماء^(۱).
- د أصول مواقع الكلم فى الجملة وإعراباتها ثلاثة: الفاعلية ، والمفعولية ، والإضافة . فالرفع للفاعل ، والنصب للمفعول ، والجر للمضاف إليه (أ) ، والمبتدأ مشبه بالفاعل (والخبر محمول على المبتدأ) وكذلك اسم كان وأخواتها وخبر إن وأخواتها مشبهات بالفاعل (أ) والمنصوبات كلها وفيها

^{= (}يضرب) لمضارعته إياه ، والمصدر يعمل عمل الفاعل لأنه اسم للفعل وفيه دليل عليه ، و " إن " المشددة وأخواتها و "ما " في لغة أهل الحجاز تعمل عمل الفعل لمضارعتها إياه ، والصفة المشبهة باسم الفاعل هي أنقص مرتبة من المصدر .. وإنما جاز أن تعمل لأنها مشبهة باسم الفاعل لأنها صفة كما أنه صفة .. والمميّز يعمل عمل الفعل - و لا يعمل إلا في نكرة ، لأنه أنقص مرتبة من الصفة وفي جملة الكلام عليه دليل ، كما في الفعل دليل على المفعول فنصب لمضارعته المفعول " يراجع الأشباه والنظائر ٢٣٨/٢ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ .

⁽١) ينظر الإيضاح ٦٩ ، والمقتصد ٨١/١ - ٨٢ .

⁽۲) ينظر المقتصد ۱۰۷/۱ – ۱۰۸ .

⁽۳) ينظر الكتاب ۱۱/۱۱ – ۱۶، والمقتصد ۱۱۷/۱.

^{(&}lt;sup>3)</sup> ينظر الإيضاح ٦٩ ، والمقتصد ٢١٠/١ والبسط ٢٥٩/١ ، ٢٥٩ ، وشرح ابن يعيش للمفصل ١١٧/٢ ، وشرح الرضى الكافية ١١٩/١ - ١١٠ .

^(°) ينظر المقتصد ٢١٠/١ (وكون الخبر هو المبتدأ) في الأصول ٢٦٢، والتبصرة ٢٠٠١، والمقتصد ٢٥٨/١ وشرح ابن يعيش ٨٧/ ، والبسيط ٢٥٩/١ ٢٦٢ ، ٢٦٨، وشرح الرضي الكافية ٢٩٥/١ – ١١٠ .

خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها - مشبهات بالمفعول به ومحمولة عليه. (۱) وما وجد فيه معنى الإضافة يجر بالحرف ظاهرا أو بمعناه .

ويتضح مما ذكرنا الآن أن الإعراب في حقيقته هو نظام كامل من العلاقات ينتظم كل كلمة في الجملة فعلاكانت أو اسما أو حرفا - لتكون عنصرا من عناصره يعمل أو يتأثر أو يتعلق . ولكنه عند الصورة الكلية - وهي الصورة الفطرية التي تتربي بها السليقة = يدور في إطار نوعين من الجمل (: فعلية واسمية) يرجعان من حيث التأثير والتأثر إلى نوع واحد .

فالتشعب الذى يعجز الضبط أو يعسره هو دعوى ناشئة عن نظرة جزئية قريبة المدى وغير ممحصة .

هـ - الرفع العلامة الأولى جعلت لما هو أول . والنصب والجر للمعانى الموقعية الثواني ، والجر للمعاني الموقعية الثوالث (٢) .

^{(&#}x27;) ينظر الكتاب (هارون) ٢ ١٣١ . ١٤٠ ، والإيضاح ٤٩: " والحال مفعول بها عند البصريين ، وعند الكساني هي مضارعة للوقت ، والوقت مفعول فيه ، وهي عند الفراء بمعنى الجزاء الممكن وغير الممكن ، وله في ذلك شرح طويل - إلا أنه " لا يتبع الفعل بعد الفاعل إلا مفعول أو ما كان في حيزه " ، ٦٤: " إن وأخواتها ضارعت الفعل المتعدى إلى مفعول فحملت عنيه فأعملت إعماله لما ضارعته ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظا ، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظا ، فهي تشبه من الأفعال ماقدم مفعوله على فاعله نحو " ضرب أخاك محمد " وما أشبه ذلك " ، ٢١: " إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال لأنه يُذكر بعدها اسمان أحدهما فاعل والآخر مفعول فمعناهما مختلف ، فوجب الفرق بينهما . ثم جُعل سائر الكلام على ذلك . وأما الحروف التي ذكرها فمحمولة على الأفعال" ، ١٣٥ " أن التمييز مشبه بالمفعول به " . وانظر : كذلك المقتصد ١/١١، وشرح الرضى الكافية ١/٩٠١ - ١١٠ .

⁽۲) اختلفت عبارات الأئمة في تفسير اختصاص أنواع الإعراب بالمواقع، والمؤدى واحد. ففسر اختصاص الرفع بالفاعلية بأولية رتبة كل منهما أو أنه الأصل (المقتصد ١/٩٠١ -=

- و والأفعال المضارعة إذا تجردت عن العوامل فإنها تحمل العلامة الأصلية: الرفع، وإذا سُبقت بحروف فيها معنى الاستقبال ميزت بعلامة هي النصب (١).
- ز ثم هناك التوابع وهى تحمل إعراب متبوعاتها ، لأنها إما أن تكون نفس المتبوعات كالنعت والبدل والتوكيد وعطف البيان (۲) ، وإما أن تكون مُشْرَكة معها فالحكمة التركيبية تقتضى أن تُعَرب إعرابَ ما اشتركت معه..وذلك عطف النسق.
- ح وتبقى تكملة لأسس الإعراب تلك هي أن هناك رتبا نمطية للمواقع في
 الجملة كتقدم المبتدأ على الخبر ، والفاعل على المفعول ، وصحاحب الحال
 عليه ، ومصاحب المفعول معه عليه ، والمستثنى منه على المستثنى .

⁼ ۲۱۱ ، البسيط ۱/۱۵) ، وبأن الرفع للعمد (البسيط ۲۰۹/۱ ، وشرح الرضى الكافية المرح ، ۱۱۰ ، او للفاعلية ثم عمم فى العمد (البسيط ۲۰۹۱) - وفى هذه الحالة يكون غير الرفع أى النصب والجر الفضلات . وقد حكى ابن جنى عن الزجاج تفسير رفع الفاعل ونصب المفعول بالفرق أى المخالفة ، وأن التخصيص راجع إلى قلة الفاعلين لأن الفعل لا يكون له إلا فاعل واحد ، فى حين يكون له مفاعيل فجعلوا الرفع التقيل لما هو قليل فى كلامهم والنصب الخفيف لما هو كثير (ينظر الخصائص ۱/۹۶) . وكذلك فسر النصب بالفرق فى البسيط ۱/۲۶۰ ، وفسر الجر أيضا بالمخالفة (شرح ابن يعيش للمفصل ۱۱۷/۲ ، وشرح الكافية ۱/۰۲) .

⁽۱) يمكن النظر إلى التجرد من العوامل على أنه الأصل والى الرفع على أنه الأصل كذلك . أما عزو النصب إلى معنى الاستقبال فهو استخلاص من دراسة نواصب المضارع .

⁽۲) النعت هو المنعوت " ينظر شرح ابن يعيش المفصل ۳۸/۳ ، وشرح الرضى الكافية المراد الرضى الكافية المراد ، والهمع (النعساني) (۲۳۰، ۲۳۰، ٤٨/٤)، لأنه تعبير (بالصفة) عن (ذات) الموصوف، وعطف البيان هو المبيَّن ، والبدل هو المبدّل منه أو بعضه ، والتوكيد هو المؤكد . ولانزاع في أي من هذه .

والمميز على التمييز ... ، وكتقدم الفعل على فاعله ، ومرجع الضمير عليه ... وكالترتيب بين المنصوبات بعضها وبعض إذا اجتمعت .. وكثير من هذه الرتب تجوز مخالفته ، لكن هناك قيمة لتحديد الرتب الأساسية ، إذ قد يلجأ ، إليها في تعيين المواقع عند غياب علامات الإعراب في مثل مدح موسى عيسى . وهناك أمثلة كثيرة لذلك ذكرها ابن جنى في كلمته التي اقتبسناها منه مع ما اقتبسنا من كلام الأنمة عن دلائة الإعراب على المعنى وستأتى .

* * * * * *

وهكذا ثبت بالتحليل العلمى المستند إلى مقررت أئمة العربية - أن تشعب قواعد الإعراب الذى هوال خاحدو أصالة الإعراب وقمته - وراءه صورة مجملة محدودة التفاصيل ، محكمة سهلة الاستعاب الاعل الفضرة والعامة والدارسين . وخلاصتها :

١ - تركيب الجملة العربية من مسند ومسند إليه. وتكميرت (وهي كل ماعدا المسند والمسند إليه).

٢ - علامات الإعراب موزعة هكذا:

- أ الرفع للمسند إليه (فاعلا أو نائبه أو مسبهه المبت وخبره واسم كان وخبر إن) وللمضارع المجرد .
- ب النصب للتكملات مالم يُسْبَقُ أى منه حرف جر ، وللمضارع المسبوق بحروف معينة .
 - ج- الجر لما سُبق بحرف جر أو كان فيه معى الإضافة .
 - د الجزم للمضارع الواقع في حيز الجوازم
- هـ البناء على علامة الجزم لفعل الأمر وعنى السكون للمضارع المسند لنون النسوة ، وعلى الفتح للماضي والموكد بنون التوكيد .

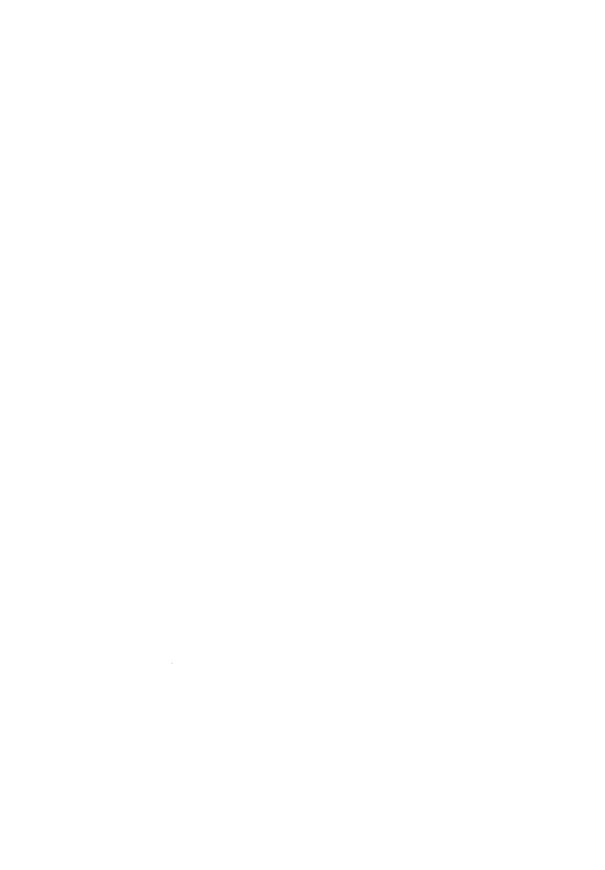


الماك الثالث

شواهد تطبيقية واقعية لأصالة الإعراب ووجوده في القرآن الكريم منذ أول نزوله ، وفي عربية القرن السابع الميلادي وما قبله

لدينا شواهد تطبيقية واقعية كثيرة تثبت أصالة الإعراب ، وأنه كان موجودا وممارسًا في القرآن الكريم منذ نزوله ، وفي النتاج اللغوى العربي الذي وصل إلى عرب القرن السابع الميلادي .

- وسنعقد الفصل الأول من هذا الباب للشواهد الصوتية التي تثبت التزام أهل عصر البعثة بقراءة القرآن مُعْرَبًا .
 - ونعقد الفصل الثاني للشواهد الخطية المسجلة في رسم المصحف.
- ونعقد الفصل التالث لإثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي .. وفي هذا الفصل سنقف أولا وقفة علمية قصيرة لإثبات صحة الشعر الجاهلي نفسه ، ثم نتحرك إلى شواهد وجود الإعراب في ذلك الشعر الجاهلي . وهي شواهد متنوعة .



الفصل الأول

شواهد صوتية نوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادي)

هذا الفصل مخصص للشواهد الصوتية . ونقصد بالشواهد الصوتية ما ورد من أخبار تصف قراءة لرسول الله في ، وقراءات للصحابة والتابعين في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) . ويؤخذ من وصف قراءة الرسول في أنه يقرأ القرآن معربا ، أما قراءات الصحابة والتابعين فمأخذ شواهد قراءتهم بالإعراب فيها أنهم اختلفوا أو ثارت بينهم مناقشات في القراءة انصبت على الضبط الإعرابي في نطق كلمة من الآية محل القراءة والخلاف . وهناك أيضا قراءات للصحابة نطقوها بضبط إعرابي مخالف للشائع الذي قرأ به الآخرون . والشاهد في هذه القراءات المخالفة أنها اقتضت تأثيرات إعرابيسة لم تكن موجودة، وأن الذين قرءوا بها أجروا تلك التأثيرات فعلا وسجّلت لهم ، مما يدل على وعي فطرى باطنى بقواعد الإعراب، إذ كانت القراءة في كل ذلك متطابقة مع ما كشفته الدراسة النحوية فيما بعد من قواعد الإعراب . وواضح أن كل هذا يثبت وجود الإعراب وممارسته نطقا في القراءة في ذلك القرن الأول .

الشاهد الصوتى الأول:

هو ما جاء في صحيح البخارى "عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفّل المُزنِي قال: رأيت رسول الله في يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح. قال فرجَع فيها. قال: ثم قرأ معاوية يحكى قراءة ابن مغفّل. وقال لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجَعات كما رجَع ابن مغفّل يَحكِي

النبي عليه: قال شعبة (الرواي عن معاوية) فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال آ آ آ ثلاث مرات. أهـ^(۱) والترجيع هو الترديد أي تكرير الصوت. والمقصود هنا تكرار ألف المدّ كما هو صريح في آخر الحديث . وإنما يظهر الترجيع ويتميز مده عند الوقف - حيث يتمثل الترجيع في تكر ار المدّ بعينه عند كل وقف فالمقصود هنا هو مدّ الألف في أواخر الكلمات التي خُتِمت بها آيات سورة الفتح، لأن أواخر الآيات هي مواضع الوقف الأساسية التي يتم عندها الكلام. وآيات هذه السورة كلها مختومة بألف مد (مُبيناً / مُسْتَقِيمًا / عَزيزًا / حَكِيمًا / عَظيمًا ...) الخ . والآن فإن ألف المد التي في أو اخر الآيات هنا هي مد إبدال من تتوين النصب. والنصب وتتوينه من الإعراب. فهذا شاهد على أن النبي عِلَيُّ كان ينطق القرآن معربا . ولو كان غير معرب لنطقت كل تلك الكلمات بالسكون. هذا ، ولايجوز تأويل الحديث بأن المقصود كل ألف مد ولو كانت في وسط الكلام ، لأن ألفات المد التي في وسط الكلام لا تلفت السمع لأنه لا يوقف عليها ، ولأنها ليست جنس المد الوحيد في أثناء الكلام - فهناك المد بالواو والمد بالياء . وما دام الحديث عن مدّ الألف ووصفه بأنه مرجّع فلا ينطبق هذا إلا على أواخر الآيات التي هي مواضع الوقف كما قلنا .

كما لايجوز - من باب أولى - أن يفسر هذا الحديث الشريف بأن الرسول على كان يكرر الألفات متوالية مجردة من الكلام أي من باب الدندنة ،

⁽۱) صحیح البخاری " کتاب الشعب " ۱۹۲/۹ " کتاب التوحید " و هو أیضا فی باب الترجیع ضمن أبواب کتاب فضائل القرآن دون حکایة صوت القراءة . وقد رسمت (الحکایة) فی فتح الباری (الحلبی) ۲۰۲/۱۰ (ءا ،ءا ،ءا) و هذا الرسم و الذی فی المتن و نقاناه فی أعلی الصفحة (آآآ) صحیحان . و رسمت فی فتح الباری ۱۹/۱۰ (أاأ) . وفی تفسیر القرطبی (دار الکتب) ۱۹/۱ (آء) و هما لیسا صحیحین لأنه لیس فی سورة الفتح ألفات ممدودة (أی آخر المد فیها همزة) متوالیة فتحکی بهذا وقفا أو غیر وقف .

لأن نص الحديث أنه على كان يقرأ سورة الفتح - لا أنه كان يدندن . هذا إلى أن مقام رسول الله الأعظم وجلالة قدره تنفى هذا التفسير - فلم يبق إلا ما قلناه ، وهو يثبت الإعراب بالنصب ثبت غير النصب لأنه لافرق (١).

الشاهد الصوتى الثانى:

وهو من أوضحها وأطرفها . ما وقع بين سادتنا عمر بن الخطاب من ناحية وزيد بن ثابت وأبى بن كعب من ناحية أخرى في الضبط الإعرابي لكلمة الأنصار في الآية الآتية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ (ساتوبة ١٠٠) حيث قرأ عمر برفع كلمة " الأنصار" وقرأها زيد بن ثابت (٢) بالجر، فسأل عمر أبي بن كعب (٣) فقرر أنها بالجر . وكان مثار الانتباه هو المعنى الذي

⁽۱) هذا التحليل والتفسير للحديث الشريف مسئوليتي والفضل لله . وقد جاءت تعليقات الإمام ابن حجر على الحديث بكلام مجمل في فتح الباري (الحلبي ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م) ابن حجر على الحديث بكلام مجمل في فتح الباري (الحلبي ١٦٧١ رأى أن الترجيع المحكي كان من هز الناقة . وهو كلام ضحل يفتقد نور العلم والأدب . وينظر فتح الباري ١٤٤٤/١ - ٤٤٤ في موضوع التغني بالقرآن وله صله بموضوع الترجيع وإن لم يربط بينهما .

⁽۲) سيدنا زيد بن ثابت من أكابر أصحاب رسول الله ، وهو أنصارى ، وكان أكبر كتاب ألوحى للنبى ، وكان كبير لجنة جمع القرآن فى مصحف فى عهد سيدنا أبى بكر ولجنة تحرير عدة نسخ من المصحف لتوزع على الأمصار فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنهم جميعا . توفى سنة ٥٤ هـ .

⁽⁷⁾ سيدنا أبيّ بن كعب من أكابر أصحاب رسول الله في ، وهو أنصارى خزرجى ، وكان من كتاب الوحى أيضا، وهو من علماء الصحابة بالفقه، وقراءة القرآن. قال عنه النبى في " أقْرأ أمتى أبي بن كعب " توفى سنة ٣٢هـ أو قبلها. رضى الله عنه وعن الصحابة جميعا .

يقتضيه كل من الإعرابين .ولنقرأ القصة بعبارة المفسر العظيم أبي محمد عبد الحق بن عطية (ت٥٥٤هـ) يقول: وقرأ عمر بن الخطاب ... ﴿ وَالسَّابَقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارُ ﴾ برفع الراء عطفا على (والسابقون) (أي فيكون الأنصار فريقا آخر غير السابقين الأولين لأن العطف يقتضى المغايرة ، فلا يكون الأنصار داخلين ضمن السابقين الأولين ويكون السبق والأولية مقصورين على المهاجرين ، وعمر منهم كما نعلم) ، ثم قال ابن عطية : "وأسند الطبرى أن زيد بن ثابت سمع عمر يقرأ هكذا ، فراده (أي راجعه مبينا أن القراءة بالجر) فبعث عمر - رضى الله عنه - إلى أبيّ بن كعب فسأله ، فقال أبيى بن كعب: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذينِ اتَّبَعُوهُمْ بإحْسَان ﴾ بجر لفظ " الأنصار (عطفا على المهاجرين) (فيكون الأنصار داخلين مع المهاجرين ضمن السابقين الأولين) فقال عمر - رضى الله عنه -"ما كنا نُرى إلا أنا قد ر'فِعْنا رَفْعةٌ لا ينالُها معنا أحد " . (يعنى كنا نحن المهاجرين نظن أننا خُصِصِتنا بوصف السابقين الأولين لا ينال هذا الوصف معنا أحد) فقال أبيّ : إن مصداق هذا (يعني مصداق كون الأنصار مع المهاجرين ضمن فِئَة السابقين - وهذا يقتضي الجر) في كتاب الله في أول سورة الجمعة ﴿ وَآخَرِينَ مَنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ (يعنى أن هذه الآية وصفت التابعين الذين يجيئون بعد حياة النبي على بأنهم "آخرين " وأنهم " لمَّا يلحقوا " بالذين (بُعِث فيهم النبي) أي بجيل الصحابة الذين ذُكروا في الآية التي سبقت آية " الآخرين " هذه ، فالصحابة جميعا مهاجرين وأنصاراً هم السابقون الذين لمّا يَلْحقُّهم جيلُ التابعين . ثم قال أُبَى: ومصداق هذا أيضًا في سورة الحشر ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبُّنَا اغْفِر لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَان اللهِ، وفي سورة الأنفال في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَــدُوا مَعَكُمْ فَأُوَّلَئِــكَ مِنْكُمْ ﴾

قال ابن عطية : "فرجع عمر إلى قول أبي (أي أخذ بقراءته)(١) .

ونوضح هنا أمورا:

- ١ الواقعة ثابتة رويت في أكثر من مرجع بأكثر من سند(٢).
- ٢ كان عمر يقرؤها بالرفع سليقة بناء على مافى قلبه من معناها بدليل رواية أنه سمع رجلا يقرؤها (بالجر وبواو قبل "الذين") فأخذه وسأله عمن أقرأه هكذا فقال الرجل: أبي بن كعب. فذهب إلى أبي وسأله إن كان سمع هذه القراءة من النبي في فأجاب أبي بالإيجاب ").
- " ينبغى أن لا نتوقع أن يستعمل عمر أو أبيّ أو غيرهما مصطلحات " رفع " و " جر " وغيرهما ، لأن هذه مصطلحات نشأت بعدهم . وإنما يعبر كل منهم عن القراءة التي يختارها بأن يقرأها ويقول هي هكذا والمعنى في قلبه بحسبها .
- ٤ انفرد الزمخشرى (ت٥٣٨هـ) في ذكره هذه الواقعة بجعل مناط الخلاف هو ترك عمر الواو بأن قرأ ﴿ وَالأَنصَارِ اللَّذِينَ اتَبَعُوهُمْ .. ﴾ فيكون الموصول " الذين " صفة الأنصار (٤) لكن عرض الزمخشري هذا للواقعة هو

⁽۱) المحرر الوجيز لابن عطية (قطر) ۱۲/۷-۱۳ بتصرف للتوضيح . وينظر مفاتيح الغيب (الغد العربي) ۱۶۷۸-۱۶۷ . " ومن بعد" في الآية مقصود بها من بعد الحديبية .

⁽۲) ذكرت في الدر المنتور (دار الفكر) ۲۲۸/۲ - ۲۲۹ بثلاثة أسناد منها اثنان في الطبرى (شاكر) ۲۷/۱۶ - ۴۳۷ والقصة في تفسير الرازي ۱۶۲/۸ - ۱۶۷ (مع تكرار وسقط) والقرطبي ۲۳۸/۸ وأبي حيان ۹۲/۵ ، وابن كثير ۳۸۳/۲ ، وانظر أيضا المحتسب لابن جني ۲۰۰/۱ .

⁽۲) ينظر تفاسير القرطبي . والزمخشري (الكشاف - دار المعرفة - ۱۲۹/۲)، والرازي ، وابن كثير في المواضع المذكورة في التعليق السابق .

⁽ن) ينظر الكشاف (دار المعرفة) ٢/٢٩١ .

دون غيره في الدقة ، لأن عرض بعض المصادر السابقة له وكذا المعاصرة يغفل قراءة عمر بإسقاط الواو^(۱) وقصارى ما يمكن أن يستخلص من مجموع الروايات أن قراءة عمر كانت تجمع الأمرين: رفع كلمة الأنصار ، وإسقاط الواو – وقد نصت على ذلك بعض الروايات ^(۱) ، وأن الذي هو أكثر لفتًا لحس العربي وإثارة للخلاف هو رفع كلمة الأنصار ؛ لأن القراءة بالرفع تضرج الأنصار من السابقين الأولين وتقصر الأولية والسبق على المهاجرين^(۱) وهذا هو معنى قول عمر : "ما كنا نُرى إلا أنا رُفِعنا رَفْعة لا ينالها معنا أحد " في حين أن قراءة الجر تُدخل الأنصار مع المهاجرين في السبق والأولية – فلا تلفت الانتباه .

- فهذه الواقعة تثبت وجود الإعراب بالحركات ودلالته على معنى فى القرآن منذ أول عهده حيث أحس عمر (ت٢٣هـ) وأبى (ت٣٢هـ) و قبلها) وزيد بن ثابت (٤٥هـ) بحركة إعراب لفظ "الأنصار" وأثر هذه الحركة فى معنى الآية على ما أسلفنا.

الشاهد الصوتى الثالث:

هو واقعة ليست أقل طرافة من السابقة . فقد روى أن أعرابيا قدم المدينة في زمان عمر -رضى الله عنه- (ت٢٣هـ) فطلب من يقرئه شيئا من القرآن،

⁽۱) لم يذكر المحتسب لابن جنى (ت ٣٩٦هـ) ٢٠٠٠/١ ترك عمر للواو – مع أن المحتسب مخصص للقراءات الشاذة ، وكذا لم يذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ١٢/٧ – ١٣.

فى الدر المنثور 3/17 وهى فى الطبرى 3/17 – الأثر رقم 1711 وقد جاءت دون سند فى تفاسير الرازى 187/4 ، والقرطبى 3/7/4 وغيرهما .

⁽۳) هذا التحليل يتفق مع ما ذكره الفخر الرازى في تفسيره (١٤٧/١٥) . ولأبي حيان في البحر ٩٢/٥ تفسير بضاد المراد . والباقون من المفسرين أجملوا .

فأقرأه رجل أول سورة براءة وفيه ﴿ وَأَذَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجّ الأَكْبَرِ أَنَ اللّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ - أقرأه بكسر لام كلمة "رسوله" الأخيرة . ففهم منها الأعرابي - متعجبا ومنكرا - أن الله تعالى برئ من رسوله . وبلغت الواقعة عمر فاستدعى الأعرابي وسأله ، فقص عليه قراءة الرجل . فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي . فقال الأعرابي : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال ﴿ ... أَنَّ اللّه بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (بضم لام كلمة رسوله) . فقال الأعرابي : " وأنا والله أَبْرَأُ ممن بَرِئَ الله ورسولُه منهم " . فأمر عمر أن لا يقْرئ الناس إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود (ت ٢٩ هـ) أن يضع النحو .

- والقصة ثابتة بروايات كثيرة (١) وأهم اختلاف في روايتها أنها وقعت في عهد زياد (ت ٥٣ هـ) وأنه الذي ناط بأبي الأسود وضع النحو؛ فهي واقعة بين سنتي ٢٠ و٥٣هـ والأشبه أنها بين سنتي (٤٥-٥٣هـ) في عهد زياد . وواضح فيها ملاحظة إعراب "رسوله" بالرفع أو الجر وأثر ذلك في المعنى - على ما هو واضح في سرد الواقعة .

⁽⁾ الواقعة في الدر المنثور "دار الفكر " ١٣٠٤ ، ١٣٠ بصورتين ، وكذا في نزهة الألباء ١٩٠٠ ، وفي المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٠٦ ، مسندة إلى معاوية مجملة والمرجح أنه يقصد زيادا – ينظر المحكم للداني تح د. عزة حسن ص ٣ ، وسماع القراءة في هذه القصة مسند إلى أبى الأسود نفسه في عهد زياد ، وبه استنفر إلى وضع النحو في المحرر الوجيز والمحكم ومراتب النحويين ٨ وأخبار النحويين البصريين ٣٤ والفهرست ، ٦ وإنباه الرواة ١٠/١٤ .

الشاهد الصوتى الرابع:

الشاهد الصوتى الخامس:

كان يحيى بن يعمر (٩٨هـ) مشهورا بالفصاحة وبالعلم بالعربية فسأله الحجاج (٩٥هـ) وكلاهما تابعى - إن كان يلحظ عليه أنه يقع منه لحن . فبين له يحيى أنه يلحن فيرفع خبر كان - وهى " أحب " في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاوُكُمْ وَأَبْنَاوُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ وأن الصواب نصب " أحب "أحب " فخشى الحجاج أن تهتز هيبته بشيوع خبر لحنه ، فالجأ يحيى

⁽١) تفسير الطبرى (شاكر) ٩٥/١٠ والآية من المائدة ٦ .

⁽٢) ينظر السابق وتفسير ابن كثير (مكتبة التراث الإسلامي) ٢٥/٢ - ٢٦ .

⁽⁷⁾ الآية كاملة هي كما يلي : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتَجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَ إِلَيْكُمْ مِنْ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتَجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَ الْيَكُمْ مِنْ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتَجَارِةٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحْبُ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سوجهاد في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَى يَأْتِي اللّه بِأَمْرِهِ وَاللّه لا يَهْدِي الْقُومْ الْفَاسِقِينَ ﴾ (ساتوبة ٢٤).

إلى خراسان (۱) . وقد وقعت هذه القصة بين سنتى ٨٦ و ٨٦ هـ أى فى القرن الأول الهجرى أيضا .

الشاهد الصوتى السادس:

وهو يتمثل في قراءات الصحابة الذين اقتضت قراءاتهم إعرابا مختلفا عن الإعراب الذي جرت عليه القراءات الأخرى ، ونبّه رواة القراءات والعلماء الذين أدركوا وضع المصطلحات إلى أن هؤلاء الصحابة التزموا (بفطرتهم) الأثر الإعرابي الذي تقتضيه قراءاتهم، مما يدل على أن الإعراب كان موجودا ومطبقا تطبيقا سليقيا فطريا في عصر هؤلاء الصحابة .

- ولا يجوز الادعاء بأنهم اختلقوه ، لأن الإعراب يلحق الكلام الذى ينطقه كل العرب ، فلا يتأتى أن يخترعه فرد أو أفراد ، ويشيع فى أمة لغير سبب يمس صميم الحياة ، ويأتى متسقا منضبطا غير متناقض ، ويطبق على آلاف الجمل ، فى أقدس كتاب - دون تناقض أيضا ، ويتم ذلك فى بضعة عقود هى ما بقى من حياة أولئك الصحابة منذ عايشوا القرآن الكريم ... وما دام كل ذلك مستحيلا فلا يبقى إلا أن الإعراب كان جاريا فى كلام العرب قبل هؤلاء الصحابة ، بل قبل نزول القرآن الكريم ، وأن القرآن الكريم كان معربا ككل الكلام العربى .

⁽۱) القصة في أخبار النحويين البصريين للسيرا في ٤١، وطبقات النحويين واللغويين لـ لزبيدي ٢٨ ونزهة الألباء لأبي البركات الأنباري ٢٥، وإنباه الرواة ٢٦/٤، ومعجم الأدباء ٢٠/٢٠ – ٤٣ وانظر ترجمة يحيى بن يعمر في تهذيب التهذيب ١١/٥٠٥ – ٣٠٦ والأعلام للزركلي .

- وقد انتقیت من قراءات الصحابة (۱) التي اختلف إعرابها تبعا لاختلاف مقتضیه من قراءاتهم نحو مئة قراءة أورد منها الأمثلة القلیلة الآتیة:
- في سورة الفاتحة: القراءة العامة ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أو ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أو ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بجر مالك ومَلِك (صفة رابعة للفظ الجلالة في قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ مع جر لفظ الدين بالإضافة. قـرأ أنس بن مالك ﴿ مَلِكَ يَوْمِ الدَّينِ ﴾ بنصب ملك على النداء ناظرا إلى مقتضى توجيه الدعاء إليه سبحانه بعد ذلك ﴿ اهْدِنَا الصَرَاطَ ﴾ ، وقرأ جبير بن مطعم (٩٥هـ)س ﴿ مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ بفتح كل حروف كلمة ملك على أنها فعل ماض ونصب " يومَ " على المفعولية (٢) حسب مقتضى قراءته هذه .
- فى سورة البقرة ٢٦ ﴿ وَمَا يُضِلُ بِهِ إِلاَ الْفَاسِقِينَ ﴾ بضم ياء "يضل" وكلمة "الفاسقين" مفعول به . قرأ ابن مسعود "وما يضيل به إلا الفاسقون " بفتح ياء "يضل"، و"الفاسقون" فاعل مرفوع بالواو حسب مقتضى قراءة " يَضِلُ " تلك .
- في سورة آل عمران ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ بضم تاء "تزغ ونصب " "قلوبنا".
- قرأ أبوبكر الصديق "لا تُزغْ قُلوبُنا" بفتح تاء المضارعة ورفع "قلوبنا" فاعلا للفعل^(٣) دعاء إليه سبحانه أن يعصم قلوبنا من الزيغ .

⁽۱) جمع أخى أ.د. الموافى الرفاعى البيلى قراءات الصحابة فى سفر كبير بجهده الخاص وقد أذن مشكورا - أن أطلع على مخطوطه هذا السفر وأنتقى منها ما أريد جزاه الله خيرا .

۲ شواذ القراءات لأبى عبد الله الكرماني (مخطوط) ص١٥٠.

^{(&}lt;sup>٣)</sup> شواذ القراءات للكرماني ٤٧.

- فى سورة آل عمران (١٥٤) ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ ببناء الفعل "كُتب " للمفعول ، ورفع لفظ " القتل " نائبا للفاعل ، قرأها ابن عباس (٦٨هـ) ببناء الفعل للفاعل ، ونصب "القتل " مفعول به (١) .
- في سورة المائدة (٢) ﴿ وَلا آمينَ الْبَيْتَ ﴾ بإثبات النون في اسم الفاعل المجموع جمعا سالما " آمين " ونصب " البيت " مفعولا به . قرأ ابن مسعود (٣٦هـ) " ولا آمي البيت الحرام " بحذف نون الجمع وجر لفظ " البيت " للاضافة (٢) .
- في سورة المائدة (١٠٦) ﴿ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ (بفتح تاء التأنيث في "سهادة " ولفظ الجلالي مضاف إليه) قرأها على رضي عنه (٤٠هـ) " ولا نكتم شهادة الله " بتنوين نصب " شهادة ولفظ الجلالة منصوب معمولا أول للفعل "نكتم "(٣) .

الشاهد الصوتى السابع:

وهو يتمثل في الروايات التي وردت عن أنه عندما تمت كتابة عدة نسخ من المصاحف في عهد سيدنا عثمان (ت٣٥هـ) لتوزع على الأمصار لتكون مرجعا لأهالي تلك الأمصار والأقاليم التابعة لها ، لضبط نص القرآن الكريم في أقطار الدولة الإسلامية ضبطا يتمثل في توحيد النص قراءة وكتابة ، وكان ذلك حوالي سنة ٢٥ هجرية = عُرض على عثمان رضى الله عنه مصحف منها وهي متطابقة ما عدا خلافات محدودة - فلما قرأه قال : "أرى فيه لحنا ، وستقيمه العرب بألسنتها " .

⁽١) مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه .

⁽۲) الكشاف للزمخشرى ۲۰۲/۱.

⁽۳) البحر المحيط ۱۳۱/۳ .

وورد أيضا في هذه المسألة أن عروة بن الزبير (٢٧-٩٣هـ) سأل خالته السيدة عائشة بنت أبى بكر أم المؤمنين (ت٥٨هـ) عن كلمات في المصحف يتبادر أن فيها خطأ نحويا . فقالت " ياابن أختى هذا من عمل الكُتّاب . الكتبة أخطئوا في الكِتَاب " .

وقد جاءت الروايتان في عدة مصادر (١)

والآيات التي لوحظ فيها ما يتبادر أنه لحن أي خطأ نحوى (بناءً على تفسير كلمة" لحن " في تعليق عثمان بـ " خطأ ") هي :

أ - قوله تعالى فى سورة المائدة (٦٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَاللهِ مَادُوا وَالصَابِئِينَ " عطفا على اسم إن " .

ب - وقوله تعالى فى سورة النساء (١٦٢) ﴿ لَكِنْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾ والمتبادر " والمقيمون " عطفا على " المؤمنون " .

ج – وقوله تعالى فى سورة طه (٦٣) ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ والمتبادر " إن هذين " .

وتلحق بها آية ١٧٧ من سورة البقرة ﴿ .. وَلَكِنَ الْبِرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَـالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى

⁽۱) فضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٩ - ١٦٠ ، ٢٠٤ (كلمة عثمان فقط) ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٠-٥٦ ، وجامع البيان (تفسير) الطبرى (تحه شاكر) ٣٩٤-٣٩٥ (كلمة عائشة فقط)، والمصاحف لابن أبي داود ٤١-٣٥ والحجة لابن خالويه (تحد. عبد العال سالم) ٣٤٣-٤٤٣ ، والمقنع للداني (تحه محمد الصادق قمحاوي) ١١٩-١٢٥ والمحرر الوجيز (تفسير) ابن عطية ٤/٠٩٠ و ١٠/٠٠ وجامع الأحكام (تفسير) القرطبي

وَالْمُسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرُّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحينَ الْبَأْسِ ﴾ حيث كان المتبادر " والصابرون " .

وقوله تعالى فى سورة الأنبياء (٨٨) ﴿ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ حيث يتبادر على القراءة بنون واحدة والفعل للمجهول أن تكون "المؤمنون " .

وقوله تعالى فى سورة " المنافقون " (١٠) ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رِزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحِدكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَرَتَتِي إِلَى أَجِل قَرِيب فَاصَدَقَ وَاكُنْ مِنْ الصَالحِينَ ﴾ حيث يتبادر أن تكون "وأكونَ"(١).

والشاهد في هذه الروايات - على فرض صحتها ، وفرض تفسير كلمة تحن " في تعليق عثمان بـ " خطأ " - هو أن سيدنا عثمان (المتوفى ٥٦هـ) قد لاحظ - وربما لاحظ معه آخرون - ذلك الذي يتبادر أنه مخافات إعرابية . أي أن الإعراب كان معروفا وممارسا في الربع الأول من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، وإن كانت معرفة وممارسة سليقية بعيدة عن المصطلحات النحوية التي نشأت بعد ذلك .

كذلك فإن سؤال عروة بن الزبير لخالته السيدة عائشة أم المومنين عن هذه التي يَتَبادر أنها مخالفات إعرابية وإجابتها رضى الله عنها بأن هذا من خطأ الكتاب هو شهادة أخرى لما سبق تقريره من وجود الإعراب ومعرفته وممارسته معرفة وممارسة فطرية سليقية في أواسط ذلك القرن الأول.

⁽۱) الآيات الثلاث الملحقة ألحقها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن له ص ٥٣-٥٦ ، وألحق ابن أبي داود في كتابه المصاحف الآية الأخيرة .

وأخيرًا ففى القصة أيضا ذكر للتابعى الجليل سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) والتابعى الجليل أبان بن عثمان (ت١٠٥هـ) وملاحظتهما لهذا الذى قلنا إنه يتبادر أنه خطأ نحوى .

ويضاف أن سنائل أبان ذكر مصطلحى الرفع والنصب (١) . وذلك غير مستغرب في أواخر القرن الأول .

أهم من ضعف ما رُوى عن عثمان فى هذه المسألة هو أبو عمرو والدانى (وهما وأهم ما قاله فى هذا التضعيف أن راويى ماذكر عن عثمان (وهما عكرمة ويحيى بن يعمر) "لم يسمعا من عثمان شيئا ولا رأياه "حسب ما قال.

ثم نرجع إلى فرض صحة الراوية (٢) -- مع فرض أن كلمة "لحن" ف تعليق عثمان تعنى "خطأ " فنقول إن أئمة العربية والتفسير (ومنهم أبو عمرو الدانى) بحثوا أمر هذه الآيات ووجدوا أن في كلام العرب ما يقضى بصحة ما جاءت عليه من حيث قواعد النحو التي تم كشفها في القرن الثاني الهجرى . فقد جاءت الصياغة في الآيات المذكورة على حسب بعض اللهجات العربية وسنن العرب في كلامها(٢) . لكن لما كانت هذه الأساليب اللهجية والسنن ليست مما تجرى به

⁽۱) ينظر المصاحف لابن داود ٤٢ .

⁽۲) للإمام للسيوطى حكم يستخلص منه أن مواجهة مثل هذه المشكلات بالتأويل (أى التوجيه المبنى على التحليل العلمى) هى " أولى وأقعد" أى أدخل فى الموقف العلمى - من الطعن فى صحة الحديث (ينظر الإتقان النوع ٤١-٣٢٩/٢ فى تحقيق أبى الفضل).

⁽٣) سنن العرب في كلامهم هي أساليب عربية تعودها العرب الفصحاء في نتاجهم اللغوى شعرا ونثرا فصارت صحيحة فصيحة، وخُصت بالحديث لأنها يبدو فيها شئ من المخالفة للقواعد الصارمة، ولما هو مفترض أو متوقع: كحذف بعض عناصر الجملة، وكوصف الواحد بصفة الجمع، والعكس، وأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين، ونسبة الفعل لاثنين أو جماعة وهو لواحد، وهكذا، انظر جملة من سنن العرب في كلامها في تأويل =

لهجة قريش فإن عثمان وعائشة رضى الله عنهما خطّاها بسبب عدم إحاطتهما بلهجات العرب وسننها في كلامها. وقد اخترنا في توجيه الآيات المذكورة مايلي:

أ - فأما قراءة ﴿ إِنَ هذان لساحران ﴾ (طه ٦٣) فهى على لغة بلحرث بن كعب ، وكنانة ، وكثيرين يُلزمون المثنى الألف فى كل مواقعه الإعرابية . يقولون مررت برجلان وقبضت منه در همان ، وجلست بين يداه ..(١) ولا اعتراض على ما هو لهجة عربية فكل ما ثبت أنه لهجة عربية صحيحة داخل فى اللسان العربى المبين ".(١)

ب - وأما آية المائدة ٦٩ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِتُونَ ... ﴾ فإن لفظ ﴿ وَالصَّابِئُون ﴾ رُفع في الآية عطفا على محل اسم " إن " لأنه في محل رفع ، ورفع المعطوف على اسم إن مراعاةً لمحله أجازه سيبويه ، وقال به في "إن زيدا ظريف وعمرو "(٦) فهو أسلوب جائز في كلام العرب يقولون " إن عبد الله قائم وزيد " ، وإن عبد الله وزيد قائمان " ، "وإن عبد الله وزيد قائم ". ولذلك شاهد شعرى في كلام العرب يثبته ، وهو قول ضابئ البرجُمي (وهو شاعر مخضرم توفي ٣٠هـ) .

⁼ مشكل القرآن لابن قتيبة ١٨٥-٢٩٨ وما قبل ذلك ، وفى الصاحبى لابن فارس (تد-السيد صقر) ص ٣٢١ إلى نحو ٤٥٠ والمزهر ٣٣١/١-٣٤٢ وفى الصفحة الأخيرة هذه فقرة عن مجئ القرآن بهذه السنن نقلها عن ابن فارس .

⁽١) ينظر تأويل مشكل القرآن ص ٥٠ ، لسان العرب (أنن) ، والهمع للسيوطي ٤٠/١ .

⁽۲) كل لهجة تثبت عروبتها أى ثبت أن قبيلة عربية تستعملها ضمن كلامها العربى فهى من اللغة العربية الصحيحة يحتج بها ويقاس عليها حتى وإن كانت أقل فى درجة الفصاحة . وينظر المزهر ۲۵۷/۱ – ۲۵۸ حيث كلام ابن جنى وابن فارس وأبى حيان فى التصريح بهذا الذى قلناه هنا .

[.] ۱٤٤/۲ بانكتاب ۲/٤٤١ .

فمن يك أمسى بالمدينة رحلُه فإتى وقيارٌ بها لغريب (١)

ج - وأما آية النساء ١٦٢ ﴿ لَكِنْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُوعَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُوعَ أَنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقيمِينَ الصَّلاةَ ﴾ فأكثر الأئمة على يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقيمينَ الصَّلاة ﴾ قطع الصفة عن اتباع موصوفها (والمعطوف تابع يقطع كالصفة) ثم نصبُها على المدح أى تنويها بشأنها ، وجاء عليه شواهد منها قولُ الخرايق بنت هفّان .

لا يَبْعدَنْ قومى الذين هُمُو سُسُمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجزُرِ النازليــن بكــل مُعْتَــركِ والطيبــون معاقد الأزُر (٢)

فجاءت بكلمة النازلين منصوبة رغم أن مقتضى السياق أن تكون مرفوعة، وذلك للتتويه بحرصهم على الاشتراك في كل معترك فقطعت ونصبت للمدح بذلك .

وكذلك الأمر في آية البقرة ١٧٧ ﴿ .. وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهدُوا وَالصَّابِرِينَ ﴾ .

⁽۱) تأويل مشكل القرآن ص٥٣-٥٣. و "قيار" اسم جَمله ، وجاء به مرفوعا عطفا على محل اسم "إن". وأنا أختار هذا الوجه لتوجيه ما في الآية لقربه ، ولمجئ الشعر والنثر به كالبيت المذكور ، وقد سمعهم سيبويه يقولون " إنك وزيد ذاهبان " و " إنهم أجمعون ذاهبون " نفسه ١٥٥٢) - ولاعبرة بتغليطه إياهم . وقد قيل في تخريب هذا المرفوع (أ) إنه مبتدأ وخبره محذوف (:كذلك) والجملة معترضة ، أو (ب) خبره المذكور (جملة من أمن ...) والمحذوف هو خبر "إن" ... والذي اخترته هو ما قال به الفراء والكسائي ، ينظر المساعد ١/٥٣٥ - ٣٦٨ ، والخزانة ١/٣١٦ - ٣١٩ . والدر المصبون تحد د. الخراط ٤/٣٥٦ - ٣٦٦ حيث ذكر تسعة توجيهات أولها رقم (أ) في هذا التعليق ورابعها ما اخترناه وذكرناه في المتن . ونضيف هنا اللفت إلى أن الأسلوب عربي وارد وهذا هو المهم . أما الاختلاف في تخريجه فيرجع إلى الصناعة ، ولا يقدح في صحة المسموع . ينظر تأويل مشكل القرآن ٥٢ - ٥ والدر المصون ١٥٦٤ - ١٥٥٠ .

وينبغى أن يكون وضاحا أن قطع التابع (نعتا أو معطوفا) عن متبوعه للتنويه بأمره مدحا (كما فى آيتى النساء والبقرة السابقتين) ، أو قدحا = هو أسلوب عربى شائع تمام الشيوع ذكره سيبويه لغير تخريج الآيتين (١) (وهذا أبعد لشبهة التكلف) ، وذكره جمهور النحاة بعده . وقد قرئ فى القرآن كثيرا نكتفى فى التمثيل له بما فى البسملة وصدر الفاتحة (٢) . فهو وجه جدّ قوى . وقد ذكره المفسرون فى تفسير الآيتين (٢) .

- وأمّا آية سورة "المنافقون "فاصدَّقَ وأكن "فهى جارية على سنة أخرى من باب سنن العرب في كلامها ، وهي العطف على الموضع (فهى من باب آية المائدة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾) ذلك أن (أصدَّقَ) واقعة في جواب (لولا) التي للتحضيض ، وحكمها الجزم على تقدير سقوط الفاء وأنها جواب شرط مدلول عليه بلولا ، والفعل أكن مجزوم عطفا عليها().

وأخيرًا . فإن الخطُّب في " نُجَى المؤمنين " (الأنبياء ٨٨) يسير.

ذلك أن القراء جميعا - ماعدا عاصما - في رواية - وابن عامر (٥) قرءوها بنونين ، فتكون حيننذ موافقة للقواعد ، ويعلل حذف النون من الخط

⁽۱) ينظر الكتاب لسيبويه (هارون) ۱۶۹/۲ – ۱۵۳ .

⁽۲) ينظر مثلا البحر الأبي حيان ۱۹۰۱ - ۲۰ والاتقان تد أبي الفضل ۲۰۳۰ .

^{(&}lt;sup>7)</sup> ينظر جامع البيان للطبرى (شاكر) ٣٥٢/٣، والمحرر الوجيز (قطر) ٨٢/٢ وفيه تعليقا وفي البحر ٢/٢ ٨ أن أبا على الفارسي عدّ القطع عند كثرة الصفات هو الأحسن لأنه يدخل في الإطناب المناسب لمثل هذا المقام . وانظر البحر ٢/٢-٨ حيث كلام أبي على أيضا . ثم انظر المحرر الوجيز أيضا ٤/٠٤٠ ، وجامع الأحكام للقرطبي ٢٩٩/٢ - ٢٤٠ . والبحر ٢٩٥/٣ .

⁽ن) ينظر البحر لأبي حيان ١، ٢٧٤ – ٢٧٥ وكتاب سيبويه (هارون) ٣/١٠٠ .

⁽٥) ينظر الاقناع لابن الباذش ٢٠٣٦ . والسبعة ٤٣٠ مع تعليق المحقق .

بتوهم أن إخفاء النون فى الجيم أو توالى النونين يتيح ذلك (١) . أما من قرأ بنون واحدة مع بناء الفعل للمجهول ونصب لفظ المؤمنين فخُرِّجَتْ قراءته على أن نائب الفاعل مصدر مقدر كقراءة أبى جعفر "ليُجْزَى قومًا .. "أى ليُجْزَى الجزاءُ قومًا ، وكقول الشاعر .

ولو وَلَدَت فُقَيرةُ جرو كُلْب لسنب بذلك الجرو الكِلابا(٢)

ثم نقول - أيضا - بناء على افتراض صحة الراوية ، وافتراض أن كلمة "لحن " في تعليق عثمان رضى الله عنه تعنى "خطأ " إنه لا عجب في غياب هذه الوجوه عن سيدنا عثمان والسيدة عائشة رضى الله عنهما ، فإن اللغة العربية عظيمة الاتساع في المذاهب أي صور التعبير وأساليب الكلام ، كما أنها أكثر اللغات ألفاظا مُتَاحة الاستعمال ، بحيث قد يذهب شئ من الألفاظ أو الأساليب على من هو من أهلها. وهذا أمر يشهد به الواقع ، وقد سبق بالشهادة به الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٥٠٠هـ) صاحب المذهب الفقهي المشهور ، وهو من فصحاء العرب المعدودين الذين جمعوا مع الفصاحة العِلْم باللغة - حتى إن الأصمعي قرأ عليه شعر الهذليين ليصححه عنه - قال الشافعي " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثر ها ألفاظا ، و لانعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي " ثم قرر ما خلاصته أنه قد يَبِذُ الشي من اللغة عن بعض العرب أو العلماء باللغة، لكن هذا الناذ لابد أن يوجد العلم به عند آخرين منهم. (٢)

⁽۱) ينظر السبعة ٤٣٠ .

⁽۱) ينظر تأويل مشكل القرآن ٥٥-٥٦ - أى لسُبَّ السَّبُّ الكلاب (=لسبَت بذلك سبًا) أى لأصابها السب بذلك .

^{(&}lt;sup>7)</sup> كلمة الإمام الشافعي وما أتبعناها به مما استخلص من كلامه في " الرسالة " للإمام الشافعي (تد الشيخ أحمد شاكر) ص ٤٢-٤٢ .

ويحقق شهادة الشافعي تلك أنه خفيت معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم على أبي بكر ، وعمر ، وابن عباس ، وعرب آخرين^(۱) فلا عجب أن تغيب بعض مذاهب العرب في الكلام عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما بحيث يخفي عليهما وجه ما جاء في القرآن على تلك المذهاب .

ويبقى سؤال مهم. هو أنه كيف يجوز أن يسكت عثمان رضى الله عنه وهو إمام المسلمين وولى أمرهم آنذاك - على وقوع خطأ فى كتابة المصحف المعتمد لتوحيد قراءة المسلمين ؟ وجوابنا أن ما فعله - بناءً على تلك الافتر اضات المركبة = هو عين الحكمة ، فقد كان هناك من الخاصة والعامة من الافتر اضات المركبة المعتمد واحد ، ومن أغضبه إحراق المصاحف لم يرض جمعه الناس على مصحف واحد ، ومن أغضبه إحراق المصاحف المخالفة أو تخريقها تمسكا بقراءته التي اعتادها ، ومن يتخذ كلا من ذلك ذريعة للانتقاض على ولى الأمر (٢) وقد كان هدف عثمان من كتابة نُسَخ موحدة تُوزَع على الأمصار هو إثبات رموز الكلمات القرآنية خطًا حتى لا تبدل كلمة مكان كلمة (فقد كان بعضهم يفعل لظن جواز ذلك اتباعا للهجته أو لبيان المعنى ويختلفون لذلك)(٢) وكان ذلك الرسم الذي تم واعتمده كافيا لحفظ كلمات النص ، فلم يبال بما لا يضر ذلك الهدف ولايقدح فيه ، فصرف النظر عما بدا أنه

⁽۱) خفى معنى كلمة "أب "فى قوله تعالى ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ على أبى بكر وعمر . ينظر فضائل القرآن لأبى عبيد (تدوهبى سليمان) ٢٢٧ ، وتنظر التفاسير فى سورة النحل ٧٤ ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ حيث تساءل "عمر "عن معنى كلمة "تخوف " . وبالنسبة لابن عباس ينظر الإتقان "النوع "السادس والثلاثون "أوائله ، وينظر فى خفاء بعض المعانى على العرب لسان العرب (جرر) .

⁽٢) مما يعطى لمحة إلى كل ذلك ما في كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٤٥.

⁽٣) السابق ص١٨ حيث قرأ بعض " وَأَتمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلبيت " (البقرة ١٩٦٦) .وهذا مثال واحد من كثير جدا .

مخالفات إعرابية في بضع كلمات اعتمادا على أن القرّاء العرب سيقرءون على الأصل الشائع المعروف، وقد فعل كثيرون^(۱)، كما صرف النظر عن مخالفات في الرسم غير إعرابية مثل كتابة " لأوضعوا "، "لأذبحنه " بألف مهموزة بعد "لا" ، وكتابة " بأيد " بياءين وغير ذلك . صرف عثمان النظر عن ذلك كله لحسم هذا الأمر .

إن عمل عثمان المتمثل في عدم إعادة النظر في رسم المصحف هُ و الذي التاح بفضل الله تعالى إبقاء هذا الرسم على ماهو عليه بخاتم عثمان إلى يومنا هذا ، ولو أنه فتح باب مراجعة الرسم لظهرت عشرات الوجهات التي تقترح ما تظنه تصحيحات ، ثم كان يمكن أن لا يتم رسم نسخة معتمدة للمصحف أصلا نتيجة للخلافات ، ولو تم لصار سماح عثمان بالمراجعة سابقة يُتّكا عليها لإعادة كتابة المصحف حسب الوجهات المختلفة في مجال النحو(٢) ، وفي مجال رسم المصحف بصورته المصحف بصورته الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا نَحْنُ نَزَّلْنَا المُوحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا نحْنُ نَزَّلْنَا المُوحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا نَحْنُ نَزَّلْنَا المُوحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا نَحْنُ الرَّانَا المُوحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الآيا الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا . وصدق الله العظيم الله العظيم الآية المؤلفة لما يَشاء الله العلية المؤلفة لما يَشاء المؤلفة لما يَشاء المؤلفة لما يشاء المؤلفة المؤلفة لما يشاء المؤلفة لما يشاء المؤلفة لما يشاء المؤلفة المؤلفة المؤلفة لما يشاء المؤلفة المؤلفة

⁽۱) نعم قرا كثيرون كلا من تلك الآيات على حسب مقتضى الظاهر المتبادر ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ۸۲/۲ حيث قرا يعقوب والأعمش والحسن اية (البقرة ۱۹۷۷)، و "المصابرون " بالرفع ، ١٩٠٤ اية (النساء ١٦٠) حيث هي في مصحف أبي وابن مسعود "والمقيمون " وكذا قرأها الأعمش وابن جبير وغيرهم ، ١٩/٥ آية المائدة ١٩ حيث قرأ عثمان وعائشة وغيرهما / وأبي " والصابئين " ، ١٠/٧٠ آية المائدة ١٩ حيث قرأ قرأها أبو عمرو " إن هذين " وقرأتها جماعات بتسكين نون إن ، ١٩٨/١٠ آية الأنبياء قرأها أبو عمرو " حيث قرأ الجمهور بنونين ، ١٩٨/١٠ آية المنافقون ، حيث هي في مصحف أبي وابن مسعود " فأصدق وأكون " وكذا قرأها أبو عمرو والحسن وغيرهما .

⁽٢) ينظر الإتقان النوع الحادى والأربعون – التذنيب الذي في آخره .

⁽٣) في المقنع للداني ٢٠-٨٧ مجال لا يكاد يحصى . ١

⁽٤) في القراءت الشادة أصد وفي غيرها أيضا ما لايكاد يحصى .

وهذا الذى قدمناه كاف تماما لتبرئة ساحة عثمان رضى الله عنه فى سكوته على ما لحظه من "لحن "حسب التفسير الذى افترضناه نحن لكلمة "لحن" فى تعليقه وهو أن معناه الخطأ فى الإعراب.

والحقيقة أننا قبلنا هذا الافتراض وقدمناه على التفسير الآخر الذى تحتمله كلمة "لحن " فى سياقها الوارد فى كلام عثمان (وهو اللهجة والسنّة من سنن العرب) لأننا قصدنا أن نصادر على الذين يتتبعون الشّبة ليختلقوا ذرائع للتشكيك والطعن فى القرآن والإسلام - رد الله كيدهم فى نحورهم . فأردنا بذلك الافتراض أن نواجه أقصى ما يستطيعون أن يقولوه . وقد تبين أن الصياغات القرآنية التى كان يمكن أن يقال إن فيها أخطاء نحوية هى منزهة عن هذه الأخطاء وجارية على لهجات عربية صحيحة أو سنن جارية فى الكلام العربى الصحيح . والذين يدرسون النحو العربى يجدون فى كلام العرب عشرات من أمثال تلك الصياغات .

إن تبين صحة الصياغات القرآنية التى كانت مثار ما سبق من تحليل ترجَح أن عثمان رضى الله عنه إنما أراد بكلمة لحن فى تعليقه ما يسمى لهجة أو سنة من السنن غير الشائعة فى الكلام العربى ، وأنه كان يفضل أن تكون كتابة المصحف بلغة قريش (۱) ، وهى اللغة العامة واللسان الجارى عند كل العرب . ومن هنا قال سنقيمه أو ستقيمه العرب بالسنتها أى ستقرؤه على حسب اللسان العام الجارى وقد فعل كثيرون (۲) .

⁽۱) ينظر - مثلا - كتاب المصاحف ٢٦ حيث كان عثمان يقول لكتبة المصاحف الموحد " إذا اختلفهم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم " وكان قد اختار مع زيد في (لجنة) كتابة المصاحف ثلاثة قرشيين وسيدنا زيد أنصارى خزرجى . وينظر الحجة لابن خالويه ٢٤٣ - ٢٤٤، والمقنع للدائي ١٢٣ .

⁽٢) ينظر التعليق الخامس قبل هذا .

ومن هنا (مع ما سبق أن ذكرناه من ظروف كتابة المصحف الموحد) لم يغيره عثمان .

ثم نقول إن سكوت الصحابة رضوان الله عليهم – وقد كان جمهورهم من العرب الخلص الذين يشعرون سليقيا بما يقع في الكلام من خطأ – على رسم العبارات القرآنية بما رئسمت عليه في المصاحف التي اعتمد عثمان كلا منها إماما للقطر الإسلامي الذي أرسل إليه – هو مرجح آخر قوى على أن المراد "باللحن " في تعليق عثمان هو " اللهجة " وما إليها ، لأنه لو كانت هذه الصياغات خطأ ما سكتوا . وما روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها من التعبير "بالخطأ " فإنما مرده إلى عدم إحاطتها باللهجات والسنن العربية البالغة السعة – على ما أسلفنا .

وأيا كان ، فإن الاستشهاد بالقصة باق ، لأنه قائم على ملاحظة عثمان وعائشة ومن حدثوهما في هذا الأمر ، ومن قرءوا حسب الإعراب الشائع مخالفين لرسم المصحف – ملاحظة هؤلاء جميعا لما تبادر أنه مخالف للصواب الإعرابي – أي أن الإعراب كان معروفا لهم وملتزما – وكانت مخالفة الجاري الشائع على الألسنة منه تلفتهم . وهم جميعا من أهل القرن الأول الهجري السابع الميلادي . فادعاء عدم وجود الإعراب في اللغة عامة أو في القرآن خاصة في ذلك القرن ادعاء باطل تماما – تدحضه وتكشف زيفه الشواهد الصوتية السبعة التي أوردناها في هذا الفصل .

الفصل الثاني

شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ نزوله

من الثابت يقينا أن مصاحفنا الحالية المكتوبة "حسب الرسم العثمانى " حملت هذا الاسم " العثمانى " ، لأنها التزمت طريقة رسم الحروف والكلمات التى اتبعت فى كتابة المصاحف التى دونت فى عهد سيدنا عثمان ثالث الخلفاء الراشدين (۱) وذلك سنة ٢٥ هجرية ، وأن هذه المصاحف كانت أشبه بالنسخ (۲) من المصحف الذى كُتب سنة ١١-١٢هـ (٣) فى عهد أول الخلفاء الراشدين أبى بكر ، وأن الذى تولى مسئولية الكتابة فى المرتين هو زيد بن ثابت (٤) كاتب النبى ورضى الله عنهم أجمعين : ولم يُستحدث فى قواعد رسم الكلمات القرآنية فى المصحف بعد الكتبتين أى شئ ، واستحدث فى غير رسم الكلمات أمران :

⁽۱) هذه معلومة متواترة ، وفي آخر كل مصحف من النشرات المعتمدة - تعريف به يفصل صورة أخذ رسمه عن المصاحف العثمانية . وتاريخ العثمانية بسنة ۲۵هـ مرتبط بفتح أرمينية سنة ۲۶ هـ . وهو في فتح الباري (الحلبي) ۲۹۱/۱۰ .

⁽۲) كون المصاحف العثمانية كانت كالنسخ من المصحف الذى كتب فى عهد أبى بكر بمعنى أنها كانت فى الرسد مطابقة له تماما ، أمر مرجح بوجهين : الوجه الأول ما ثبت من مراجعة عثمان – رضى نه عنه – المصاحف التى كتبت فى عهده على الصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر (ينظر تفسير الطبرى ۱/۱۱) والوجه الثانى ما جاء فى عدد من الروايات من التصريح بأن عثمان " استخرج الصحف التى كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها ، فنسخ منها مصاحف . فبعث بها إلى الأفاق " (تفسير الطبرى ۱/۲۲ ، وكتاب المصاحف 17، ۲۲، ۲۲، ۲۷، والمقنع للدانى 17، وفتـح البارى ١/٣٨٧) .

^{(&}lt;sup>7)</sup> كان جمع المصحف في عهد أبي بكر بعد موقعه اليمامة التي كانت سنة 11 أو 11 هـ والأول أرجح (تاريخ الطبرى ٣١٣/٣) فتاريخ الجمع يترجح بين السنتين أيضا .

ا ينظر : فتح البارى ٢٨٧/١٠ ، ٣٩٣ .

الأول: علامات الشكل الفتحة والضمة والكسرة – وهذه ابتكر لها أبو الأسود الدولى (79/77 هـ) نُقطًا تدل عليها توضع النقطة أمام الحرف من أعلى أو فوقه أو تحته (() ثم جاء الخليل بن أحمد (140هـ) فاستبدل بالنقط الحركات المعرفة حاليا (الفتحة ألف صغيرة راقدة ، والضمة واو صغيرة – وكلتاهما فوق الحرف ، والكسرة شطرياء صغيرة – تحت الحرف)((7).

الأمر الثانى الذى ابتكر هو نُقط الإعجام (الباء نقطة تحتها ، والتاء ثنتان فوقها ... الخ) وهذه وضعها نصر بن عاصم (۸۹هـ) وقد النزم المسلمون النزاما شرعيا بطريقة رسم الكلمات (أى كتابتها) التى اتبعت فى المصاحف العثمانية، وذلك منذ عهد عثمان رضى الله عنه إلى يومنا هذا . ونقصد بكون الالنزام بالرسم العثماني شرعيا أن المسلمين أجمعوا على أن اتباع الرسم العثماني فى كتابة المصحف واجب يأثم مخالفه () ومتن الرسم المصحفى

⁽۱) ينظر : مراتب النحويين لأبى الطيب ١٠-١١ ، وتاريخ العلماء النحويين لأبى المحاسن التنوخي (تحد. أبو الفضل الحلوص ١٢٧) ، والمقنع للداني ص ١٢٩ .

⁽٢) ينظر الإتقان النوع ٧٦ حـ ١٨٤/٤ ، ١٨٦ (تحـ أبو الفضل) وهو أيضا الذي وضع علامات الهمزة والتشديد والروم والإشمام (المقنع للداني ص ١٢٩ - أول كتاب النقط).

⁽۳) ينظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ص ١٣ ، وعنه في الوفيات (تحد الشيخ محمد محيى الدين) ٣٤٤/١ ، وتصحيح التصحيف للصفدي (تحد الشرقاوي) ١٣-١٣ .

[&]quot; سئل الإمام مالك (ت١٧٩) أيكتب المصحف عي ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا ولكن يكتب على الكِتْبة الأولى ، المقنع للدانى ص ١١ وفي الاتقان ١٦٨/٤ أن الدانى قال " ولا مخالف له من علماء لأمة " وفيه ١٦٩ أن الإمام أحمد قال " تحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك " وأن الإمام البيهقي قال: " من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف، ولا يخالفهم، ولا يغير مما كتبوه شيئا ... " وقد يؤخذ من تقييدهم بكلمة " مصحف " أنه يجوز أن يكتب بالهجاء المعتاد ماليس مصحفا كأن تكتب آية أو آيات للاحتجاج بها في موضوع علمي أو نحو ذلك .

العثماني لم يُمس بأى تغيير ، وإنما زيدت العلامات على ذلك الرسم فوقه وتحته دون أن تمسه .

وقيمة التزام الرسم العثماني بالنسبة لموضوع الإعراب هذا هي أننا يمكننا أن نحتج برسم الكلمات (أي خطوطها وهيئة كتابتها) في المصاحف التي بين أيدينا الآن على أساس أن هذا الرسم هو صورة دقيقة مطابقة لعين ما كُتِب به القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه سنة ٢٥ ه.

وفى احتجاجنا بالرسم العثمانى لإثبات وجود الإعراب فى القرآن الكريم (ومن ثُمَ فى اللغة العربية) فى زمن كتابته فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، فإننا سوف نستبعد تلك الأمور التى استحدثت فى رسم المصحف بعد عثمان أى لا نُدْخلها فى الاحتجاج ، وإنما نحتج بما كان من صلب رسم الكلمات فى المصاحف العثمانية (التى هى نسخة مما كُتِب فى عهد أبى بكر رضى الله عنهما) . والذى نستدل به من الرسم العثمانى لإثبات وجود الإعراب فى ذلك العصر هو ما كان منه (أى من الإعراب) حروفا ضمن الكلمات. ويتمثل أمرين:

الأول: الإعراب بالحروف في الأسماء السنة والأفعال الخمسة والمثنى وجمع المذكر السالم وما ألحق بهما . وعلى سبيل المثال فإن رسم كلمات "أخوه" و " أبينا " و " أبانا " في قوله تعالى قاصنًا قول إخوة يوسف ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحبُ إِلَى أَبِينَا مِنَا وَنَحْنُ عُصْبَةً إِنَ أَبَانَا لَفي ضَلَالِ مُبِينِ ﴾ (١) يتضمن علامات أحب إلى أبينا منا ونحن عُصْبة إِنَ أبانا لَفي ضَلَالِ مُبِينِ ﴾ (١) يتضمن علامات الإعراب بالحروف الثلاثة ضمن رسم الكلمات نفسها . ويشمل ذلك دلالة النون على الحالة الإعرابية إثباتا كما في ﴿ ... يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقيمُونَ الصَلَاة ﴾ وحذفا كما في حذف النون من المثنى في ﴿ تَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٢) ومن الفعل وحذفا كما في حذف النون من المثنى في ﴿ تَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٢)

⁽۱) سورة يوسف ٨.

⁽۲) سورة المسد ١.

المجزوم في ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ (١) ويلحق بهذا حذف حرف العلة جزما مثل ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ (٢) ... وأمثلة مفردات هذه الظاهرة في رسم كلمات القرآن الكريم قد تجاوز عشرة آلاف(٢) ويلحق بهذا وجود الألف في حالة النصب عند التنوين في مثل " عليما حكيما ".

فوجود هذا العلامات إثباتا أو حذفا في رسم الكلمات القرآنية في بدايات القرن الهجرى الأول دليل قاطع بوجود الإعراب بالحروف في ذلك الحين – ومن ثم قبله بمئات السنين (٤).

الأمر الثانى: (وهو مالم يمر بى أن أحدًا تنبه إليه من قبل - حسب ضابطه الذى وضعتُه) هو الإعراب بالحركات فى الأسماء التى آخرها همزة قبلها ألف مد عندما تكون مضافة إلى ضمير. فقد رسموا الهمزة فى تلك الأسماء واواً فى حالة الرفع، وياء فى حالة الجر، ولم يرسموا شيئا فى حالة النصب. فلما اتخذوا النقط سبيلا لضبط الكلم كانوا يرمزون للهمزة المحققة بنقطة صفراء، وكانوا يضعون تلك النقطة فوق الواو فى حالة الرفع، وفوق الياء فى حالة الجر. ويضعونها على السطر فى حالة النصب. ثم استبدلوا بالنقطة الصفراء رأس عين رمزا للهمزة التى ذكرناها فى الضابط ووضعوا

^(۱) سورة البقرة ۲٤ .

^(۲) سورة فاطر ۱۸.

⁽T) أحصيت ما وقع من الكلمات التي أول أصولها الهمزة وأعربت بالحروف – مع إدخال أفعال الأمر في الإحصاء – حسب ما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – فبلغت ٨٧٦ كلمة . وهو باب من ثمانية وعشرين بابا .

^{(&}lt;sup>4)</sup> حسب ما هو كالبدهي من أن وجود الإعراب في الشعر الجاهلي (الذي يرجع أقدمـه اللي ماقبل التاريخ الهجري بنحو قرنين) يدل على وجوده قبل أقدم أثر منه بقرون .

⁽۱) ذكرنا ذلك في موضع آخر ، وهذا تلخيصه :

أ - وضع أبو الأسود (ت٩٦هـ) رموزًا للحركات وجعلها نقطا - وكانت نقطا حمراء (المحكم للداني تحدد عزة حسن ٢-٦، وكتاب النقط -مع المقنع- للداني أيضا ١٢٩) .

ب - رمزوا للهمزة بالحرف الذي تسهل إليه ألفا أو واوا أو ياء والتي تخفف بالحذف لم ير مز لها بحرف .

ج - ميزوا الهمزة المحققة بنقطة صفراء توضع فوق الحرف الذى هو صورة الهمزة أى رمز لها (الواو في حالة الرفع والياء في حالة الجر) فإذا لم يكن لها رمز (وذلك في حالة النصب) وضعوا النقطة الصفراء على السطر (المحكم ١٩، ١٠٠) والنقط ١٣٠) وأهل العراق جعلوا النقط كلها للشكل أو الهمزة حمراء (المحكم ٢٠).

⁽٢) سورة النساء ٢٢.

⁽٣) سورة الأنبياء ٥٣.

^{(&}lt;sup>1</sup>) سورة النور ٦١ .

⁽١) راجعت ذلك مراجعة دقيقة في المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم .

⁽۱) ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود ٤٩-٥٨.

نطاق الضابط المذكور هي مما أُجْمِع عليه . والحمد لله (١) وبها ثبت - بالرسم الخطي - أن الإعراب كان موجودا وممارسا في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) . لأن مبتكر رموز الحركات نقطا طبقت بالتدريج في كتابة المصاحف هو أبو الأسود الدؤلي المتوفى ٦٩هـ .

⁽۱) ينظر : المقنع للدانى ص ٤٤ ، ويتنبه إلى رواية عن كتـاب هجـاء السنة جـاء ردهـا فـى ص ٤٥ ، وينظر كذلك السطور الستة الأخيرة من ص ٦٧ .

الفصل الثالث

إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي

أولاً : إثبات صحة الشعر الجاهلي وتفنيد التشكيك فيه :

نسبة الشعر الجاهلي الموجود بين أيدينا الآن إلى عصر الجاهلية فعلا ثبتت ثيوتا يقينا بشهادة:

- ما قرره الأئمة القدماء الذين تلقوه عن الرُّواة الثقات.
- ثم بشهادة در اسات وتحليلات علمية رصينة بالغية من الدقية والتحرى أعظم ما يكون في الجوانب التاريخية والحضارية والفنية (التذوقية) والمنطقية (١).

أما زوبعة التشكيك في صحة نسبة الشعر الجاهلي إلى عصر الجاهلية تلك الزوبعة التي أثارها المتعالم $^{(7)}$ مرجليوث ، وتبناها د. طه حسين $^{(7)}$ ، تذرعا بالتشكيك إلى نفى صحة انتساب ذلك الشعر إلى عصر الجاهلية = فهي زوبعة ليس لها أساس علمي على الإطلاق .

و الذي استند إليه مرجليوت ومن تبعه في هذا التشكيك من :

⁽١) تفصيل ذلك يأتى في الصفحات التالية والتعليقات عليها .

⁽۱) أكتفى بهذا الوصف احتراما للقراء ، أما هو فبصرف النظر عن قيام منهجه فى مسألة الشعر الجاهلى على تصيد ما يوافق هواه ثم التافيق ، ثم التزيد فى النتائج - فإن قوله : إن " عبد الله " يطلق على الشخص المجهول ، وربما كان له مثل هذا المعنى عند إطلاقه على والد النبى " انظر مجلة المعرفة ج ١٠ فبراير ١٩٣٣ ص ١٢٢٣ - وهى عن كتاب مرجليوت " التاريخ العام للعالم " . الفصل ٨٩) قوله هذا يكفى لبيان تصنيفه .

⁽⁷⁾ يجد القارئ عرضا علميا وافيا لمسألة الشك في الشعر الجاهلي في الباب الرابع من كتاب "مصادر الشعر الجاهلي " ، "مصادر الشعر الجاهلي " ، " في الأدب الجاهلي " د. طه حسين : "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي " د. عبد الرحمن بدوي – وفيه ترجمة لما وافق رأيه من مقالات المستشرقين وفي " مجاكمة فكر طه حسن " – أنور الجندي ١٣٣ – ١٦٢ تفاصيل كثيرة .

أ – أن الكتابة لم يكن لها أى دور فى بقاء الشعر من العصر الجاهلى وصدر الإسلام إلى عصور التدوين الإسلامية – بمعنى أنه لم تكن هناك أية وسيلة لنقل ذلك الشعر إلا الرواية الشفوية .

ب - وأن الرواية الشفوية وسيلة غير مأمونة يمكن أن يتعرض فيها الشعر للضياع والتغيير والتزييف مما يفقد الثقة بصحته وصحة نسبته .

هذا الذي استند إليه مرجليوت لا مستتد فيه على الإطلاق.

فأما الكتابة ، فقد ثبت للعلماء المُمحِّصين " أن تدوين الشعر كان مألوفا في العصر الجاهلي إلى حدِّ ما ، وأن كثيرًا من هذه المدونات قد وصل إلى العصر الإسلامي ، وأن ظهور الإسلام لم يقلل من الاهتمام بالشعر وروايته ، وأن الكتابة لم تلبث أن زاد انتشارها بعد ظهور الإسلام "(۱) .

وأضيف توثيقا وتفصيلا للعبارة الأولى من كلام سزكين هذا أن هناك نحو عشرين شاهدا شعريا قديما على استعمال الكتابة في الشعر في الجاهلية والسنوات الأولى من صدر الإسلام^(۲) كما أضيف تفصيلا للعبارة الأخيرة من كلام سزكين أن المقصود بعبارة "بعد ظهور الإسلام " هو ما ثبت يقينا من أن جمع شعر الجاهلية قد بدأ في عهد عمر – رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ) ومن أن الجدّ في هذا الجمع اتخذ طريقه في عهد الأمويين الذي بدأ سنة ٤١هـ(١٠).

⁽۱) تاريخ التراث العربي / الشعر / ۳۷/۱ و العبارة تأتى بعد عشر صفحات من التحليل الدقيق للدر اسات التي تمت في هذه المسألة للمستشرقين وللعرب .

⁽٢) انظر تلك الشواهد في مصادر الشعر الجاهلي .. د. ناصر الدين الأسد ١٢٥-١٣٣ .

⁽۲) لتوثيق الأمرين يراجع تاريخ التراث العربي / الشعر / ۳۱/۱ (رأى ليال) ۳۲ (بروكلمان) ، ۳۳-۳۳ (سزكين) وكلهم توصلوا إلى أن جمع شعر الجاهلية بدأ في عصر النبي في والراشدين - ويراجع الكتاب نفسه ۲۹/۱ (جولد تسيهر) ، ۳۰ (يعقوب) ، ۳۳ ، ۳۳۰ (سزكين) = .. و هؤلاء ذكروا أن الجمع المنظم للشعر الجاهلي بدأ منذ العهد الأموى في النصف الثاني من القرن الأول الهجري .

وأما الرواية الشفوية فإن المشككين تجاهلوا عموميات كثيرة ، أولها أن الذاكرة الإنسانية لبعض الناس من مختلف الأجناس لها طاقة هائلة على الاختزان والتذكر (۱) ، وأن التاريخ العربي يعرف أمثلة كثيرة من أصحاب هذه الطاقات (۱) ، وأن الظروف التي مر بها الشعر الجاهلي منذ أقدم أثر منه إلى عصر التدوين لها نظير مطابق في المأثورات الهندية واليونانية (۱) وأن ما قُضي به هناك ينبغي أن يُقْضَى به هنا – حيث V فرق .

كما تجاهلوا خصوصيات أهمها:

١ - أن صياغة الشعر العربي العمودي كما في الشعر الجاهلي تساعد

⁽۱) تفاوت قوة الذاكرة واقع لا يجحد ، وعندما تدعو ظروف جادة إلى اختزان معلومات كالأنساب عند العرب ، أو نصوص - كالشعر والخطب .. فإن الذاكرة البشرية تأتى بالأعاجيب . يقول ليال Lyall : "كثيراً ما أشير إلى أن حفظ الأدب الهندى القديم في القرون السابقة على شيوع التدوين يعطينا مثالا أكثر إثارة للدهشة من أمثلة ما تستطيع الذاكرة البشرية القيام به " ، ويقول " في العصور التي لا تستخدم فيها الكتابة إلا في المدن ولأغراض خاصة يُعتنى بالذاكرة عناية كبيرة ، وتكون أقدر كثيراً منها في العصور الحديثة ، وليس من المدهش أن تُتداول القصائد (يعني بالرواية الشفوية) قرنين أو ثلاثة " (مقدمة ديوان عبيد ، نشرة د. حسين نصار ص ٢١) .

⁽۱) هناك من كان يحفظ القصيدة نحو ثمانين بيتا بمجرد سماعها مرة واحدة - كابن عباس ، والفرزدق (الأغاني ۲۱،۷۹/، ۲۱، ۳۹۰) وأبىي تمام وبديع الزمان (أوج التحري ۱۷،۱۰) ومن ذوى القدرة في هذا المجال قتادة "تهذيب التهذيب " ۲۸۲۵۳ و ۳۵۳ " المتنبي " تاريخ بغداد " ۱۰۳/۶ " وفي مجال سعة الحفظ وثباته الزهري (تهذيب التهذيب المتهذيب المتنبي " وحماد (الأغاني ۲۱/۷) ، والشافعي (معجم الأدباء ۲۷۶/۷۷ - ۲۸۰ و ۲۸۹ - ۲۸۹) ، والبخاري (وفيات الأعيان تحد محيى الدين ۲/۲۵۱) ، والأصمعي ۲۸۹ - ۲۸۹) ، وابو محلم الشيباني (بغية الوعاة ۲۷۷۲) .. وهذه مجرد أمثلة .

^{(&}lt;sup>r)</sup> ينظر التعليق قبل السابق ، ومصادر الشعر الجاهلي ٣٠١ .

مساعدة عظيمة على حفظه وبقائه حيا في الذاكرة ، وعلى استرجاعه عندما يُحتاج إلى ذلك ، حيث إن الاتزان الدقيق المطرد في تفاعيل كل قصيدة يربي حسنًا مرهفاً يتنبه إلى أي اختلال في الكلمات أو في حروفها ويستنفر الذاكرة أقوى استنفار لتلافي هذا الاختلال . وبذلك فإن الشعر المحفوظ يستمر في ذهن حافظه إلى آخر حياته ، وبخاصة إذا أتيحت الظروف المنشطة للذاكرة – وقد كانت متاحة دائماً، حيث كان الشعر سجلاً للوقائع والمفاخر والمعايب والعلاقات والحركم . وحياة العرب في البادية كانت زاخرة بما يستدعي استحضار كل ذلك من حروب ومنافسات ومسامرات، وأجواء شفافة تهيج الذكريات وتدفع إلى التغنى بالشعر المحفوظ لمن يركن إلى الترجيع ، أو يجتزئ به عن إنشائه أي قرضه .

۲ – أن تجريح بعض رواة الشعر الجاهلى لـم يَخْفَ عن علماء الشعر العرب القدماء ، بل تنبهوا إليه أشد التنبه ، لكنهم ميزوا بين الرواة ، فاستبعدوا مرويات الذين لم يكونوا من أهل العلم بالشعر ، ومرويات الصحفيين أى الذين أخذوا مروياتهم من صحف لـم تُقْرأ على علماء ، ولـم تقارنها رواية علماء (۱) واستَبقوا روايات مجموعة من الثقات العلماء بالشعر الذين تَلقوا ما رووه عن علماء بالشعر ثقات أبو عمرو بن العلا ، والمفضل الضبى ، وأبـو عمرو عمرو عمرو بن العلا ، والمفضل الضبى ، وأبـو عمرو

⁽۱) ككثير مما رواه محمد بن إسحاق صاحب كتاب المغازى (ينظر السيرة لابن هشام ا/٤) ، وما جاء في كتاب عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، وابن هشام في كتاب التيجان ، وابن مفرغ في سيرة تبع وأشعارها (ينظر سزكين ٢/١/٣، ١١١، ٣٢/٢/، ٢١١، ٢/١/٣ ، ١١١، ٢/١/٣ ، ١١٠ والدواوين المروية مُيز فيها بين الصحيح والمشكوك فيه (انظر مثلا ديوان امرئ القيس والنابغة تح أبي الفضل وديوان عبيد) ، والطبقات لابن سلام مبنى على الإشارة إلى الشعر الصحيح ، وابن هشام لاحق معظم الشعر الذي جاء في السيرة النبوية له بالنقد المنصب على الصحة والعزو .

الشيباني، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، وخلف الأحمر ، وحماد الرواية. (١) فعن هؤلاء وأمثالهم من الثقات وصل إلينا كل ما بين أيدينا من دواوين الشعراء الجاهليين ، والمجموعات التي تحوى مختارات من شعر الجاهلية كالمعلقات ، والمفضليات ، والأصمعيات وما إليها. (٢)

⁽۱) أثيرت شكوك حول خلف وحماد: أنهما كانا يؤلفان الشعر وينحلانه إلى أسماء جاهلية . وبحث هذه الشكوك يسقطها تماما . أما خلف فقد وثقه ابن سلام (۲۳/۱) توثيقا لا يتأتى معه أن ينحل شعره غيره . وقصة وضعه قصيدة على النابغة (طبقات النحويين ۱۹۳) يكذبها خلو خلو ديوان النابغة بكل أقسامه - ومنها قسم المنحول - من البيت المدعى نحله إليه - مع أن الواقع أن شاعرية خلف لا تبلغ رقى شعر القدماء ، ولو بلغت حال العقل أن يهدرها بنحلها إلى غير نفسه عبثا . وأما حماد فقدرته على الشعر ودرجته فيه لا تؤهلانه أبداً لشعر ينحل القدماء (انظر شاهد على صحالة شعره ولعجزه على الرد على من هجاه في الأغاني ٢٣/٦ ، ٨٥) والقصص التي تساق شاهد على كذبه أو نحله هي قصص فيها أدلة كذبها . قصته مع المفضل عند المهدى و عترافه المهدى بأنه وضع الأبيات الأولى من قصيدة لز هير (الأغاني ٢/١٠) كاذبه : لأن حمادا توفى سنة ١٥٥ هـ) قبل أن يتولى المهدى (١٥٨) وقصة نحله إلى الحطينة قصيدة في مدح أبي موسى ادعاء النحل فيها كاذب لأن المدائني صححها (ينظر الإغاني ٢٥/١٠) و ١٨٥١ ، ١٧٥ ، و ٢/٨٨ ومرو له في الأغاني ٢٥/١ وطبقات النحويين واللغويين الزبيدي ٢٧) .

⁽۲) عن شواهد الانتقاء وتجنب المشكوك فيه ، ينظر ما في التعليق قبل السابق هنا . وقد فحصت الجزء الخاص بشعر الجاهلية والمخضر مين مر "تاريخ التراث العربي من حيث الرواة فوجدت جمهور رواياته عن التقات الذين ذكرنا كثرهم ونم ينفرد "أى من الرواة المشكوك فيهم ولا حماد برواية أى شعر جاهلي . ومجموع الشعراء في الجزء المذكور المشكوك فيهم ولا حماد الذين قيل عن كل منهم إن في شعره قطعة أو قصيدة أو أبياتا مشكوكا فها اثنين وعشرين شاعراً لاغير (حددت القطع المشكوك فيها من شعرهم) والذين أشيع الشك في شعرهم اثنان فقط على بن أبي طالب ، وأمية بن أبي الصلت . وهذا الأخير ثبت له شعر كثير صحيح . والذي ذكرناه هنا من تمييز الشعر المشكوك فيه لذلك العدد المحدود من الشعراء يقطع بسلامة الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا .

ثم إن هناك دراسة حديثة (١) أزالت كثيرا من الغموض الذي اكتنف انتقال الشعر الجاهلي بالرواية الشفوية إلى عصر التدوين الشامل في أو اخر القرن الثاني ، فحددت ثلاث صور علمية لذلك الانتقال: تمثلت الأولى في الرواة المتخصصين لشعراء معينين يتلقفون شعرهم ويحفظونه وينشدونه ، فيحفظه رواة طبقة تالية ، وعن رواة هذه الطبقة إلى رواة طبقة أخرى .. وهكذا . وهذه الصورة الأولى تثبت وجود طبقة من السرواة المتخصصين وجودا موسعا يمثل أساسا أو قناة من قنوات انتقال الشعر الجاهلي - بالرواية الشفوية - إلى عصـر التدوين الشامل. وتمثلت الصورة الثانية في الرواة العلماء الجامعين للشعر . وهؤلاء لم يقتصر الواحد منهم على رواية شعر شاعر واحد بعينه ، وإنما كان يجمع من شعر الجاهلية وشعر من سبقوه هو ما استطاع باعتداد ذلك صورة مهمة من صور العلمية (أى كونه عالما) ، فيتخذ بذلك موقعه بين طبقة العلماء ، يُحتكم إليه ويُتلقى عنه في الشعر وفي تاريخ العرب وحياتهم، وفي اللغة العربية. لقد عينت هذه الدراسة الحديثة أسماء نحو خمسين راوية عالما بالشعر تغطى حياتهم عقودا من العصر الجاهلي وتمتد إلى عصر الرواة المشهورين المعترف بهم عند الجميع أبى عمرو بن العلاء ومن يليه . وهذه الحقبة (من نحو سنة ٣٠ قبل الهجرة إلى نحو ١٥٠ هجرية) هي أهم حقب انتقال الشعر الجاهلي . فتعييس الرواة الذين عاشوا فيها ونقلوا الشعر الجاهلي إلى عصر التدوين الشامل تعيينا مشفوعا بما يشهد لكونهم رواة علماء = أمر يزيح الضباب الذي اكتنف عملية النقل بالرواية هذه ، ويُطَمِّئن إلى حقيقة وقوع النقل وسلامته طَمَّأنه علمية تزيِّف ادعاء نحل الشعر الجاهلي .

⁽۱) انظر هذه الدراسة في كتاب حلقات مستدركة في نقل الشعر الجاهلي إلى عصر الدواوين د. محمد حسن جبل (تحت الطبع)

وتمثلت الصورة الثالثة في استفاضة العلم بالشعر الجاهلي - نصوصبه والمبرزين من شعرائه - لدى المتقفين من أنباه العصر الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية . ونقصد بالأنباه العلماء والحكام . وتتجلى استفاضة علمهم بالشعر الجاهلي في تنويههم في مجالسهم ومواقف المناظرة والمحاضرة بكثيرين من شعرانه ، ومفاضلتهم بينهم في الشاعرية ، وكذلك تنويههم بقصائد معينة من ذلك الشعر ، وتمثّلهم في المواقف والمسامرات بأبيات منه ... وهذا يعني شيوع العلم بذلك الشعر عند الخاصة (العلماء والحكام) وعند بعض العامة أيضاً في القرن الأول وفي النصف الأول من القرن الثاني الهجري . وهذا بدوره يعني أن جامعي الشعر الجاهلي ومدونيه كانت روايات ذلك الشعر متاحة أمامهم بأكثر من الشعراء الرواة المختصين ، والرواة الجمّاعين العلماء ، والأخبار المستفيضة للشعراء الجاهليين والمخضر مين وعيون قصائدهم وأبياتهم بين الأنباه في تداول يشبه التواتر ؛ فاغترف أولنك الجامعون ودونوا ، وكانت لهم وسائلهم في التحري وتمديص الروايات . ثم نبغ من بعدهم علماء آخرون فأعادوا التمحيص حتى وصل إلينا الشعر الجاهلي صحيحا في جملته ، متميزا من المشكوك فيه .

لكن مرجليوث وزمرته ضخموا التشكيك في خلف وحماد ، وضموا ذلك مع ما قيل في مرويات الطبقة التي استبعدها العلماء العرب ، وتجاهلوا تمييز الأنمة القدماء بين الطيب والخبيث .. كل ذلك ليتوصلوا إلى هز الثقة في رسوخ اللغة مفرداتها ومعانيها وإعرابها وسائر قواعدها ،ثم إلى الطعن في لغة القرآن الكريم ، وفي أهم وجوه إعجازه . والله من ورائهم محيط .

فلا ينبغى أن يهتز يقين أحد بسلامة نسبة الشعر الجاهلي تأثرا بتشكيك

مرجليوث ، وألفرت ، وبلاشير ومن تبعهم فإنهم لم يكونوا من أهل التحقيق (١) وما شكّكوا فيه صنحتَح سلامته كثيرون أوثق منهم من المستشرقين (٢) بَلْهُ محققى علماء العرب القدماء (٦) والمحدثين (٤) .

⁽۱) أشرنا من قبل إلى منهج مرجليوث . وأما ألفرت فإن تأخره عن رتبة المحققين يشهد به أنه بذل قصارى جهده فى المتاجرة بالروايات المشككة فى حماد . ثم لم يستطع هو ولا مترجمه أن يميزا بين حماد راوية الشعر – المختلف فى اسم ابيه والمتوفى سنة (١٥٥هـ) وبين حماد بن سلمه راوى الحديث ، الفقيه ، الإمام فى العربية المتوفى سنة (١٦٧هـ) فجعلا الأول هو الثانى – مع أن الأقوال فى اسم أبى حماد راوية الشعر ليس من بينها سلمه ، (ينظر كتاب دراسات المستشرقين .. ص٥٥) . وأما بلاشير فبحث ثم أبى أن يسلم بالنتائج ، وأما نولدكه فلعل سر عدم توصله إلى ثمرة علمية أنه كان من أوائل من حاولوا بحث الأمر من المستشرقين (ينظر ما قاله سزكين فى تاريخ التراث الشعر ٢٧/١ عن بلاشير) .

⁽۲) من المستشرقين الذين صححرا نسبة الشعر الجاهلي إلى الجاهلية موير ، فلهاوزن ، جولدتسيهر ، ويعقوب ، وبروكلمان ، ليال ، كرينكو ، برونليتسش ، ديلافيدا ، وليم هنريك، سزكين . ينظر تاريخ التراث العربي " لسيزكين ۲/۲/۲-۳۷ ، وينظر عن ليال خاصة ، مقدمته لديوان عبيد نشرة د. حسين نصار (مترجمة) ومقدمته للجزء الثاني من المفضليات بالإنجليزية وبخاصة من ص XVI إلى آخر XXI ولم يترجم أيا منهما د. عبد الرحمن بدوى ضمن كتابه " دراسات " المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي " ؛ فتجاهل الأولى ، وقال : إنه لم يترجم الثانية لأنها تعوزها الروح النقدية " (ص ۱۲) في حين أنها تمديص علمي لما قيل في حدد وخلف من اتهامات

⁽۳) مثل الرواة العلماء لمحققين أبى عمرو بن العلاء . والمفضى ، وأبى عمرو سيبانى ، والأصمعى ، ومثل الإمام الشافعي الذي صحح عليه الاصمعي ، ومثل الإمام محمد بن سلام .

⁽³⁾ انظر إشارات بنى عدد من العلماء نمحققين وبحوثهم فى هذا نمجال فى "محاكمة فكر طه حسين "، وانظر للعلامة الشيخ محمود شاكر مقالين نفيسين فى مجلة العرب (١٣٩٥/١٣٩٥هـ: ١٩٧٥-١٩٧٦م) ينصبان على تحليل نصوص لابن سلام والجاحظ وغير هما تتصل بهذه المسألة، وكذلك مناقشة بعض الاتهامات الموجهة إلى حماد الراوية=

- وبتبوت صحة انتساب الشعر الجاهلي إلى عصر الجاهلية (١) تَثْبُتُ أصالة الإعراب في ذلك الشعر ، وهو ما سوف يتبين في الجزء الثاني من هذا الفصل .

ثانيا : شواهد وجود العراب في الشعر الجاهلي

أ - شواهد تاريخية : لوجود الإعراب في الشعر الجاهلي

تتمثل هذه الشواهد في ملاحظة بعض شعراء الجاهلية وقوعهم في الإقواء - ثم تخلصهم منه عندما يُنبَهون .

والإقواء هو اختلاف حركة روى البيت التي تكون في القافية ، والتي يفترض أن تكون موحدة في كل القصيدة . فإذا جاءت هذه الحركة في بيت لمقتض إعرابي ، ثم جاء غيرها في بيت آخر من نفس القصيدة لمقتض إعرابي آخر ، وتنبه الشاعر أو الجمهور إلى هذا الاختلاف بين الحركتين فعاد الشاعر وصاغ الكلام بما يقتضى نفس الحركة الإعرابية المماثلة لما في الأبيات السابقة من القصيدة = فهذه ممارسة للإعراب حقيقية وصحيحة تحقق وجود الإعراب -

⁼ وخلف الأحمر (نشرتا بعنوان : قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام). وانظر كذلك سبعة مقالات أخرى للشيخ شاكر أيضاً بالغة النفاسة في مجلة المجلة (نشرت مواترة في الأعداد من ١٤٨ - إبريل ١٩٦٩ إلى ١٦١ مايو ١٩٧٠م) وفيها تحليل علمي ومناقشة نمسائل عن الرواية والرواة بالنسبة للشعر الجاهلي . مع تحليل فني لقصيدة ابن أخت تأبط شرا (إن بالشعب الذي دون سلع) التي قيل عنها إنها منحولة ومختلة الترتيب. وتعريفنا هذا بمقالات العلامة محمود شاكر جد مختصر لا يُجْتَرَأُ به . وقد نشرت هذه المقالات أخيرا في كتاب خاص بها بعنوان " نمط صعب ونمط مخيف " .

⁽۱) للمولف معالجة لقضية الشعر الجاهلي كشف فيها أهم الحلقات الغامضة في رواية ذلك الشعر فانظرها في كتاب حلقات مستدركة في نقل الشعر الجاهلي إلى عصر التدوين.

حتى ولو لم يعرف الشاعر ولا الجمهور أن الإتيان بالحركة في آخر الكلمة لمقتض (المقتضى سُمّى عاملا) هو الذي يسمى إعراباً.

جاء فى الأغانى حكاية أبى الفرج بسنده أن أبا عبيدة قال ": كان فحلان من الشعراء يُقْوِيان : النابغة ، وبِشر بن أبى خازم : فأما النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت (الإكفاء هنا هو الإقواء عينه) ، فدعوا قَيْنة وأمروها (أن تغنى فى شعره ففعلت وغنت قوله :

أَمِنَ ال ميةَ رائحٌ أو مُغْتدِى عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ زَعَم البوارحُ أنَ رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

فلما سمع الغناء: "وغير مزود "و " الغرابُ الأسودُ "وبان له ذلك بالمد في الغناء فَطِنَ لموضع الخطأ . كذلك غنت في القصيدة نفسها :

سَقط النَّصِيفُ ولم تُردْ إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد بمخضَّب رُخص كأنه بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يُعْقَدُ

فلما سمع قوله "واتَقتنا باليد "و "يكاد من اللطافة يعقد "تبين له لما مدت المغنية كلمة "بساليد "فصارت الكسرة ياء "باليدى "ومدت "يعقد "فصارت الضمة كالواو "يُعقدو "ففطن فغير الموضعين إلى الكسر كبقية القصيدة فغير الشطر الأول إلى:

وبذاك تَنْعَابُ الغرابِ الأسودِ

وغير الشاطر الثاني إلى :-

عَنَمٌ على أغصاتِهِ لم يُعْقَدِ

وكان يقول : وردت يترب وفي شعرى بعض العاهة ، فصدر ت عنها وأنا أشعر الناس "(١)

وأما بشر بن أبى خازم فنبَهه أخوه سُوَادة إذ قال له إنك تُقُوى . قال وما ذاك ؟ قال قولك :

ويُنْسَى مثل ما نُسِيتُ جذامُ

تُم قلت بعده ... إلى البلد الشأم

ففطن بشر فلم يعد (٢) والقصيدة التي وقع فيها هذا أولها:

أحَقِّ ما رأيت أم احتلام أم الأهوال إذا صحبى نيام

ومنها :-

ألم تر أن طولَ الدهر يُسلِي ويُنْسِي مثل ما نُسِيت جُذامُ

وبعده:

وكانوا قومنا فبغَوْا علينا فسنُقْناهم إلى البلد الشآمِي(٦)

⁽۱) الأغانى (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١١/٨-١١ بتصرف من أجل التوضيح مع الاختصار . وقصة إقواء النابغة هذه فى طبقات فحول الشعراء (تح العلامة محمود شاكر) ١٧/١-٦٨ والموشّح للمرزبانى .

⁽۲) الأغساني ۱۰/۱۱.

⁽۲) القصيدة في المفضليات (تح وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون) برقم ۹۷ والبيتان برقم ۳۳ ، ۳۲ ص ۳۳۷ .

وهنا إبضاحات:

۱ - الشاعران جاهليان : فالنابغة توفى نحو سنة (۲۰۲م) وبشر قتل فى إحدى المعارك نحو سنة (۱۰۰م) (۱) . وقد بُعِث الرسول شخص فى ما يوافق سنة (۲۱۱م) .

7 - يلاحظ أن تنبيه الشاعرين وقع في زمن حياتهما ، أى في الجاهلية أيضًا ، وأن النابغة أصلح خطأه في قافية الشعر بأن أعاد صياغة تركيب العبارة في كل من الشطرين بحيث يقتضى التركيب الجديد ضبط كلمة " الأسود " في الشطر الأول بالكسر جرا على أنها صفة لكلمة " الغراب " التي هي مضاف إليه، وبحيث يمكن ضبط الفعل " يعقد " في الشطر الآخر بالكسر بأن يؤتي به مجزوما بالسكون ثم يحرك بالكسر لموافقة حركة القافية ، وهو لا يحرك بالكسر إلا عن جزم بالسكون .

وكل هذا معناه أن جمهور مستمعى أهل يثرب ثم الشاعر ميزوا اختلاف حركات القافية . واختلاف حركات أواخر الكلم هو الإعراب إذا كان تاثراً بالعوامل ، وإن كانت فكرة العوامل أى سبب اختلاف الحركات غير حاضرة فى ذهن الجمهور أو الشاعر حينئذ . والأهم من تمييزهم اختلاف حركات القافية هو إدراك الشاعر أن إعادة صياغة الشطر يمكن أن تأتى بضبط لكلمة القافية مناسب لضبط قافية البيت السابق أو القصيدة ، ثم اهتداؤه بالفطرة إلى تلك الصياغة المنتجة للضبط الذى يريد . وهذا هو حاق الإعراب ، رغم غياب المصطلحات المعبرة عنه .

⁽۱) ينظر تاريخ التراث سزكين / الشعر ۲/٥، ١٨٢ .

وبالنسبة لبيتى بشر بن أبى خازم فقد اقتصرت الرواية على مرحلة ملاحظة اختلاف ضبط القافية ، وأن الشاعر لم يعد إلى الوقوع فى هذا الخطأ. وهذا يكفى لإثبات معرفتهم بالضبط الإعرابي.

ب - شواهد تحليله:

لوجود الإعراب في الشعر العربي العمودي جاهلياً أو غير جاهلي صورتان :

الصورة الأولى: أن علامات الإعراب مأخوذة في وزن الشعر، سواء ماكان من تلك العلامات حركات ضمة أو فتحة أو كسرة ، وما كان حروفا كما في الأسماء الستة وجمع المذكر السالم إلخ وقد قال د. إبر اهيم أنيس (۱) إنه يمكن قراءة الشعر ساكن أو اخر الكلم ، أي يمكن الاستغناء فيه عن حركات الإعراب . ويريد بذلك دعم القول بأن الإعراب لم يكن موجودًا في الشعر الجاهلي – أي لم يكن موجودًا في الشعر الجاهلي – أي تحريكه بمكن تحريكه بأية حركة عشوائية تغني في الاتزان حتى لو لم تتسق مع الضوابط الإعرابية . وهذا تصور غير علمي لأن العلم ظواهر مطردة لا افتراضات جزافية . إن ذلك التصور يوهم أن الشعر كان يشبه تلك الأغاني المختلة الوزن ، التي يجبر المغنون اتزانها بمطل الحركات وقبضها حسب ما يستريحون إليه من لحن – على ما تفعل الأعاجم في شعرها (۲) وهذا يناقض الصورة التي وصل بها الشعر إلى العصور الإسلامية وإلى عصرنا هذا ، وهي صورة بالغة الضبط والدقة ؛ نوع فيها الشعر إلى بحور ذات أوزان وضروب وأعاريض تتأثر بوجود

⁽۱) " من أسر ار اللغة : ۲۲۲ – ۲۲۸ .

⁽۲) ينظر البيان والتبيين للجاحظ (تد هارون) ۲۸٥/۱ .

الحركات ومنها حركات الإعراب ، وتَدْخُلها بإلغاء تلك الحركات عِلَل بعضها لا يستقيم الشعر معه . ولنتأمل قول امرئ القيس في معلقته:

وقد أغتدى والطير فى وُكُناتها مِكَسرٌ مِفَسرٌ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معا كميتٍ ينزل اللبد عن حال متنه

بمنجرد قيد الأوابد هيكل كجلمود صخر حطّة السيل من عل كما زلت الصفواء بالمتنزل

فهذا من بحر الطويل ، ووزنه فعولن مفاعيلن أربع مرات . وإذا جردنا الألفاظ من علامات الإعراب بأن نطقناها ساكنة الأواخر ، فإننا نجد في البيت الأول - أن التفعيلة الثالثة (فعولن) تبدأ بساكن وهو الراء ، والتفعيلة الرابعة تصيير مفاعلن بسكون العين مقابل سكون تاء (كناتها) فيلتقي ساكنان ، والتفعيلة السادسة ستئول إلى مستفعل ، والثامنة ستبدأ بساكن وهو الدال . وسنجد في البيت الثاني التقاء الساكنين في مكر ، وفي مفر ، وفي صخر ، وستبدأ التفعيلتان السادسة والثامنة بساكن . وفي البيت الثالث ستصير التفعيلة الأولى فعول (بسكون اللام - أي مقصورة)، وستبدأ الرابعة والسابعة بساكن (١) وسيحدث مثل هذا في سائر أبيات القصيدة ، كما سيحدث الكثير مما هو من هذا الباب في أبيات كل قصيدة من أي بحر كانت عند تجريد ألفاظها من حركات الإعراب .

وهذا كله خارج على العربية وعلى وزن الشعر العربى ، فليس فى العربية ولا فى تفاعيل الشعر ابتداء بساكن ، كما أنه لا يجوز فى العربية ولاتفاعيل الشعر التقاء ساكنين إلا فى الوقف ، وإلا فى حالة أخرى هى أن يكون

⁽۱) تقطيع الأبيات وبيان تفاعليها وما تصير إليه هو من المعلومات العروضية العامة ، ويمكن مراجعة العقد الفريد لابن عبد ربه (تحد. الترحيني) ۲۹۰ – ۲۹۱ عن بحر الطويل وما يجوز وقوعه في حشوه بحسن أو بقبح ، و۲۷۲ – ۲۷۳ عن الوقص والقصر .

أول الساكنين حرف مدَ^(۱) وهذه الحالة الأخيرة لا تجوز في الشعر إلا في عروض واحدة من بحر المتقارب. وكذلك فإن قصر فعولن إلى فعول ، ووقص مفاعيلن إلى مستفعل أمران لا يقعان في حشو هذا البحر^(۲). وخلاصة هذا كله أن تجريد كلمات الشعر من حركات الإعراب يأتي بكلام ممسوخ الصورة مخالف لضوابط صياغة العربية وضوابط صياغة الشعر كليهما - بحيث لا يجوز تسميته عربيا.

فإذا قيل إن التقاء الساكنين والبدء بساكن كان يمكن تجنبهما بتحريك أواخر الكلم بأية حركة (عشوائية)، ولا حاجة حينئذ لالتزام حركات الإعراب خاصة – فإن جواب هذا الافتراض أن نسجل أولاً على أصحابه سقوط ادعائهم أن الشعر كان / أو يمكن أن / ينطق ساكن أواخر الكلم تجردًا من الإعراب . ثم يبقى ادعاؤهم العشوائية في تحريك أواخر الكلم ، فهذه العشوائية يسقطها تماما اطراد الضبط الإعرابي تبعا للعوامل المناسبة . بمعنى أنه ثبت عن العرب في كلامهم وشعرهم أن كل اسم نسب إليه إيقاع فعل جاء قبله في الكلام فإنهم كانوا ينطقون ذلك الاسم مضبوط الآخر بجنس معين من العلامات لا يتغير ، وجاء النحاة فسموا موقع الاسم الذي يُنسب إليه أداء فعل قبله موقع فاعلية ، وسموا الاسم الذي يقع في ذلك الموقع فاعلا ، وسموا جنس العلامات التي تلحق آخر الاسم حينئذ علامات الرفع . كذلك ثبت عن العرب أن كل اسم نسب إليه أنه وقع عليه فعل فاعل فانهم كانوا ينطقونه مضبوط الآخر بجنس معيَّن آخر من

⁽۱) في شرح الرضمي الشافية تح . الشيخ محمد محيى الدين ورفيقيه ۲۱۰/۲ – ۲۲۶ تفاصيل كثيرة عن التقاء الساكنين .

⁽۲) الوقص حذف الثانى المتحرك من الجزء ، والقصر حذف ساكن السبب الخفيف الواقع فى نهاية جزء وإسكان ما قبله . وانظر المرجع فى التعليق قبل السابق .

العلامات لا يتغير، وجاء النحاة فسموا موقع ذلك الاسم موقع مفعولية، وسموا الاسم الذي يقع في ذلك الموقع مفعولا به ، وسموا جنس العلامات التي تلحق آخر الاسم حينئذ علامات النصب ، وهكذا . وقد ثبت هذا بالاستقراء بمعنى أن الاستقراء (۱) لكلام العرب وشعرهم أثبت أن المناسبة للموقع (حسب ما كشف العلماء) يطرد وجودها في الاسم اطرادا تاما . وهنا نقول إن اطراد وجود العلامة الإعرابية المعينة في الاسم كلما وقع موقعا معينا .. هذا الاطراد يثبت علاقة علمية يقينية – أي معترفا بها عند أهل العلم (۲) وهذا ينفي العشوائية والجزافية نفيا تاما . وكل ما يقال في جحد ذلك فهو مكابرة لا وزن لها .

هذا بالنسبة للصورة الأولى من علامات الإعراب وهى الحركات. وقد ثبت بطلان الادعاء بإمكان تجرد الشعر منها - مع بقائه شعرا موزونا تمام الاتزان علي ما عُرِف في الشعر الجاهلي - وأما بالنسبة للإعراب بالحروف فإن ادعاء إمكان تجرد الشعر من حروف الإعراب هو ادعاء متوغل في البطلان

⁽۱) معروف أن الاستقراء هو تتبع أفراد الموضوع الذى هو محل الدراسة لتبين وجود صفة أو حال ما في تلك الأفراد أو عدم وجودها ، ثم استخلاص حكم عام . والموضوع هنا هو كلام العرب ، والمبحوث عنه فيه وجود الإعراب أو عدم وجوده. وقد استُخرجت قواعد النحو والصرف كلها بالاستقراء . (ينظر تصريح بهذا أكثر من مرة في أول "الأصول" لابن السراج) . فإذا لاحظ العالم الحافظ أو السامع لكلام العرب - بعد عرضه إياه في ذهنه - تحقق ضوابط إعرابية معينة بعد عوامل معينة أو وفقا لتركيبات معينة ثم وضع قاعدة بناء على ذلك فهذه قاعدة استقرائية صحيحة .

⁽۲) هذه العلاقة إحدى علاقات الدوران التي كشفها العرب في ما يسمى مسالك العلة (ينظر مثلاً: التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني (ت ٥١٠ هـ / ١١١٦م، ٤/٤٢). ثم ذكرها روجر بيكون (٤٩٢١م) فعدّت فتحا علميا منسوبا إليه ولا قوة إلا بالله . وخلاصتها أنه تثبت العلاقة بين (أ)، (ب) إذا وجد (ب) كلما وجد (أ). أو غاب كلما غاب ، أو تلازما وجوداً وغياباً معاً .

والخروج عن العقل ؛ لأن تجريد الكلام العربي من حروف الإعراب في الأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم - وما ألحق بهما ، وفي الأفعال لخمسة ، وكذلك عدم الحذف في الأفعال المعتلة . كل ذلك يخرج (كلاما) هو كالأصوات الهوائية التي ليست من العربية - شعرها ونثرها - في شئ . وربما تمادي القائلون بجحد وجود الإعراب فقالوا إن الحروف في المثنى والجمع السالم علامات تثنية وليست علامات إعراب . ونقول لهم إن تغيرها تبعا لعوامل الإعراب ينفي قصرها على ذلك ، ثم هناك الأسماء الستة والأفعال الخمسة ونونا المثنى والجمع السالم ، وهناك الحذف في الأفعال المعتلة ... وكل ذلك يوقف التمادي ، ويدعم بطلان جحد وجود الإعراب في الشعر القديم .

ثم إن الالتفات إلى مناقشة ادعاء (إمكان خلو الشعر من حركات الإعراب) مناقشة تاريخية منطقية تكشف لنا جزافيته من جهة أخرى . لقد ثبت تاريخيا أن الخليل بن أحمد (ت نحو ١٧٠ه) وضع علم العروض (= موازين الشعر) وبين فيه البحور وموازينها وما يطرأ على كل منها من علل وزحافات الشعر) وبين فيه البحور وموازينها وما يطرأ إلى أن الضوابط التي وضعها الخليل كانت مستمدة من واقع الشعر العربي بإعرابه فقد تقبل كل الشعراء وأهل العلم بالشعر من الأمة - وهم آلاف - هذه الضوابط لأنها مجرد تقنين لما هو واقع متحقق ومتبع في الشعر العربي منذ غرف إلى يومهم . ومن أجل ذلك لم يذكر لنا التاريخ أن هناك من اعترض على تلك الضوابط ؛ وعدها غريبة على الشعر العربي . في حين أن الادعاء بأن الشعر الجاهلي وغيره كان غير معرب ، واختر ع العلماء الإعراب ثم طبقوه على الشعر ... هذا الادعاء يعنى افتراض أن علماء النحو (والخليل من أنمتهم) قد جاءوا إلى أولئك الشعراء والعلماء بما لشعر وسائر علماء الأمة انصاعوا صاغرين لما جاء به علماء النحو، ثم جاء

الخليل بضوابط العروض (فتصادف) أن اتسقت مع علامات الإعراب في الشعر، ثم كر العلماء على شعر الجاهلية وما بعدها إلى عصر الخليل فأدخلوا فيه حركات الإعراب (فتصادف) أن جاءت هذه الحركات متسقة مع وزن الشعر في (كل) قصيدة على حدة ، ومتسقة مع قواعد الإعراب وضوابطه - رغم (كثرة) القواعد المتضمنة لشتى العوامل ومقتضياتها الإعرابية في عشرات الآلاف من أبيات الشعر منذ الجاهلية حتى عصر الخليل. إلى آخر تلك الافتراضات الذاهلة.

قبول هذه الافتراضات مستحيل علميا ، لأن المصادفات لا تقع إلا في إطار الاحتمالات . والاحتمالات لها حساب وضوابط علمية . فالمصادفة يقل احتمال وقوعها كلما تعددت الاحتمالات في الفرض الأول ، شم تقل بنسبة مضاعفة عند افتراض تلاقي مصادفة من مستوى تال مع أخرى من مستوى سابق ... وهكذا(۱) فالحساب العلمي يحيل قبول تلك الافتراضات إلا بعد إلغاء كل عقل ، وذلك بصرف النظر عن أن القول بها من أول الأمر مبنى على افتراض غفلة أهل هذا المجال ، وعلى الاستهانة بعقولهم .

⁽۱) ينظر بشأن حساب الاحتمالات - كتاب المنطق الوضعى د. زكى نجيب محمود ١٩٥٥ - ١٥ (الفصل ٢٦ كله) ، ويمكن تقريب احتمال المصادفة بالمثال التالى : عند إلقاء قطعة نقود فإن احتمال أن يكون الوجه الذى يظهر منها هـو الكتابة مثلا لا الصورة هـو (١: ٢)، أما إذا ألقينا عشر قطع فإن حتمال أن يكون الوجه الظاهر منها جميعا هو الكتابة نفسها نسبته (١: ٤٠٠١) أى لا يأتى حدوث هذه المصادفة إلا بهذه النسبة التى هى فـى غاية الندرة ، وهذا كله مع كون الاحتمالات فى القطعة الواحدة احتمالين فقط . أما إذا كانت الاحتمالات فى القطعة الواحدة عشرة مثلا ، فإن احتمال تماثل كانت الاحتمالات فى القطعة الواحدة أو الحلقة الواحدة عشرة مثلا ، فإن احتمال تماثل قطعتين أو حلقتين على وجه معين يكون بنسبة (١:٠٠٠) ونسبة واحد فى المئة هذه هـى دون الحد الأعلى للندرة الذى قدره ابن هشام بما يساوى ٤ فى المئة (ينظر المزهر المزهر ١/٤٣٤) . فالذين بينون نظريات على المصادفة ، ويفسرون نظما من حلقات معقدة ترتب كل منها على الأخرى بالمصادفة – إنما بينون على مالا يكون . ويظنون بعقول الناس شرا .

الصورة الثانية: من وجود الإعراب في الشعر ، ودلالة ذلك على أصالة وجود الإعراب في الشعر الجاهلي والعصر الجاهلي (وهي صورة لم ينبه أحد من قبل الي قيمتها في مجال إثبات وجود الإعراب في العصر الجاهلي) أن الشعر العمودي – وهو الذي كان موجوداً في الجاهلية وما بعدها وظل إلى الآن مع مزاحمة يسيرة في جيلنا المعاصر – كانت تلتزم في قافية كل صيدة منه هيئة إعرابية واحدة . وفي كل بيت من كل قصيدة كان يوجد من العوامل ما يقتضي نفس الهيئة الإعرابية المطردة في قوافي أبيات القصيدة ؛ مما يقطع قطعا لامرية فيه بوجود الإعراب في البيئة التي نشأ فيها ذلك الشعر ؛ إذ يستحيل أن يكون قوافق إعراب قافية كل بيت مع مقتضيه – الذي عُرف بعد اكتشاف قواعد النصو – في آلاف الأبيات في الجاهلية والإسلام ، يستحيل أن يكون كل ذلك مصادفة عشوائية .

وفى تمثيل توضيحى للمراد هنا نسوق ما أورده ابن قتيبة من قصيدة الشاعر المخضرم كعب بن زهير التى مَدَح بها النبى الشياف (١) ؛ لننظر كيف التزمت قوافيها هيئة إعرابية معينة ، وكيف اقتضت ألفاظ كل بيت وتراكيبُه تلك

الهيئة - باعتبارها عواملَ إعرابية . باتت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ

وما سعاد غداة البين إذ عَرَضَتُ وماتدوم على العهد الذي زعمت

ولا تمستك بالسؤد الندى زعمت

كانت مواعيد عرقوب لها مَثَلاً للبيت أن رسول الله أوعدني

مُتَيِم إثرها لهم يُجْن مَكْبولُ الله أغن عضيض الطرف مكحول الا أغن عضيض الطرف مكحول كما تلون في أثوابها الغول الا كما تُمسِكُ الماءَ الغرابيل وما مواعيدُها إلا الأبساطيل والعفو عند رسول الله مأمول

⁽۱) قصيدة كعب سبعة وخمسون بيتاً .

قسرآن فيها مواعيظٌ وتفصيل أذنب ولو كثُرت في الأقاويل وصارمٌ من سيوف الله مسلول ببطن مكة لما أسلموا زُولوا عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ لا تأخذنني بأقوال الوشاة ، ولم إن الرسول لنور يستضاء به في عصبة من قريش قال قائلهم زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُف

نلاحظ أن القافية على هيئة علامة الإعراب الرفع. فالشطر الأول من البيت الأول آخر كلمة فيه " متبول " وهي مرفوعة بالضمة وعامل هذا الرفع أنها خبر المبتدأ " قلبي " ، وكلمة " مكبول " في قافية البيت الأول مرفوعة بالضم كذلك لأنها خبر ثالث لذلك المبتدأ . وكلمة "مكحول " في خاتمة البيت الثاني مرفوعة بالضم لأنها صفة تانية للخبر المرفوع " أغن " ، وكلمة " الغول " في قافية البيت الثالث مرفوعة بالضم لأنها فاعل الفعل " تَلُوَّنُ " وكذلك كلمة "الغرابيل " مرفوعة بالضم لأنها فاعل : " تُمسك " ويلاحظ هنا أن المفعول وهو كلمة " الماء " تقدم على الفاعل ، وكلمة " الأباطيل " مرفوعة بالضم لأنها خبر المبتدأ " مواعيدُه " ، وكلمة " مأمول " مرفوعة بالضم خبر للمبتدأ " العفو " ، وكلمة " تفصيل " مرفوعة بالضم عطفا على مواعيـظ التي هي مبتدأ مرفوع ، وكلمة " الأقاويلُ " مرفوعة بالضم لأنها فاعل الفعل " كَثَرت " وكلمة " مسلول " مرفوعة بالضم صفة لكلمة "صارمٌ "المرفوعة عطفا على الخبر "نور "، وكلمة " زُولُوا " فعل أمر مبنى على حذف النون لكن انتهاء هذا الفعل باللام كالقافية كلها وإسناده إلى واو الجماعة بحيث تضم اللام قبلها جعل الكلمة على نفس هيئة القوافي التي قبلَها وبعدها ، وكلمة " معازيلُ " مرفوعة بالضم وصفا لـــ " ميلٌ " المعطوفة على " كُشُفّ " المعطوف على أنكاسٌ التي هي فاعل مرفوع. وهكذا نجد أن العوامل الإعرابية كلها تؤدى إلى قافية معربة بإعراب معين -وذلك هو الجمهور الأعظم هنا وفي كل القصائد ، أو يؤدي التركيب إلى مالـ ه هيئة ذلك الإعراب المعين . ولنلاحظ أن العوامل الإعرابية مختلفة (ابتداء ، فعل ، عطف ، نعت) وأن المواقع مختلفة (خبر ، فاعل ، معطوف ، صفة) لكنها كلها تؤدى إلى إعراب معين (هو هنا الرفع) أو هيئة تتاسبه . وذلك ما يستحيل أن يكون مصادفة عشوائية . فإذا استحضرنا أن هذا يجرى في كل أبيات القصيدة حتى لو بلغت عدتها المئات ، وأنه يجرى في كل القصائد التي على ذلك الإعراب = تبين مدى إغراق القول " بالمصادفات العشوائية " في الجزافية والمكابرة .

ونأتى بمثال للقوافى التى على هيئة إعراب النصب قول ربيعة بن مقروم الضبى (مخضرم)

أمِنْ آل هندٍ عَرَفْتَ الرسوما تخال معارفها بعد ما وقَفْتُ أُسائِلُها ناقتى وقَدْرنى العهاد أيامها ففاضَت دموعى فنهنهتها

بجُمْرانَ قَفرا أَبَتُ أَن تَريما أَبَت أَن تَريما أَتَت سنتان عليها الوُشُوما وما أنا ، أم مَا سُؤالى الرسوما فهاج التذكر قلبا سقيما عَلَى لحيتى وردائى سُجُوما(١)

إلــخ

⁽۱) المفضليات تحقيق وشرح شاكر وهارون قطعة رقم ٣٨ - ص ١٨٠ - ١٨١ (ط٤) .

"سجوما " حال أو مفعول مطلق (سجَمَت الدموع: قطرت / فاضت) منصوبة بالفتحة ، وهكذا يمكن أن تأتى القافية منصوبة على الاستثناء أو التمييز أو المفعول معه أو لأجله ...

وأخيراً نأتي بمثال للقوافي المجرورة من قول المسيب بن علس (جاهلي) :

قبل العُطاس ورعتها بوداع ليست بأرْمام ولا أقطاع قامت لتفتنه بغير قناع(١) أَرَحَلْتَ من سَلْمَى بغير مَتَاع من غير مَقْلِيَةٍ ، وإنّ حبالَها إذ تســتبيك بأصلَتي ناعــم

فنجد أن "متاع " في عروض البيت الأول مجرورة بالكسرة لأنها مضاف البيه ، و " وداع " في قافية البيت الأول مجرورة بالكسرة لدخول حرف الجر عليها ، و " أقطاع " في قافية البيت الثاني مجرورة بالكسر عطفا على أرمام المجرورة بحرف الجر ، و " قناع " في قافية البيت الثالث مجرورة بالكسر لأنها مضاف إليه . ويمكن أن تأتي القافية مجرورة نعتا أو بدلا أو توكيدًا .

ونعيد هنا ما أسلفناه منذ قليل أنه ينبغى أن نلاحظ أن العوامل الإعرابية مختلفة ، وأن المواقع التى تقتضيها تلك العوامل مختلفة ، لكنهما – بالرغم من ذلك – تؤديان إلى إعراب واحد معين ، وأن هذا يجرى فى كل أبيات القصيدة ، وفى كل قصائد الشعر العمودى بحيث لا يدع أى مجال لافتراض المصادفة .

وبما أن الشعر الجاهلي كله وشعر المخضرمين (١) كان على هذه الشاكلة فإن هذا يثبت وجود الإعراب في ذلك الشعره ومن ثم يثبت وجود الإعراب

^(۱) نفسه قطعة رقم ۱۱ ص ۲۰ – ۲۱.

⁽۲) الشعر العمودى كله يجرى على هذا النمط ، وإنما خصصنا الشعر الجاهلي والمخضرم لأن التشكيك في أصالة الإعراب ينصب على ذينك العصرين أساساً .

وأصالته فى العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ثبوتا قطعيا يقينيا لا تهزه أيـة شائبة شك .

وبثبوت وجود الإعراب في الشعر الجاهلي يثبت وجودُه في العربية قبل أقدم شعر جاهلي وصل إلينا بمئات السنين ، لأن الظواهر اللغوية لا تولد كاملة ، ولا تنتشر فجأة ، وإنما تستغرق قرونا وقرونا لكي تصل إلى مثل ما كانت عليه ظاهرة الإعراب من الكمال والإحكام والشمول في الشعر الجاهلي – وقد أسلفنا هذا المعنى من قبل ، وبخاصة إذا استحضرنا بطء إيقاع حركة الحياة ، وبطء الاتصال بين التجمعات في تلك الحقب الجاهلية مما يؤثر بالسلب في مدى سرعة انتشار الظواهر ونموها واكتمالها .



الباب الرابع

دلالة الإعراب على المعاتى

في هذا الباب سنعقد فصلا لبيان نوعي المعنى : اللغوى والتركيبي ،

ثم فصلا ثانيا لعلاقة المعنى اللغوى بالإعراب،

وفصلا ثالثًا لعلاقة المعنى التركيبي بالإعراب .

ثم فصلا تطبيقيا لدلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم،

ثم نعود إلى تصفية مسألة دلالة الإعراب على المعنى بمواجهة دعويين الأولى - نعقد لها الفصل الخامس وهى ادعاء معرفة المعنى دون حاجة إلى العلاقات الإعرابية ،

والثانية - ونعقد لها الفصل السادس - ادعاء إغناء القرائن عن العلامات الإعرابية . وأخيرا نعقد فصلا سابعا نكمل به بيان قيمة الإعراب في الكلام - بالإضافة إلى إفادته المعنى التركيبي - وذلك أنه يتيح إمكانية تحريك عناصر الجملة تقديما وتأخيرا كما يتيح إمكانية فصل العناصر المتلازمة وحذف بعضها .



الفصل الأول

نوعا المعنى

هذا الكلام الذى نستعمله للتعبير عما فى نفوسنا له شطران أساسيان لا يتم أداؤه لوظيفته - على ما ينبغى - إلا بهما جميعا .

الشطر الأول: هو المفردات اللغوية التي تتكون منها العبارات أو الجمل. وهذه المفردات لكل منها معنه اللغوى الخاص: ("الشجرة" للنبات المعروف ذى الساق والأغصان ... و" الجمل" للحيوان ذى السنام ، "ويكتب" فعل معناه رسم رموز أصوات الكلام خطوطا ، " ومن ، إلى ... " حروف تدخل بين الكلمات فتؤدى معنى معروفا ..).

وليلاحظ أن المفردات هي اللبنات التي يبني منها الكلام ؛ لأنها تجعل لكل معنى صورة لغوية تنطق وتكتب ، ودونها ما كان يمكن أن تكون هناك لغة بالمعنى المعروف .

ثم إن المعانى اللغوية للمفردات موضوعة مقررة ليس من حق منشئ الجملة أو العبارة أن يغيرها أو يتصرف فيها إلا في حدود متعارفة . كاستعمالها في معناها المجازى بدلا من الحقيقى ("الأسد" بمعنى الرجل الشجاع ، "والمطر" بمعنى المرعى النابت به ..) أو في معناها المتطور بدلا من الأصلى ("الطرب" بمعنى الخفة عند السرور فقط - لا بمعنى مطلق الخفة وإن كانت عند تلقى ما يُحزن ، و"القافلة بمعنى مطلق الرُفقة المسافرة لا بقيد الراجعة من السفر متجهة إلى المكان الذي بدأت منه السفر ..) وهكذا . فليس من حق منشئ الجملة استعمال كلماتها بمعان تخرج عن تلك الحدود وما إليها حسب أطرها العلمية ("الأسد" بمعنى الشجرة مثلا) ولا نحو ذلك .

والشطر الثاتى: هو العلاقات التى تربط بين تلك المفردات (أى بين معانيها) عندما تُركّب فى جمل. وهذه العلاقات حصيلتها هى ما يسمى المعنى التركيبى . فهو فى الجملة الفعلية يتمثل فى : أن هذا الفعل أوقعه مسمّى هذه الكلمة (أى الفاعل) على مسمّى تلك ، (أى على المفعول) ، وفى الجملة الاسمية : أن معنى تلك الكلمة (أى الخبر) محكوم به على مسمى هذه (أى المبتدأ) ومُخْبر به عنه ، وفى المكملات : أن هذه الكلمة وظيفتها بيان (حال) المنعول عند وقوع الفعل عليه ، الفاعل عند وقوع الفعل عليه ، وتلك (تميز) ذلك المقدار ، أو تبين أن مسماها أو مدلولها (مستثنى) أى مُخْرَجٌ من الحكم الذى قبله ... وهكذا .

والوسيلة الأساسية للدلالة على ذلك المعنى التركيبي هي الضبط الإعرابي. وقد يساعد في تبينه طريقة صوغ التركيب ، وترتيب المفردات ، واستيفاء الأركان الأساسية . وليلاحظ أن هذا المعنى التركيبي هو الذي يمكن من التعبير المتكامل عن المعاني غير المفردة وعن ترتيب هذه المعاني بعضها على بعض . ويستوى في قيمة المعنى التركيبي هذا ما كان منه مستمدًا من الأركان الأساسية للجملة وما كان مستمدًا من المكملات ؛ ذلك أن تعيين كون الكلمة حالا أو تمييزًا أو مفعولا لأجله أو معه إلخ يكمل صورة المعنى التركيبي، ويبلغ بالمقصود من الكلام غايته .

ودون هذا المعنى التركيبى يعود نثار المفردات لغوا قد يهبط عن لغة الإشارة ، بل لعله دون التركيب تفقد المفردات أهم قيمة لوجودها، شم يُفقد المفهوم الحقيقى لمصطلح "اللغة "أو "اللسان "نفسه . كذلك فإن تركيب جمل من مفردات لا معنى لها هو أمر ليس من "اللغة "حقيقة ، ولكن قد يؤتى به لتوضيح فكرة ، فلابد لاستيفاء اللغة قوامها من الأمرين :

المفردات المعترف بمعانيها ، والتركيب المستوفي لضوابطه التي قررها أهل اللغة .

وبعد تبين نوعى المعنى اللذين يتصلان بموضوعنا ، وهما المعنى اللغوى والمعنى التركيبي فإن علينا أن نبين علاقة كل منهما بالإعراب .

* * * *

•			
		•	
•			
	٠		

الفصل الثاني

علاقة المعنى اللغوى بالإعراب

فأما عن علاقة المعنى اللغوى بالإعراب فإن المعانى اللغوية للمفردات تؤثّر في الإعراب من أربعة سبل:

السبيل الأول :

أن نوع المعنى اللغوى للفعل هو الذى يقضى أن يكون - عندما نستعمله فى الكلام - لازما أو متعديا . فإذا كان الفعل من النوع الذى يقوم بصاحبه ويقتصر عليه ويتم وجوده به - مثل قام وقعد وذهب ونام وفرح وغضب وجبن الخ حيث إنك إذا قلت قام زيد فإن معنى القيام يتم بوقوعه من زيد ، ولا يتطلب الأمر شيئا آخر ليتم به معنى القيام وهكذا - فمثل هذه الأفعال تسمى قاصرة أو لازمة ، لا تنصب مفعولا ؛ لأنها لا تحتاج إلى شئ يتم به معناها غير الفاعل .

أما الأفعال التي مثل كتب وفتح وأخذ وضرب إلخ فإن معنى كل فعل منها لا يتم إلا بوجود محل آخر يقع به: فلا كتابة إذا لم يكن هناك شئ كتب ولا فتح إن لم يكن هناك شئ فتح ... وهكذا . والفعل الذي يحتاج إلى شئ آخر - مع الفاعل - حتى يتم معناه ويتحقق = يسمى متعديا ، لأنه تعدى إلى ذلك الشئ الأخر . وكمال وظيفة اللغة في التعبير تقتضى التمييز بين من وقع منه الفعل ومن وقع عليه الفعل ، وأن يكون ذلك التمييز بعلامة صوتية ؛ لأن الأصل في اللغة الاستعمال الصوتى . والعلامة التي اختارها العرب لتميز ما وقع عليه الفعل الفعل (المفاعيل وما إليها) هي علامة النصب . أما من وقوع منه الفعل فعلامته الرفع .

وهكذا يتضح أن لنزوم الفعل أى كونه يرفع فاعلا فحسب ، وتعديه أى كونه ينصب مفعولا = يرجعان إلى معناه اللغوى من حيث اكتفاء ذلك المعنى - في تحقق تمامه - بمن وقع منه ، أو احتياجه إلى محل يتحقق به معناه . فهذه هي صورة تأثير المعنى اللغوى في الإعراب من هذا الوجه ؛ حيث إنه هو الذي يوجه إلى وجود فاعل يحمل علامة الإعراب : الرفع ، ويوجه - أولا يوجه الى وجود مفعول يحمل علامة الإعراب : النصب .

السبيل الثاني :

هو أن المعنى اللغوى للفعل هو الذى يتحكم – أحيانا – فى تعيين الفاعل وتمييزه من المفعول إذا اجتمعا ، وذلك بواسطة مناسبة المعنى لهذا فاعلا ولذاك مفعولا – على ما يتضح فى مثل : أكل زيد الرغيف، أو لبس الثوب ، أو فتح الباب إلخ . فإن المعنى اللغوى للفعل (الأكل مثلا وهو معروف) يناسبه أن يسند إلى كائن حى من شأنه أن يأكل . وهذا الكائن يتمثل هنا فى "زيد" (ويمكن أن يسند الأكل إلى القط أو الكلب أو أى حيوان يأكل كما قلنا) ، فزيد هو الفاعل ويحمل علامة الفاعلية الرفع . كما أن الأكل يناسب الرغيف من حيث كونه يمكن أن يقع عليه الأكل فيكون مأكولا أى مفعولا به ويحمل علامة المفعولية النصب – وذلك بصرف النظر عن ترتيب الكلمتين فى الجملة . أى أن المعنى النوكيبي أو النحوى (وهو كون هذا فاعلا وذاك مفعولا ، ويدل عليه بعلامات الإعراب : الرفع للفاعل والنصب للمفعول) قد ترتب على المعنى اللغوى وتبعه. وهكذا يقال فى سائر ما يمكن أن يتحقق فيه هذا وهو كثير كثير .

وقد تبين بما سبق في السبيل الأول والثاني أن إسناد الفعل إلى فاعل ما قد يقضى به المعنى اللغوى لذلك الفعل وذلك الفاعل – على الوجه الذي شرحناه .

وللكلام عن الجملة الفعلية هنا تكملات أولاها: أنه في مثل جمل السبيل الثانى فإن المعنى اللغوى قد يقضى بتحديد المفعول أيضا: إما من حيث إن هذا المفعول هو المناسب ليكون مفعولا لذلك الفعل كما في أكل زيد الرغيف، وإما من حيث إن ما ليس فاعلا في مثل تلك الجملة فهو مفعول به أو من قبيل المفعول به . وقد أسلفنا قولة الإمام الفراء " لا يتبع الفعل بعد الفاعل إلا مفعول أو ما كان في حيزه " .

وثانية التكملات أن هناك من الأفعال المتعدية ما يصلح معناه لأن يباشره ايقاعا أيّ من مسميات الأسماء الواقعة في سياقه - كما في قولنا سبق الجمل الفرس . ففعل السبق يمكن أن يسند إلى الفرس كما يمكن أن يسند إلى الجمل وهنا يعود الأمر إلى اختيار منشئ الكلام ليقضى بالإسناد إلى أيهما فاعلا وبنسبة المفعولية إلى الآخر - حسب علمه بما وقع أو حسب ما يريد أن يقول للناس . ومنشئ الكلام يعبر عن اختياره بعلامات الإعراب : الرفع لما هو فاعل، والنصب لما هو من قبيل المفعول ، والجر لما هو من قبيل الإضافة . ومتلقى الكلام يستدل على مراد منشئ الكلام هذا - أي على المعنى التركيبي - بتلك العلامات .

السبيل الثالث:

(وهو كالصورة أو التكملة للسبيلين السابقين) أنه إذا قُصد من الفعل (أو ما يعمل عمله) معنى غير معناه الأصلى فإن ذلك يؤثر في بناء الجملة من حيث ضرورة مراعاة المعنى المقصود في التعدية أو اللزوم ، ومن حيث اختيار الحرف الذي يعدى به . وهذا السبيل سنة من سنن العرب في كلامها تسمى

- النضمين . ومما عرض ابن هشام من أمثلته (١) .
- ١ قوله تعالى: ﴿ ولا تَعْدُ عيناك عنهم ﴾ فالأصل في الفعل "عدا" أن يتعدى بنفسه يقال عدا الأمر وتعداه أي تخطاه ، لكن لما كان " عدا " في الآية بمعنى تجاوز عُدِّى بـ " عن " .
- ٢ قوله تعالى: ﴿ أُحِلَ لكم ليلةَ الصيام الرفتُ إلى نسائكم ﴾ . هنا ضمنن الرفت معنى الإفضاء فعدي بإلى ، وإنما أصل " الرفت" أن يعدي بالباء .
 يقال رفت بامر أته ومعها .
- ٣ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعلوا مِنْ خَيْرِ فَلَنْ يُكفَرُوه ﴾ أى فلن يحرموه أى فلن يحرموا أو أي فلن يحرموا ثوابه . ولهذا عُدى إلى اثنين فى حين أن " كفر " النعمة يُعّدى إلى واحد (يقال كفر النعمة كُفْر انا أى جحدها لم يشكرها) .
- ٤ قوله تعالى : ﴿ ولا تعزموا عُقْدة النكاح حتى ﴾ أى لا تَشْدُوا ولهذا عُدى بنفسه لا " بعلى " .
- وله تعالى: ﴿ لا يَسَمّعون إلى الملأ الأعلى ﴾ أى لا يصغون ، وقوله المصلى " سمع الله لمن حمده " أى استجاب : فعدى يسمّع فى الأول بإلى وفى الثانى باللام وإنما أصله أن يتعدى بنفسه مثل قوله تعالى : ﴿ يوم يَسْمعون الصيحة ﴾ .
- توله تعالى : ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ أى يميز ، ولهذا عدى للمفعول الثاني بـ " من " لا بنفسه .

⁽۱) الأمثلة التالية والتعليقات عليها من المغنى (تحد محيى الدين) ٢ . ٦٨٥ - ٦٨٦ مع تصرف يسير ، والآيات المذكورة في الأمثلة تخريجها ما يأتي حسب أرقام الأمثلة التي جاءت فيها ١ (سورة الكهف ٢٨)، ٢ (البقرة ١٨٧)، ٣ (آل عمران ١١٥)، ٤ (البقرة ٢٣٥)، ٥ (الصافات ٨ ، ق ٤٢) ، ٦ (البقرة ٢٢٢) ، ٧ (البقرة ٢٢٦) ، ٨ (الأحقاف ١٥) .

وقوله تعالى: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾ أى يمتنعون من وطء نسائهم
 بالحلف ، فهذا عدى بـ " من " .

٨ - قول الشاعر:

ممن حملن به وهن عواقد حُبُكَ النطاق فشبَ غيرَ مُهَبل حملت به في ليلة مزءودة كَرْها وعَقْد نطاقها لم يُحلل

" مزءودة " أى مذعورة والشاهد فيهما أنه ضمن "حمل " معنى عَلِقَ ، ولو لا ذلك لعدى بنفسه مثل قوله تعالى: ﴿ حملته أمه كرها ﴾.

٩ – قول الفرزدق:

كيف ترانى قالبا مِجنى قد قتل الله زيادًا عنى أى صرفه عنى بالقتل.

وهو كثير في الكلام كثرة بالغة . قال ابن جنى : " أحسب لو جمع ما جساء منه كتاب يكون مئين أوراقا " .

السبيل الرابع:

أن المعنى اللغوى للفظ يوجه إلى تكييف موقعه الإعرابي أى التركيبي فى حالة المكملات وعند الالتباس . وقد ذكر ابن هشام أمثلة كثيرة يثبت منها ذلك نجتزئ منها بما يلى :

١ - قول الشاعر:

لا يُبْعدِ الله التَّلَبُبَ والَّه عاراتِ إذ قال الخميس نعم

فقد ظن بعض المعربين أن " نعم " - في البيت - هي حرف الجواب المشهور المقابل " لا " ؛ وبذا مسخ الكلام ولم يتبين للبيت معنى مقبول .

والصواب أن كلمة "نعم "هنا هى اسم جنس للأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم، وهى هنا خبر لمبتدأ محذوف أى هذه نعم. والشاعر يمدح الاستعداد للقتال عندما يرى الخميس (وهو الجيش) أنعاما فيأخذ في الإغارة عليها(١) وهكذا تحكم المعنى اللغوى للكلمة في بيان موقعها الإعرابي في حالة الالتباس هذه.

٢ - في قول الشاعر:

تَقِىُّ نَقِى لم يُكَثُّر غَنِيمةً بنهكة ذي قُرْبَي ، ولا بحقلًا

سأل الإمام أبو حيان الإمام جمال الدين بن هشام عما عُطفت عليه الكلمة الأخيرة من البيت فقال ابن هشام : حتى أعرف الحقلد . فبحثا عن معناه ، فإذا معناه : السيئ الخُلُق " فقال ابن هشام هو معطوف على شئ متوهم ، إذ المعنى ليس بمكثر غنيمة ، ولا بحقلد (٢) . وهكذا انبنى الموقع الإعرابي على المعنى اللغوى .

" - في قوله تعالى: ﴿ وإن كان رَجُلٌ يُورَتُ كلالةً أو إمراةً ﴾ يتغير الموقع الإعرابي لكلمة كلالة حسب معناها المراد. فعلى تفسيرها بالورثة الذين ليس فيهم أب فما على ولا ابن فما سفّل هي على تقدير مضاف أي ذا كلالة وهي حال من الضمير في يورث ، أو خبر لكان ، وعلى تفسيرها بالميت الذي لم يترك ولدا ولا والدا فهي كذلك حال لكن لا على تقدير مضاف ، وعلى تفسيرها بالقرابة (مصدر) فهي مفعول لأجله أي يورث لأجل القرابة فحسب (٢). فقد تغير الموقع الإعرابي تبعا لتحديد المعنى اللغوى.

⁽۱) البيت والكلام عنه في مغنى اللبيب (تحـ محيى الدين) ٥٢٨/٢ .

⁽٢) ينظر المغنى في الموضع السابق.

⁽r) ينظر المغنى ٢/٥٢٩ - ٥٢٩ ، والآية من سورة النساء .

- ع وفي قوله تعالى: ﴿ فَخُذَ أَرْبِعة مِن الطير فَصُرْهُنَ اللَّيك ﴾ إذا فسرت "صرر هُنّ" بمعنى "قطعهٰن "فإن الجار والمجرور " إليك " لا يتعلق هذا لعدم مناسبة المعنى لذلك حينئذ ، وإنما يتعلق بخذ، وأما إذا فسرت "صر هُن "ب" أمنهن "فإن التعلق يكون بها(١).
- وقوله تعالى: ﴿ والذي أخرج المرعَى فجَعلَهُ غُثَاءَ أحوى ﴾ ن أريد
 "بأحوى " الأسود من الجفاف واليبس فهو صفة لـ "غثاء"، و ن أراد به الأسود من شدة الخضرة فهو حال من المرعى (٢).

والأمر ليس أمر أمثلة محدودة ، فإن لكل كلمة في اللغة معناها (اللغوى) الخاص ، والموقع الإعرابي لها بذلك المعنى ، كما أن الموقع الإعرابي حتى للمكملات له عظيم الأهمية في الصورة الكلية للمعنى . وهذه أمثلة نضيفها لبيان تأثر الموقع الإعرابي بالمعنى اللغوى .

- ٦ يقال هَجْم بيتا ، وهُجم ليثا ، فهجم في المثال الأول منصبة على البيت ، ومعناها فيه قريب من معنى هذم ، فلفظ بيتا مفعول به ، أما في المثال الثاني فإن هجم مستعملة في المعنى الشائع : الإقدام على العدو، فلفظ ليثا هنا واقع حالا على سبيل التشبيه .
- ٧ غدّت مريضا / غدّت صحيحا . الفعل عاد في المثال الأول بمعنى زيارة المريض ؛ فكلمة مريضا مفعولا به ، في حين أن كلمة صحيحا في المثال الثاني هي خبر عاد لأنها فيه بمعنى صار أو هي حال إن كانت عاد بمعنى

⁽١) ينظر المغنى ٢ ٣٣٠ . و لأية ٢٦ من سورة البقرة .

⁽٢) ينظر الإتقان النوع ١٤. والآية : . ٥ من سورة الأعلى .

- رجع ، ولا يجوز أن تحمل على معنى الزيارة ؛ لأن استعمال " عـاد " فـى الزيارة خاص عُرْفًا بالوقوع على المريض .
- ٨ كذلك وَقَفْتُ يوما ، وَوَقَفْتُ دارا : " يوما " ظرف (مفعول فيه) للوقوف ضد الجلوس أو ضد السير ، أما " دارا " فهى مفعول به للوقف بمعنى الحبس وعدم التصرف .
- 9 وكذلك هاجر " مَلِيًّا ": فمليا حال إذا كانت بمعنى الغنى الثقة أو بمعنى السالم، وهى ظرف زمان إذا كانت بمعنى هوى من الدهر (أى مُلاوة)(١).
- ١٠ ومثل ذلك فى وصف رَبْع أو منزل: دَرَسَ رَسْما ، مع قولك دَرَسَ كِتابًا:
 الأول من دروس الآثار: اندثارها و "رسما" تمييز، والثانى من الدرس بمعنى الدراسة و "كتابا" مفعول به.
- ١١ وكذلك : "قال " ساعتين ، و "قال " كلمتين : الأول ظرف لأن قال من القول .
 القيلولة ، والثانية مفعول لأن قال من القول .
- 1۲ ومن هذا القبيل ما جاء في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي أن "
 من الأفعال ما له وجهان يعنى ينصرف على معنبين مثل: أصاب عبد الله
 مالا، وأصاب عبد الله مال (الأولى برفع عبد والثانية بنصبها ومعنى
 الثانية): إذا أصابه مال من قسمة مثلا ، ووافق زيد حديثنا : إذا صادفهم
 يتحدثون ، ووافق زيدًا حديثنا إذا سرّ وأعجبه ، وأحرز زيد سيفه : إذا
 صانه في غمده ، وأحرز زيدًا سيفُه : إذ خلصه من القتل وشبهه (أي

⁽۱) يرجع إلى إعراب قوله تعالى : ﴿ واهجرنى مليا ﴾ مريم ٢٦ مثلا الفتوحات الإلهية ٣/٥٥ وإلى المعاجم (ملا . ملاً) .

أجله لم يجز ، لأن الرجل لا يُحرِز أجله ولكن أجله (هو الذى) يحرزه . الا أن تذهب إلى قولك أحرزت أجلى بالعمل الصالح "(١) .

وهذا الباب يمكن المضى فى أمثلته لأنه قائم على المشترك وما هو من قبيله – والمشترك لا يكاد يحصى ودلالة هذا النوع من الأمثلة أن تحديد الموقع الإعرابي يتأثر بالمعنى اللغوى (7) – وهذا وجه من وجوه العلاقة بين المعنى والإعراب .

* * * * *

⁽۱) البصائر والذخائر (تحدد. وداود القاضى - دار صدادر بيروت ط۱ سنة ۱٤٠٨ هـ / ۱۹۸۸ م) ۱۷۹/۱ .

⁽۲) نقصد أن هذا التأثير يمكن أن يقع كثيراً ، لكنه ليس من المحتم أن يختلف موقع اللفظ المشترك في الجمل المتناظرة باختلاف معانيه ، إذ يمكن أن يقال -- مثلا جمعت عينا ، وحفرت عينا -- كلتاهما مفعول به و العين في الجملة الأولى بمعنى الدنانير والدراهم المضروبة وفي الثانية بمعنى البئر .



الفصل الثالث

علاقة المعنى التركيبي بالإعراب

وأما عن العلاقة بين المعنى التركيبي والإعراب ، فالواقع أن الضبط الإعرابي ما هو إلا أثر للمعنى التركيبي وظل له يدل عليه ولا يخلقه . أي أن المعنى المتركيبي (الذي أسلفنا أنه العلاقات بين معانى المفردات ، وأن هذه العلاقات تثأثر بتلك المعانى) - هو أصل الإعراب وأساسه وسببه ، فالفاعل يضبط بعلامة الرفع لأنه فاعل - أي لأن منشئ الكلام أسند إليه إيقاع الفعل - لاالعكس . والعلامة إشارة منطوقة أو مكتوبة تعبر عن تقرير منشئ الكلام للعلاقة بين معانى المفردات حسب ما يريد، ثم إن تلك العلامات هي في الوقت نفسه تدل السامع والقارئ على تلك العلاقات التي أرادها منشئ الكلام مجرد مظهر لتلك العلاقات . ومجموع العلامات الإعرابية في الجملة هو مجرد مظهر للمعنى التركيبي لها .

ولعله أصبح واضحاً من كلامنا هنا أن العلاقات بين مفردات الجملة هي مأك لمنشئ الكلام هو الذي يضعها حسب المعنى التركيبي الذي يريد أن يقوله . فإن كان يريد بقوله سبق الجمل الفرس: أن الجمل هو الذي سبق الفرس (مثلا) فعليه أن يصوغ الجملة واضعاً علامة الرفع على " الجمل " وعلامة النصب على " الفرس " ليدل على هذا. وإن كان يريد أن يقول عكس ذلك ضبطهما بعكس ما سبق. ولا يقيد إرادته هنا إلا ما سبق أن أسلفناه عن معاني المفردات اللغوية التي يستخدمها من حيث علاقتها بالإعراب المتمثلة في السبل الأربعة. والشاهد هنا هو أن العلامات الإعرابية تتغير تبعا للمعنى التركيبي (المكون من العلاقات التي يريدها أو يقررها منشئ الكلام بين مفردات الجملة) ، وأن المتلقي يتصور المعنى التركيبي الذي أراده منشئ الكلام أخذًا من تلك العلامات ، فمن الطبيعي

أن يتغير تصوره للمعنى إذا تغير الضبط الإعرابي . وهذا أحد وجوه صدق العبارة المشهورة " الإعراب فرع المعنى " .

هذا ، وما يصدق على أساسيات الجملة يصدق على مكملاتها . فمنشئ الكلام العالم بقواعد التركيب هو الذي يصوغ تلك المكملات لتتخذ مواقعها الإعرابية - مفعولاً لأجله أو حالا أو تمييزًا أو نعتا إلخ - حسب ما يريد هو . وإن كِان مع ذلك يتأثر بالمعنى اللغوى - على ما أسلفناه ، ويلتزم في صياغة تلك المكملات بالنوع النحوى لكلماتها بحيث يناسب الموقع المراد وضعها فيه . فإن أراد أن يعبر عن (سبب) سجود زيد قال : سَجَدَ خشوعا (مفعول لجله) ، وإن أراد أن يعبر عن (حال) زيد في سجوده قال : سجد خاشعا ، وإن أراد أن يعبر عن (نوع) سجوده قال : سجد سجود الخاشعين أو سجدة الخاشعين (مطلق لبيان النوع) ، وإن أراد أن يعبر عما نسب إليه السجود منه قال: سجد قُلْبًا وقَالَبًا .. (تمبيز) ، وإن أراد أن يعبر عما (صاحب) السجود أو صاحبه وهـو يسجد قال : سجد والآذان ، أو سجد والناس (مفعول معه) ، وإن أراد أن (ينعت) الساجد قال سجد زيد الخاشع .. وهكذا في سائر المنصوبات والتوابع . والفرق بين أثر العلاقة التركيبية في الإعراب في مستوى الأساسيات وأثرها في مستوى التكملات أن العلامة هناك تتغير من الرفع إلى النصب عند تغيير النسب من فاعلية إلى مفعولية - مثلا ، في حين أن العلامة في معظم المكملات - وهي أضعاف الأساسيات من حيث عدد الأبواب = تقتصر على النصب ، ولا يأتي الرفع إلا في حالة التوابع - فلا تظهر حرية منشئ الكلام في التعبير وأثرها إلا في اختيار الموقع وصياغة اللفظ على حسب النوع والصيغة التي تتاسبه. وفي جميع الحالات فإن المتلقى يفهم المعنى التركيبي الذي أراده منشئ الكلام من خلال مواقع الكلمات وصيغها وعلامات الإعراب الدالة عليها. والعلامات الإعرابية هي أقوى هذه الدوال ، لأن المواقع والصيغ تؤول تبعاً لها .

ومن الطبيعى أن يتغير تصور المتلقى للمعنى التركيبي إذ اغير منشئ الكلام مواقع المفردات في الجمل .

(**rulet**)

تساق في هذا المجال مقولة بدايتها صحيحة مسلّمة وهي أنه يمكن (أحيانا) معرفة المعنى التركيبي دون حاجة إلى علامات الإعراب ، لكن ما يُرتب عليها وهو القول بأن المعنى (التركيبي) مستغن (دائما)عن الإعراب ، فلا جدوى للإعراب = خطأ محض . ففي جملة " ابتسر الأكار اللين " مثلا يمكن للمتلقى الذي يعرف صبيغ الكلام العربي وقواعد التركيب أن يعرف المعنى التركيبي لها دون حاجة إلى علامات الإعراب ، فيعرف من صيغة الكلمة الأولى أنها فعل ماض ، وأن الجملة فعلية ، فالكلمة الثانية فاعل ، والثالثة مفعول. وهذا مسلم في مثل هذه الجملة ، ولكن الزعم بأنه يمكن طرد هذا دائما أى التوصل إلى المعنى التركيبي في جميع الجمل و الحالات دون معونة " العلامات الإعرابية " هو تعميم جزافي وخطأ محض كما قلنا. ذلك أنه إنما أمكن التوصل إلى المعنى التركيبي في هذه الجملة ويمكن في ما يماثلها = بالاعتماد على نمطية التركيب: (أن الجملة الفعلية تتكون من فعل ثم فاعل ثم مفعول إن كان) . فإذا خرج التركيب عن النمطية استحال الوصول إلى المعنى التركيبي بغيير معونة العلامات الإعرابية - إلا في حالة خاصة وفي نطاق ضيق. والخروج عن النمطية في هذا المثال أننا يمكن أن نقول " اللين ابتسر الأكبار " أو "اللين الأكبار ابتسر " أو "الأكار اللين ابتسر" أو " ابتسر اللين الأكار " - وكل تلك تركيبات لغوية تصح في هذا المثال ونحوه لمقتضياتها . ولكن محاولة التوصل إلى المعنى التركيبي لأي منها بناء على النمطية كما وقع في التركيبة الأولى تأتى بخطأ بشع ، ولا يُوصل إلى المعنى التركيبي لأى من التركيبات الأربعة - مع غياب معنى المفردات - إلا ضبط " الأكار " بالرفع ، وضبط " اللين " بالنصب ، فيُعرف أن الفاعل الذى أسند إليه إيقاع الفعل هو " الأكار " أو ضميره ، وأن " اللين " هو المفعول الذى أوقِع الفعل عليه . ويتبين الخطأ البشع الذى يُوصل إليه استنتاج المعنى التركيبي من تطبيق الاعتماد على النمطية وحدها في الصور الأربع إذا عرفا أن " الأكار " معناها الفلاح، و" اللين " هو النخل، و " ابتسر " معناها لَقَّحَ قبل أوان التُلقيح .

وهنا نتذكر ما مر بنا - عند الحديث عن السبيل الثانى من سبل تأثير المعنى اللغوى فى الإعراب - من أن هناك حالة يمكن أن تقضى المعانى اللغوية فيها بالمعنى التركيبي، فنصل إلى تحديده اهتداء بتلك المعانى اللغوية دون معونة أو حاجة إلى العلامات الإعرابية، وذلك كما فى أكل زيد الطعام، وكما فى مثالنا هذا: فإن معانى المفردات التى أسلفناها تقضى بأن المعنى التركيبي هو أن "الفلاح" أوقع فعل "التلقيح قبل الأوان " على " النخل " . ولا يكون معنى جملة مكونة من هذه الكلمات الثلاث إلا هذا .

وهنا يتبادر أننا اعترفنا ببديلين للعلامات الإعرابية في التوصيل إلى المعنى التركيبي (هما النمطية والمعنى اللغوى للمفردات) . وقبل أن نناقش بالتفصيل مسألة بديلي العلامات الإعرابية لتحقيق ذلك وتقويم دورهما نوطئ لذلك بمواجهة مقولة التقى عليها بعض كبار لغويينا المحدثين : فقد عرفنا مما سبق أن د. إبراهيم أنيس قرر أن علامات الإعراب عديمة الجدوى في الكلام أي أنه يمكن الاستغناء عنها ومعرفة المعنى التركيبي بدونها . وقد قاربه د. تمام حسان في هذا بقوله إنه إذا اتضح المعنى الوظيفي لمفردات جملة ما، فإنه يمكن إعراب تلك الجملة دون حاجة إلى المعنى المعجمي أو المقام (۱) والمقصود

⁽١) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ١٨٢ (بتصرف يسير التوضيح) .

بالمعنى الوظيفى -عنده - هو الوصف الصوتى والصرفى والنحوى للكلمة، والمقصود بإعراب الجملة بيان مواقع كلمها، وعلاقة هذه الكلم بعضها بعض. ويلحظ أن العلامة الإعرابية فى رأى د. تمام حسان هى مجرد قرينة واحدة من سبع قرائن . فقولته المذكورة تعنى استبعاد دور المعنى اللغوى وتهوين شأن العلامات الإعرابية - معا - فى التوصيل إلى المعنى التركيبي .

ونلخص موقفنا بما يلى:

المعنى الكلى (المقصود بالكلام) لجملة ما = هو حصيلة المعنى اللغوى والمعنى التركيبي معا - فهما متكاملان. وغياب أى منهما يخل بالمعنى المقصود، ما لم يكن هناك بديل يجبر النقص . ولا بدليل للمعنى اللغوى للمفردات . فالمعنى التركيبي وحده لا قيمة له - إذا جهلت معانى مفردات الجملة للمفردات . فالمعنى التركيبي وهذه لا قيمة له - إذا جهلت معانى مفردات الجملة - لأنه يشبه قولنا إن " س " أوقع الفعل " ص " على " ل " عندما نكون جاهلين بمعانى " س " و " ص " و " ل " أو مقاديرها . ونحن نستدل على المعنى التركيبي - أصالة - بالعلامات الإعرابية ، فإن غابت فالبديل هو التزام النمطية لكنها محدودة المدى جدا . ويمكن أن نصوغ احتمالات هذه المسألة على النحو التالى :

- ١ مفردات معروفة المعنى + علامات إعراب = معنى محصلًا ، ويتيح
 المستوى اللغوى الرفيع .
- ٢ مفردات معروفة المعنى + نمطية فقط = معنى محصل ، ولا يتيح إلا مستوى العامة .
- ۳ مفردات ذات معان لكن غير معروفة للمتلقى + علامات = معنى تركيبى
 محصل لكن يجهله المتلقى . وهو يصلح للدرس: وللمتلقى إذا فسر له .

- ع مفردات ذات معان لكن غير معروفة للمتلقى + نمطية فقط = معنى تركيبى محصل لكن يجهله المتلقى ، ويعلم إذا فسر . وهو أقل مستوى من سابقه .
- مفردات ذات معان لكن غير معروفة للمتلقى + لا نمطية ولا علامات =
 لغو لا معنى له عند المتلقى . فإذا فسرت له لحقت بالمستوى التالى لهذا .
- ٦ مفردات معروفة المعانى للمتلقى + لا علامات ولا نمطية = معنى تخمينى
 ككلام الأعاجم الذين لم يدرسوا أو لم يلتزموا قواعد التركيب عندما
 يكلمون العرب مثلا .
- ٧ مفردات لا معنى لها + علامات أو نمطية أو كلاهما= هراء أشبه بالهذيان.
 يلاحظ: (أ) أن الحالة رقم ٢ هي ميزة للغة حتى لا تكون مقصورة على الدارسين.
- (ب) أن الحالة رقم ٧ هى التى احتج بها اللغوى الكبير الدكتور تمام حساب وهى حالة واحدة من سبع أى أنه اختار احتمالا واحدًا من سبعة احتمالات يمكن أن يقع بها استعمال العبارة أو الجملة اللغوية فبنى عليه أحكاما تعم الاحتمالات الستة الأخرى مثل استبعاد أثر المعانى اللغوية في الإعراب، وضعف قيمة العلامة الإعرابية في المعنى التركيبي والإعراب وهذا يدعم دعوى عدم دلالة الإعراب على المعنى التركيبي . وواضح أن بناء الاستدلال على هذه الصورة غلط، وأن النتائج المستخلصة من مثل هذا الاستدلال لايمكن أن تعبر عن حقائق علمية .

بعد أن توقفنا لنبدى في السطور السابقة رأينا في نفي العلاقة بين الإعراب والمعنى اللغوى، وفي صورة للاستغناء عن علامات الإعراب – نعود لتفصيل احتمالات الاستغناء عن العلامات الإعرابية. فقد يقال إنه – بعد كلامنا عن اقتضاء المعنى اللغوى معنى تركيبيا وعن دور النمطية في الوصول إلى هذا المعنى التركيبي – قد يقال: توفر لنا الآن بديلان للوصول إلى المعنى التركيبي دون معونة العلامات الإعرابية أحدهما التزام النمطية التي تحدده، والآخر استنتاجه مما تقتضيه المعانى اللغوية لمفردات الجملة على حسب ما مر في المثال السابق. ونقول إن بحث الأمرين بحثا تطبيقيا يثبت أنه لايمكن أن يعتمد على أي من الطريقين بصورة مطردة للوصول إلى المعنى التركيبي. ولنبدأ بالأمر الثاني فسنجد أنه إذا أمكن استنتاج المعنى التركيبي من مقتضى معانى المفردات في الجمل البسيطة (المكونة من فعل قاصر وفاعله في مثل نبتت الشجرة، وانتبه النائم، وجرى الماء ..) فإنه قد لا يطرد في الجملة ذات الفعل المتعدى – حتى لو كانت من النوع الذي تقضى معانى مفرداته بمعناه التركيبي المتعدى – حتى لو كانت من النوع الذي تقضى معانى مفرداته بمعناه التركيبي

ذلك أنه إذا خولف التركيب النمطى فى مثل أكل زيد الطعام فقيل أكل الطعام زيد أو الطعام أكل زيد - دون علامات الإعراب - فإنه يمكن أن تتبادر إلى الذهن احتمالات تُبهم المعنى ، إذ يمكن يُؤوّل الذهن التركيب بأن المراد أن الطعام تسبب فى هلاك زيد حقيقة أو حكما - كما تعبر العامة عن ذلك بقولهم إن أكلّة "ضيعت " فلانا أو قضت عليه . وكذلك الأمر فى مثل الطعام مُغذّ والعلم نافع ، والشجر ينبت الثمر ... فإنه إذا خولفت نمطية التركيب فقيل مغذ الطعام أو نافع العلم أو الثمر ينبت الشجر - بلا إعراب - فإن الذهن قد يبادر بتأويلات لهذه العبارات تخرجها باحتسابها على الترتيب النمطى - فيعُدُ الأولَ تركيبا إضافيا بمعنى ما يمد الطعام بالمادة الغاذية ، والثانى تركيبا إضافيا خبرًا لمبتدأ

محذوف أو عكس ذلك ، والثالث بمعنى جملة اسمية تعنى أن بذور الثمر ينبت منها الشجر ، أو أن الشجر إنما يستنبّ من أجل الثمر .. وهكذا ، وبهذا يتبين أن الاعتماد – في تبيّن المعنى التركيبي – على المعنى اللغوى للمفردات وحده دون علامات الإعراب ، ودون التزام النمطية – لايكفى ولا يغنى ، كما يتبين أنه من المتعين الاستعانة إما بعلامات الإعراب وإما بالتزام النمطية . ولاشك أن الاستعانة بالعلامات الإعرابية في مثل تلك الحالة كانت تُعقى من التأويلات التي اتنادر إلى الذهن وتخرُج بالكلام عما أريد به، وذلك مع إسعافها بالمراد وتعيينه.

ويضاف إلى ذلك شيوع الجمل التي لا تقضى المعانى اللغوية لمفرداتها بالمعنى التركيبي لها - أى عكس ما رأينا في " ابتسر الأكار اللين " - مما جعل الاستعانة إما بعلامات الإعراب وإما بالتزام النمطية في التركيب ضرورة لا مناص منها . ويتمثل ذلك في الجمل الفعلية ذات الفعل المتعدى التي لا تدل المعانى اللغوية لمفرداتها على تمييز الفاعل من المفعول . وهذا النوع من الجمل شطر بأسره من الاستعمالات اللغوية لا يكاد يحصر - مثل استشار الرئيس المرءوس، ورد القاضى المحامى إلى الحق ، ونبه السائق الركاب إلى الخطر ، وأعان التاجر المشترى على ترتيب العلب ، ومدح الطبيب المريض ، وسبقت القاطرة السيارة ، وزود الرجل ولده بالمال ، ومكن الناس الجندي من اقتحام الباب ، و أخاف الذئب الكلب ، وغلب الخير الشر، وعرقل الجندي اللص، وعرف التاجر العميل ، وأنقذ الضابط الجندي، وضرب زيد بكر ... وما إلى هذا المثال وتلك الأمثلة " من كل جملة فعلية بنيت على فعل متعد يصح أن يباشره الفاعل والمفعول "(۱) أي يسوغ العقل أن تسند الفاعلية إلى أي منهما مع وقوع

⁽۱) سبق إلى التنويه بهذا النوع من الجمل وصوغ ضابطه العلامة الكبير على النجدى ناصف في كتابه من قضايا اللغة والنحو ص ١٥.

المفعولية على الآخر . ويدخل في هذه الحالة ما تقل أو تضعف فيه درجة تسويغ العقل مباشرة أحدهما الفاعلية مع وقوع المفعولية على الآخر مثل دفعت القاطرة السيارة ، وغطى الجسر الماء ، وكسر الحجر الزجاج، وطردت البضاعة الرديئة البضاعة الجيدة ... إلخ حيث المتبادر في تلك الجمل وأمثالها أن أول الاسمين هو الأنسب لمباشرة الفاعلية لأن القاطرة أقوى ، ووضع الجسر هكذا ، والحجر أقوى ، والقانون التجارى هكذا . لكن وقوع عكس المتبادر ليس مستحيلا ولا أقوى ، والقانون التجارى هكذا . لكن وقوع عكس المتبادر ليس مستحيلا ولا نادرا ، وعليه فإنه في أمثلة هذا النوع وما على شاكلتها – وهو كثير كثير كما ذكرناه أنفا – يتعين اللجوء إلى العلامات الإعرابية أو إعلان الالتزام بنمطية التركيب لتمييز الفاعل من المفعول ، حتى يتبين متلقى الكلام ما يريد منشئه أن يقول تبينا واضحا .

وإذا كانت النمطية ضرورية في أنواع الجمل التي ذكرت من قبل لمن يريد التخلي عن علامات الإعراب، فإنها هنا ألزم وأكثر ضرورة، لأن تحرك أي من عناصر هذا النوع من الجمل قد يقلب المعنى قلبا صريحا بحيث يعطى معنى يجاوز الإبهام إلى مضادة المعنى الأول بصورة حاسمة. فإذا افترضنا أن الأسماء التي وليت الأفعال مباشرة في الجمل السابقة هي أسماء الفاعلين، فإن تقديم الأسماء الثواني لتلى هي أفعال جملها، أو تقديمها على الأفعال نفسها مع غياب علامات الإعراب - يقلب المعنى التركيبي تماما ؛ إذ يُصير ما كان فاعلا في التركيب الأول مفعولا في التركيب الثاني، وسيقبل العقل ذلك المعنى الجديد في التركيب الأول مفعولا في التركيب الثاني، وسيقبل العقل ذلك المعنى الجديد خاجز يمنع ذلك، وتبطل وظيفة اللغة.

بقى أن يتشبث جاحدو قيمة الإعراب والداعون إلى الاستغناء عنه: بالتزام النمطية فى التراكيب اللغوية وهذا هو البديل الذى توهموه فأغراهم بمحاربة الإعراب.

ونقول إن الاجتزاء بالتزام القوالب النمطية في التراكيب يقتضى تحديد الضوابط النمطية تحديدا كاملا. وهنا:

(أ) إما أن نأخذ النمطية بضوابطها كلها (أى دراسة ضوابط تركيب الجمل بأنواعها وشروط ذلك التركيب) فيشمل ذلك شروط تركيب المكملات: (المفاعيل) بأنواعها وما يحمل عليها من المنصوبات والمجرورات)، وسائر الأساليب أى كل الأبواب النحوية والمقدمات ما عدا علامات الإعراب – فالأخذ بهذا لا (يخفف) مما تجرى عليه الدراسات النحوية منذ نشأتها إلى الآن إلا سنن التقديم والتأخير، والحذف والفصل – بالإضافة إلى العلامات الإعرابية. وهذا (تخفيف) لا يذكر. في حين أن بقاء تلك السنن مع بقاء علامات الإعراب وهي دليل إلى المعنى التركيبي مسعف = يجبر ما قد تسببه تلك السنن، شم إنه يتيح من إمكانات تحريك مفردات الأساليب والتصرف فيها ما يلبي متطلبات يتيح من إمكانات تحريك مفردات الأساليب والتصرف فيها ما يلبي متطلبات والأساليب البلاغية الرفيعة. وهذه لها قيمتها المهمة في إنسانية الإنسان وفي وفرة سبل التعبير وتنوع مستوياته أمامه، ولها قيمتها العظمي في الجانب الجمالي للغة، ولها رسالتها الفنية في الحياة، ولها أهلها.

والتزام النمطية بالصورة الجامدة يجرد العربية من إحدى أهم خصائصها ومزايا وجود الإعراب فيها وهي إمكانية التصرف في نسق كلمات الجملة بالتحريك تقديما أو تأخيرا وحذفا أو ذكرا ووصلا أو فصلا ؛ تحقيقا لأغراض بلاغية أو مقامية . ومن التذرع إلى الباطل ، ومن سوء التقدير أيضا أن يُعد ما يوفر تلك الخصيصة وهو الإعراب تعقيدا يطالبون بالاستغناء عنه .

(ب) وإما أن نقتصر على التراكيب النمطية في أساسيات الجمل دون مكملاتها فلا نحدد لتلك المكملات مواقع في أنواع الجمل ، ولا نضع لها ما يميز

بعضها عن بعض .. وهذا معناه أن نسقطها من التعامل اللغوى – وهي تقارب الثلاثين: (المفاعيل الخمسة: المفعول المطلق، والمفعول به، وله، ومعه، وفيه، شم الحال، والتمبيز، والاستثناء، والمنادى، وملحقاته، والتوابع الخمسة، والأساليب: التعجب، المدح، والذم، والتفضيل، والتوكيد بالنون وغيرها، وأساليب الشرط بأنواعها والتنازع، ثم سائر الأساليب الإنشائية ...) وإسقاط كل هذا من التعامل اللغوى يؤدى – على افتراض إمكانه – إلى مستوى بدائى في التعامل اللغوى تغنى عنه الإشارة، ويضيع به الأدب والفكر، بل تضيع به إنسانية المجتزئين به . لأن العبارة اللغوية الزاخرة بالمعطيات الفكرية والسبحات الأدبية هي التي تحقق الخاصة الفارقة للإنسان أتم التحقيق ، وهذه لا تتأتى إلا بتوفر الغزارة في إمكانيات التعبير وصنوره. والإعراب الكامل وما يتيحه من التصرف في عناصر الجملة هو من أهم روافد هذه الغزارة .

ومثل إسقاطها أن نبقيها مع صرف اننظر عن وضع الضوابط لها .. أى نتخلص من ضوابط الموقع ومن الإعراب فيها فالتخلص من ضوابط الموقع يأتى بكلام مختل لا معنى له، والتخلص من الإعراب حتى مع المحافظة على الموقع – يصيب اللغة بالزمانة، ويؤدى في آخر الأمر إلى هجر تلك الأساليب نفسها، لأنه ستكون حيننذ ملتبسة موهمة .

ولنتأمل الأمثلة التالية من بعض أبواب المكملات لنرى ما يؤدى إليه إخلاؤها من الإعراب من إبهام المعنى والتباسه ، بحيث تحتاج إلى تعديل مما يؤدى في النهاية إلى هجرها .

ا - في المفعول المطلق النائب عن فعل الأمر مَنْحًا زيدًا ، وقوالاً الحق ، إذا استُعمل دون إعراب فسيلتبس بالأسلوب الخبرى ، ويُظن احتياجه إلى خبر أو مبتدأ .

٢ - في أسلوب المفعول لأجله نحو جُدْ شكرا ، وضربته تَأْديبَه ، ولا أقعد الجبن .. استعمالها دون إعراب يبهم المعنى فلا يُفهَم إلا بتعديل العبارة كأن يقال جُدْ لتشكر أو من أجل الشكر وهكذا .

٣ - في أسلوب المفعول معه مثل جاء زيد ورجلا . المقصود أنه جاء مع رجل ، فإذا تُرك الإعراب تبادر أن المقصود هو العطف أي أن الجملة للإخبار بمجئ الاتنين دون التفات إلى المعية .

- مازال خالد وزيدا حتى كتب الرسالة - ضبط زيدا بالنصب يعنى أن خالدا استمر فى دفع زيد إلى الكتابة حتى كتب . وترك الضبط يوهم أن الاستمرار منهما معا ، ويبهم فاعل الكتابة . وكذلك مثل أكلت وجمهورا كبيرا . إذا ترك الإعراب فلا يفهم المراد متعينا إلا بتعديل العبارة لتكون أكلت مع جمهور كبير .

٤ - أسلوب ظروف الزمان سحر ، وبكرة ، وغدوة فنحو أتيته بكرة فرحا مثلا . ضبط أى منها بالنصب مع عدم التنوين معناه بكرة يومك الذى أنت فيه ، وإن نصبتها مع التنوين كان المعنى فى بكرةٍ ما أى دون تعيين اليوم . وإذا تُرك الإعراب لم يتبين أيهما المراد . وكذا الأمر فى غدوة وسحر تماما .

م اسلوب الحال إذا أديت عبارة مثل "جاء زيد فردا " أو "تكلم مرشدا "
 دون إعراب النبس المراد ؛ إذ يظن أن " فرد " تعنى أن شخصا جاءه ، أو أن
 شخصا اسمه مرشد تكلم .

- في مثل زيد كاتبا أفضل منه شاعرا . الكلام عن زيد في حالتين من حالاته . فإذا أُغفل الإعراب فصار المثل : زيد كاتب أفضل منه شاعر . كان الكلام عن شخصين كاتب وشاعر والكلام لتفضيل الشاعر على الكاتب .
- ٦ أسلوب التمييز في مثل فاطمة أشرف زوجًا وأكرم أمًا . المدح موجه إلى زوج هند وأمها . فإذا أغفل الإعراب التبس ذلك بحالة الجرحيث يصبح المدح منصبا على هند نفسها باعتدادها هي الأشرف بين الزوجات والأكرم بين الأمهات .
- كم كتابا عندك : استفهام ، وإذا ترك إعرابها التبست باسلوب الإخبار بالكثرة كم كتاب عندك .
- عندى حُبُّ عَسَلا . بإعرابها هذا تعنى أن عنده من العسل ما يملأ الحُبَ الذى هو وعاء العسل. وترك الإعراب يلبسها بحالة إضافة الحب إلى العسل وهى تعنى أن عنده ذلك الوعاء الخاص بالعسل، وليس فى التعبير الأخير ما يقطع بوجود عسل فعلا أو عدم وجوده .
- ٧ أسلوب الاستثناء: ينجح المستذكرون غير المرهقين ". رفع "غير " يجعل المعنى أن المستذكرين الذين ليسوا مرهقين ينجحون ، ونصبها يجعل المعنى أن المستذكرين سينجحون إلا المرهقين منهم. ففى رفع "غير "لم يقطع على المرهقين بشئ ، وفى نصبها حكم جازم بأن المرهقين لا ينجحون . وإغفال الإعراب يبهم المراد .
- ٨ أسلوب التعجب: "ما أحسن الشباب يا رجال "ضبط "أحسن " بالفتح
 و" الشباب " بالنصب يجعل المعنى أنه يعجب لحسن الشباب ويمدحه (ف "ما "

تعجبيه. اسم)، ورفع "الشباب " يجعل المعنى نفيا لإحسان الشباب أى حكما بأنه لم يحسن (و " ما " نافية)، أويجعله استفهاما عن الشئ الذى جعله الشاب حسنا (ف "ما " حينئذ استفهامية)، ورفع " أحسن " وجر "الشباب " يجعل المعنى السؤال عن الشئ الحسن فى الشباب (أهو القوة أم النشاط وما استفهامية أيضا) وإغفال الضبط يبهم المراد .

9 – أسلوب النداء نحو "يارجل تحمل مسئوليتك " بضم "رجل " يكون الكلام موجها للمخاطب خاصة . فإذا قيل بالنصب "يارجلا " ... كان عاما موجها إلى كل من يصدق عليه أنه رجل، وإذا أُغفِل إعرابه التبس وأبهم المراد.

- في نحو "سعيد أسرع "ضم "سعيد" يفهم أن اللفظ عَلَم والأسلوب نداء، ونصبه يفهم أن كلمة "سعيد "وصف ويجعلها حالا، وإغفال الإعراب يبهم المراد.

- في نحو " يا عُمْرُ أين أنت " . ترك الإعراب يحتمل النداء ، والنَّدبة " يا عمرا " فيلتبس المراد .

١٠ أسلوب التحذير والإغراء نحو " الأسد والنمر" النصب يعنى التحذير،
 والرفع يعنى الإخبار مع تقدير كلام، وترك الإعراب يبهم المراد .

- وكذلك " الجدَّ الجدَّ " النصب يعنى الإغراء . والرفع يتيح الإخبار كقوله - " أنا أبو النجم وشعرى شعرى " - وترك الإعراب يبهم المراد .

11 - أسلوب الاختصاص "نحن - المصريين - مرابطون للذود عن "الإسلام". النصب يعنى اختصاص المصريين بالمرابطة، والرفع يضيع معنى الاختصاص.

هكذا يؤدى إغفال الإعراب فى المكملات إلى التباس المعانى بعضيها ببعض ، وإلى ضياع كثير منها بمجرد إغفال الإعراب ، ثم يؤدى الالتباس إلى هجر الأساليب الملتبسة ، إذ يثقل على مستعملى اللغة – كل لغة – أن يضطروا إلى إلحاق كل عبارة بتفسير لها ، كما يثقل عليهم استعمال العبارات الطويلة التى تغنى عنها عبارات قصيرة، وهكذا يؤدى إغفال الإعراب فى المكملات إلى هجر أساليبها.

17 - "زيد متطبب ماهر " ترك الأسلوب هكذا يحمله على النمطية ويفيد وصفه بالمهارة من حيث هو متطبب - مع إغفال حاله في غير التطبب، وضبط "متطبب " بالنصب يشير إلى انصباب المهارة عليه في هذه الصفة وحدها، وكأنه في غيرها ليس كذلك: فإغفال الإعراب يضيع هذا الفرق.

17- " بكم ثوبُك مصبوغ ؟ " التساؤل فى حالة رفع " مصبوغ " ينصب على ثمن صبغ الثوب . وفى حالة نصب " مصبوغ " يصير التساؤل عن ثمن الثوب نفسه وهو مصبوغ .

- الضوء ساطعٌ مؤذ العينين . برفع " ساطع " يكون الإخبار عن الضوء بخبرين السطوع والإيذاء ، وبنصب ساطع يكون المعنى أن الضوء مؤذ للعينين في حال سطوعه خاصة (١) .

15 - " الجو حار " تجريد العبارة من الإعراب لا يعطى إلا الإخبار عن الجو بأنه حار . في حين أننا إذا نصبنا الكلمتين " الجو حارا " أعطت الجملة

⁽۱) المثالان (في رقم ۱۳) من كتاب العلامة على النجدى ناصف من قضايا اللغة والنحو ص ۱۸.۱۰.

معنى التحذير من الجو (أى من أثره) فى حالة حرارته، وفى ضبط كلمة "الجو" بالرفع وكلمة "حار" بالنصب يصلح الأسلوب أن يكون جوابا لتساؤل عما يناسب أو يصلح أو يُفسد أو عما تسبب فى خير كنضج فاكهة أوشر كتلف مال أو نفس، فينسب ذلك إلى الجو حال حرارته. فإغفال الإعراب يضيع هذه المعانى .

10- "أناقص المال ؟ النساؤل في حال نصب المال موجه إلى المخاطب هل سينقص هو المال ، وفي حالة الرفع يكون النساؤل عن نقص المال أواقع هو أم لا. لأن الفعل هنا يستعمل لازما ومعدى . وهناك مثله أفعال كثيرة كما أسلفنا، وإغفال الإعراب يلبس المراد .

١٦- أنت مضيع وذ أخيك . تنوين مضيع ونصب ود - يغيد أن ذلك سيحدث مستقبلاً . وجر " ود " - الإضافة (فلا تنون مضيع) يعنى أن ذلك حدث فعلا من قبل ، وإغفال الضبط ينبس المراد .

ارم خالد 'غفال الإعراب يجعل الجملة تحتمل أن يكون خالد مفعولا به ، وأن يكون مذدى مأمور ا بأن يرمى . والإعراب يزيل ذلك الإبهام .

11- "هذا الضَّارب الظالم نصب الظالم يفيد أن الضرب واقع عليه ، وأن المشار إليه هو الذى صرب الضّلم ، ورفع الظالم يتأتى عندما يكون المعنى أنك تخبر عن المشار إليه منه ضرب ظالم ، أو عن المشار إليه الضارب بأنه ظالم ، وترك الضبط يلبس مراد .

19- أسلوب واو المعية " لا تظلم الناس وتنصحهم بأن يصبروا" فبنصب المضارع " تنصح " ينصب النهى على الجمع بين إيقاع الظلم والنصح بالصبر ، وبجزمه تنهى العبارة عن الأمرين ولو غير مجموعين ، وبرفع " تنصح " النهى عن الظلم وحده ثم إتاحة النصح بالصبر . وإغفال الإعراب يبهم المراد .

- ٢٠ أسلوب فاء السببية "وددت لو تزورنى فأكرمك "نصب (أكرمك)
 يعنى أن الإكرام مسبب عن الزيارة معلق عليها ، ورفعه يعنى أنه يكرمه (دائما)
 دون تعليق على الزيارة ، لكنه يوده أن يزوره. وإغفال الإعراب يبهم المراد .
- كذلك " لا تسافر فتأكل في موائد المدينة " نصب الفعل تأكل يجعل معنى الجملة النهي عن السفر حتى لا يأكل ، وضبطه بالجزم يعنى النهى عن الأكل في الموائد المذكورة عندما يسافر ، وإغفال الضبط يبهم الأمر .

77 أسلوب " أو " (الغائية) سأشكو أو أحصل على حقى . ضبط الفعل " أحصل " بالنصب يعنى أنه سيستمر في الشكوى إلى أنْ – أو إلا أنْ – يحصل على حقه . فهناك إصرار على الحصول على الحق وعلى الاستمرار في الشكوى حتى يحصل عليه ، في حين أن ضبط الفعل بالرفع يجعل المعنى وقوع أحد الاحتمالين دون ربط وترتيب .

77- أسلوب حتى فى مثل " جاهدت فى صباى حتى أستريح فى شيخوختى " . رفع " أستريح " يكون عندما يقال هذا القول فى سن الشيخوخة فهو يدل على أن قائله يحكى عن حاله الحاضرة وأنه مستريح الآن بسبب جهاده السابق ، والنصب يدل على أن الاستراحة غاية يطلب الوصول إليها مستقبلا . وإغفال الضبط يبهم المراد .

٣٣- أسلوب الشرط في مثل " إن يتقدم خالدٌ يعاونْ زيد أخاه " فضبط الفعل يعاون بالجزم يثبت تعليق المعاونة على التقدم، وضبطه بالرفع يقطع التعليق ويحوج إلى تلمس تخريج . وإغفال الإعراب يبهم المراد .

٢٤ - قوله تعالى ﴿ هل يَنْظُرون إلا أَنْ يِأْتِيَهُم اللهُ في ظُلُل من الغَمام والملائكة وقُضِي الأمر ﴾ قرئ لفظ " الملائكة " بالرفع وبالخفض : فالرفع بعطفه على لفظ الجلالة بمعنى ما ينتظر هؤلاء القوم إلا أن يأتيهم الله وتأتيهم

الملائكة ، والجر بعطفه على "الغمام " - كما تقول العرب أقبل الأمير في العسكر (١).

حاء في كتاب سيبويه تقول "زيد لقيت أباه وعمرا" إن أردت أنك لقيت عمرا وأبا زيد ، فإن زعمت أنك لقيت أبا عمرو وأبا زيد ولم تلق عمرا أو زيدا رفعت عمرا فقلت "زيد لقيت أباه وعمرو" أهـ بتصرف للتوضيح (٢) والتقدير - على هذا الضبط بالرفع: زيد لقيت أباه ، وعمرو كذلك أي لقيت أباه أيضا. عطف جملة على جملة. وترك الإعراب يبهم المراد .

- وفى مثل عبارة "سيروا لا يلتفت منكم أحد " إذا رفع الفعل يلتفت كانت لا نافية والجملة حالية أى سيروا دون تلفت أو غير ملتفتين . وإذا جزم تكون لانهاية والمعنى طلب السير وطلب عدم الالتفات دون ربط بينهما(٣) .

٢٦ وفي أسلوب العطف " فلان متهم بقتل السائق وابنه " رفع ابنه يعنى أن الابن متهم أيضا مع " فلان " الأب ، وجر لفظ " ابنه " يعنى أن الابن مقتول مع أبيه السائق .

- وفي مثل "كانت الشمس طالعة والمطر منهمراً " بنصب "منهمر " تكون الجملة إخبارًا عن الأمرين طلوع الشمس وانهمار المطر دون ربط بينهما فيحتمل التزامن وعدمه ، وبرفعها تكون تعبيراً عن التزامن (٤).

⁽١) ينظر تفسير القرطبي ٢٥/٣. والآية ٢٥ من سورة البقرة .

⁽۲) ينظر الكتاب " هارون " ۱/۱ .

⁽٣) ينظرُ " من قضايا اللغة والنحو " للعلامة على النجدى ناصفُ ١٧ – ١٨ .

¹⁾ المثلان (في مجموعة ٢٥) من المرجع السابق ص ١٧ .

إن ما سبق هو مجرد أمثلة اجتزئ بها(١) من أنواع الأساليب التي تعالَج باسم أبواب النحو لتبين أن إغفال الإعراب يُبهم ويُلْبس ويُضيع المعنى - هذا مع أننا لم نعرض للأساليب النمطية المركبة بصورها الكثيرة التي أشرنا إليها قبلا ولم نعرض للأساليب غير النمطية (٢) وهي أيضا كثيرة كثيرة . وإغفال الإعراب في هذه وتلك أكثر إبهاما والباسا للكلام منه في الجمل النمطية القريبة والبسيطة. ومعلوم أن الإبهام والإلباس يناقضان الغيرض الأساسي من وجود اللغة واستعمالها، ومن تم يؤديان الى هجر تلك الأساليب، ولا يبقى بعد هجرها ما يسمى لغة فصيحة أو كاملة، وإنما تبقى تركيبات بدائية محدودة. ثم لابد أن يتصر ف مستعملو اللغة ليعبروا عما بأنفسهم، وسيكون الرافد المُتاح الوحيد حينئذ هو اللغة العامية. وما أظن أن هذا المتاح الوحيد في مثل هذه الظروف كان بعيدًا عن مرمى أبصار الذين هاجموا الإعراب وجحدوا وظيفته في الكلام ونادّوا ا بالغائه. أما النتيجة النهائية التي تغياها المستشر قون الذين أثار وا مسألة جحد أصالة الإعراب وجدواه فهي الحبلولة بين المسلمين ومصادر تشريعهم الأساسية: الكتاب والسنة والآثار المبينة لهما، لأن هذه المصادر صيغت بالعربية الفصحي الرفيعة، ولا يفقه هذه العربية الفصحي إلا من يعايشها در اسة واستعمالا حتى يتشرب أسرارها، فإذا قضبي على هذه المعايشة استغلقت لغة مصادر التشريع، وتحول الإسلام إلى بضع طقوس تمارس صوريا في المناسبات، فتخمد جذوة الدّين ويهون على أهله ويهونون على الناس ، والعياذ بالله تعالى .

⁽۱) في كتاب " من قضايا النغة والنحو " للعلامة على النجدى ناصف ٢١-٧ أمثلة أخرى من أنواع الأساليب عدا ما ذكرناه ، وما اقتبسناه عنه ، ودراسة الأساليب المستعملة في النتاج اللغوى الرفيع في ضوء أبواب النحو تكشف الكثير جدا من مثل ما أوردناه .

⁽۱) أشرنا من قبل إليها وينظر جوانب منها في الخصائص ۲-۳۱۰ – ٤٣٥ ، والمغنى ٦٠٣ – ٦٤٩ وينظر أيضا ٦٧٤ إلى آخر الكتاب .



الفصل الرابع

دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم

إثبات دلالة الإعراب على المعانى فى الأساليب البشرية أمر ميسور ؛ حيث يمكن إنشاء العبارات وتقليبها على وجوه كثيرة لبيان اختلاف المعنى التركيبي باختلاف الإعراب .

أما في القرآن الكريم فلا يتأتى تقليب العبارة القرآنية بتغيير الإعراب - أوبغيره - من عند أنفسنا لأن ذلك يمثل نوعا من العبث بالنص المقدس . وعلى ذلك فليس أمامنا إلا أمران .

الأول: النظر في المعانى التي يعطيها النص الكريم بإعرابه المثبت في المصحف – وهذا يعنى أن ننظر في تفسير القرآن الكريم لنبين معطيات الضبط الإعرابي، وهذا يشمل القرآن الكريم كله، ونحيل فيه على كتب تفسير القرآن الكريم وكتب إعرابه.

الثانى: أن ننظر إلى آيات جاءت فيها قراءات بضبط إعرابى مختلف يعبر عن معنى مخالف لمعنى القراءة المثبت إعرابها فى المصحف، وهذا ما سنفعله مع الاجتزاء، لأن الأمر يعبر الاستقصاء. (والقراءة التى فى مصاحفنا الشائعة فى مصر هى قراءة حفص عن عاصم، وهى إحدى القراءات السبع، وماعداها سنبين عزوه إجمالا).

على أن هنا ملاحظة هى أن كثيرا من الأمثلة تثير شعورا بقرب الأمر (وبساطته) لوضوحه ، وكأننا فى معالجتنا للموضوع بهذا الجانب التطبيقى إنما نحصل حاصلا ، أو نضخم الأمر دون مقتض . والحقيقة أن النقد فى هذا المعنى ينبغى أن يوجه إلى الذين أثاروا هذه المسألة وأنكروا دلالة الإعراب على

المعانى ، فلم يكن بد فى الرد عليهم من سوق أمثلة تَعْبُرُ بالشُّداة ما يثيره المشككون فى أصالة الإعراب وجدوه .

(۱) قوله تعالى فى أول سورة الفاتحة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قرئ برفع لفظ " الحمد " وبنصبه (۱). فالرفع تعبير بجملة اسمية (مبتدأ وخبر ..) يدل على تبوت الحمد لله سبحانه واستقراره له تعالى ، والنصب على أنه مفعول مطلق لفعل مقدر (أى نَحْمَدُ الحَمْدُ) أو مفعول به كذلك (الزموا الحمد) وهذه جملة فعلية تفيد الحدوث والتجدد . والتعبير بالجملة الاسمية يعنى ثبات الحمد من الأزل الى الأبد قبل حمد الحامدين وبعده. كما أنه يعنى أن كونه تعالى محمودا لا يتوقف على حمْدِ أحد، فالحمد لله تعالى (ثابت) سواء حمدوا أو لم يحمدوا، كما أنه يخلو من توهم مَنْ يحمْد أنه وَقَى الله تعالى حقه. وقراءة النصب تعنى محدودية الحمد، وتقفه على صدوره من الحامد، وتوقع فى التوهم المذكور (۱) .

(٢) قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (سورة البقرة البقرة البه تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَات " بالنصب (وهي قراءة الجمهور) عرى لفظ " آدم " بالرفع ولفظ " كلمات (تعنى التوبة وطلب المغفرة) فقالهن ، عبيرا عن أن الله تعالى ألهم آدم كلمات (تعنى التوبة وطلب المغفرة) فقالهن ، فتاب الله عليه . وقرأ ابن كثير (من السبعة) لفظ " آدم " بالنصب ولفظ "كلمات"

⁽۱) قراءة "الحمد لله " بالنصب قرأ بها هارون بن موسى وسفيان بن عيينة ورؤبة . (معجم القراءات القراءات القراءات السبع .

⁽۲) إفادة الرفع الثبات والاستقرار وإفادة النصب الحدوث والتجدد في كشاف الزمخشري (دار المعرفة) ۸/۱ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (مع حاشية زاده) ۳۲-۳۱ والبحر لأبي حيان ۱۸/۱-۱۹ وقد عبر البيضاوي بالعموم والثبات والتفاصيل الزائدة عن هذا من مفاتيح الغيب (دار الغد العربي) ۲۷۱/۱ - ۲۸۱ وفيه مزيد من التفاصيل التي تثبت الفرق بين القرائتين .

بالرفع (۱) فتكون الكلمات هي التي تلقته تعبيرا عن تدارك العناية الإلهية إياه . والقراءة الأولى تبرز فيض لطف القراءة الثانية تبرز فيض لطف الله بآدم وإسعاف تلهفه إلى التوبة .

- (٣) قوله تعالى: ﴿ اهْبِطُوا مصر النَّهِ الْمُبطُوا مصر النَّهِ ﴾ (سورة البقرة آية 17) ، قرئت المصر النيل حفظها الله تعالى . وقرئت بالتنوين فالأصل أن تستعمل لأى مصر النيل حفظها الله تعالى . وقرئت بالتنوين فالأصل أن تستعمل لأى مصر أى مدينة وهذا هو الفرق ، ولكن يجوز على هذه القراءة أيضا أن يكون المقصود مصر النيل ويكون صرفها لخفتها بسكون وسطها (١) . فيكون على خلاف الأصل .
- (٤) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُنَ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٤) ، قرئ بنصب "إبراهيم" ورفع " ربه " والمعنى أن الله كلفه بأمور فأداها ، وقرئ برفع " إبراهيم " ونصب "ربه" (٣) فيكون المعنى أن إبراهيم دعا ربه بأمور فاستجاب الله له فيها من نحو قوله تعالى ﴿ رَبّ أَرِنِي كَيْفَ تُحيْيِ الْمُوتَى ﴾ .
- (٥) قوله تعالى : ﴿ وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَهِ ﴾ (سورة البقرة آية ١٩٦): قرئ بنصب لفظ " العمرة " فتكون معطوفة على الحج مفروضة مثله لأنها داخلة

⁽۱) عن توتیق القراءة ینظر السبعة لابن مجاهد ۱۵٤، والإقناع لابن الباذش ۲۹۷/۳. أما عن التفسیر فینظر تفسیر مجمل فی المحرر الوجیز لابن عطیة (قطر) ۲۲۰/۱ والتفصیل مسئولیتی .

⁽۲) قرأ بها أبى وابن مسعود وابن عباس وغيرهم (معجم القراءات ۱/٦٤) وليست سبعية . وعن التفسير ينظر المحرر الوجيز ۲۱۸/۱ – ۳۱۹ .

⁽۲) نسبت لابن عباس وأبى الشعثاء وغيرهما (معجم القراءات ۱۱۰/۱) وليست سبعية وعن التفسير ينظر نفسير القرطبي ۹۷/۲ – ۹۸ والبيضاوي بحاشية زاده – ٤٠٦/١ – ٤٠٩.

مع مفعول فعل الأمر " وأتموا " ، وقرئ برفع "العمرة" فتكون " والعمرة للــه " جملة مستقلة ولا تكون مفروضة (⁽⁷⁾ بل يكون حكمها أنها دون الفريضة .

(٦) قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُو أَلَدُ الْخِصَامِ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٤): قرئ ويُشهدُ الله "بضم ياء المضارعة، ونصب لفظ الجلالة. والمعنى أنه يستشهد بالله (الذي يعلم ما في القلوب - وهذا كالقسم) على أنه مؤمن ومخلص أي أخ للمؤمنين في حين أنه عدو لدود لهم. وقرئ "ويشهدُ الله " بفتح ياء المضارعة ورفع لفظ الجلالة (۱). وعلى هذه القراءة فهو لا يستشهد بالله، ولكن الله عزوجل يخبرنا أنه يعلم حقيقة ما في قلبه، وأنه خلاف ما يقول، فهو عدو لدود لكنه على هذا أقل جُرأة على الله.

(٧) قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَالْتَيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلِ مِنْ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ (سورة البقرة ٢١٠) ، قرئ لفظ "الملائكة " بالرفع وبالجر ، فالرفع بعطفه عى لفظ " الجلالة " بمعنى ما ينتظر هؤلاء القوم إلا أن يأتيهم الله وتأتيهم الملائكة . والجر (٢) بعطفه على "الغمام" كما تقول العرب أقبل الأمير في العسكر .

⁽۲) القراءة نسبت إلى على وابن عباس وابن مسعود وغيرهم (معجم القراءات ١٥١/١) وليست سبعية . وينظر تفسير القرطبي ٣٩٦/٢ .

⁽۱) القراءة نسبت لابن عباس والحسن وابن محيصن وأبى حيوة (معجم القراءات ١٥٦/١) وينظر تفسير القرطبي ١٥/٣ .

راً به الحسن وأبو جعفر وأبو حيوة (معجم القراءات ١٦٠/١) وليست سبعية ، وينظر تفسير القرطبي ٢٥/٣ .

- (^) قوله تعالى: ﴿ تُلْكَ الرُّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٥٣): قرأ الجمهور لفظ الجلالة بالرفع على أن التكليم صادر منه تعالى لعبده وهى درجة بالغة الرفعة. وقرئ بالنصب (١) على أن التكليم صادر من العبد إليه سبحانه. وتوجيه الكلام إليه سبحانه وتعالى يمكن أن يكون حقيقة لكنه لا يعنى بالضرورة صدور رد على الكلام. فالدرجة على هذه القراءة دونها على تلك .
- (٩) قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيْمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ " أَنْ يُنزَلَ عَلَيْنَا مَائدَةً مِنْ السَمَاءِ ﴾ (صورة المائدة ١١٢) قرى "يَسْتطيعُ ربُّك " بياء المضارعة ورفع " ربك " فاعلا للاستطاعة. والمعنى هل يفعل ذلك ؟ أى هل تقع منه إجابة لنا في ذلك بمعنى هل نحن أهل لاستجابته وتفضيله سبحانه في هذا . وقرئ بتاء المضارعة ونصب لفظ " ربك " معمولا للفعل بمعنى هل تستطيع أن تسأله أن ذلك ؟ أو هل تبلغ منزلتك عند ربك أن ينزل علينا المائدة بسؤالك إياه ؟ تغير المعنى بتغير الإعراب .
- (١٠) قوله تعالى ﴿ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (سورة هود ٤٦) ، قرئت كلمة "عمل "بصيغة المصدر مرفوعة ، مع رفع كلمة "غير" صفة لها . والمعنى وصف تصرف ابن نوح بأنه غير صالح . لكن هذه القراءة اتخذت سندا لمن قال إن هذا الولد كان لغير رشده . وقرئت "عَملَ "بصيغة الفعل الماضى، و "غير "منصوبة على المفعولية فهذه القراءة مقصورة على وصف تصرف ابن نوح ، ولا سبيل فيها للمعنى الآخر (٢) .

⁽۱) ذكرت القراءة بالنصب في الكشاف (دار المعرفة) ١٥١/١ ومعجم القراءات ١٩٤/١ دون نسبة إلى قارئ . وليست سبعية والتعليق مسئوليتي .

⁽۲) القراءة سبعية قرأ بها الكسائى (ينظر السبعة لابن مجاهد ٣٣٤ والإقداع ٢/٥٦٦)، وينظر المحرر الوجيز ٢١٠/٧ - ٣١١.

- (١١) قوله تعالى ﴿ يُومْنَذِ يُوفَيهِمْ اللَّهُ دينَهُمْ الْحَقَ ﴾ (سورة النور آية ٢٥)، قرئت بنصب الحق وصفا لكلمة " دين " بمعنى الجزاء هنا . وقرئت برفع كلمة "الحق " وصفا للفظ الجلالة .(١)
- (١٢) قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقَيَامَةِ وَالسّمَاوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (سورة الزمر ٢٧) قرئ "مطويات " بالرفع خبرا للمبتدأ وهو "السموات" فهى المطوية بيمينه سبحانه ، وقرئ بنصب لفظ "مطويات" (٢) على الحالية ، وتكون " السموات " معطوفة على "الأرض" بمعنى أنهما معا في قبضته تعالى حالة كونها مطويات بيمينه (٣) .
- (١٣) قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذْ الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُون يُسْحَبُون ﴾ (سورة غافر ٧٠-٧١) قرئ برفع "السلاسل" وبناء الفعل يُسْحَبُون للمفعول فتكون السلاسل هي أيضا في أعناقهم حالة كونهم يسحبون . وقرئ بنصب السلاسل ، وبناء الفعل "يسحبون" للفاعل(٤) فيكون المعنى أنهم هم يسحبون السلاسل ، مع وجود الأغلال في أعناقهم .
- (١٤) قوله تعالى : ﴿ قُلُ الْمُخَلَّفِينَ مِنْ الأَعْرَابِ سَـتُدْعَوْنَ إِلَى قَـوْمٍ أُولِي بَالْمُونَ " بَسْلُمُونَ ﴾ (سورة الفتح آية ١٦) قرئ الفعل " يُسْلُمُون الله بُنْ الله عنى (إما أن تقاتلوهم وذلك ما ستدعون له ، وإما أن يسلموا قبل أن تقاتلوهم ، وبذا يصيرون إخوانا لكم تأمنون جانبهم فلا يكون قتال) .

⁽۱) قراءة الرفع نسبت لابن مسعود ، ومجاهد ، وأبى روق وأبى حيوة (معجم القراءات ٤٠٤) وهي ليست سبعية . وينظر المحرر الوجيز ٢٤٥/١٠ - ٤٧٤ .

⁽۲) نسبت قراءة النصب إلى عيسى بن عمر والجددرى (معجم القراءات ۳۰/٦) وليست سبعية ، وينظر الكشاف للزمخشرى – دار المعرفة ۳۵۷/۳ وماقبلها .

⁽معجم القراءة لابن مسعود وابن عباس وعكرمة وغيرهم (معجم القراءات 7/00) وليست سبعية ، وينظر المحرر الوجيز 70/10 .

^(٤) السابق .

وقرئ " أو يسلموا " بالنصب (١) ، والمعنى حينئذ تقاتلونهم إلى أن يسلموا - فالقتال محتَّم، واستمراره إلى أن يُسلِموا. ويجوز أن يكون المعنى هنا تقاتلونهم إلا أن يسلموا. فليتقى المعنى مع قراءة الرفع. (٢)

(١٥) قوله تعالى: ﴿ وَهُو رَبُّ الْعَرَّسِ الْعَظيمِ ﴾ (سورة التوبة آية ١٢٩) - وقد جاءت عبارة "ربُّ العَرّشِ العظيم " في (سورة المؤمنون ٢٦ والنمل ٢٦) و "ربُّ العَرّشِ الكريم " (المؤمنون ٢١٦) - صفة " العظيم " ، "الكريم " تصلح أن يوصف بها " العرش " فتكون الصفة مجرورة . وقد قرئ بالضبطين (٣) والفرق في المعنى واضح ، ووجود صفة بعد أكثر من موصوف أسلوب جار . ولا يتعين المراد إلا بالضبط .

(١٦) ومثل ماسبق قوله تعالى ﴿ ذُو الْعَرَّسِ الْمَجِيدُ ﴾ (سورة البروج ١٥) حيث قرئ لفظ " المجيد " بالجر (٤) صفة للعرش ، وبالرفع صفة للمولى سبحانه الذى هو " ذو العرش وقد أضيف هنا جانب آخر هو مدى جواز وصف العرش وغيره بالمجد . وفي نفس السورة ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ قرئ لفظ " محفوظ " بالجر صفة للوح ، وبالرفع صفة للقرآن (٥) .

⁽١) نسبت هذه القراءة إلى أبيَ ، ويزيد بن على (معجم القراءات ٢٠٦/٦) وليست سبعية .

⁽۲) ينظر المحرر الوجيز ٥٠/١٣؛ - ٤٥١ (بتصرف) والاقتصار على خيارين خاص بأهل جزيرة العرب - حسب الموقف الأشهر، لأنهم الذين يخشى منهم على الدولة الاسلامية . أما عمن هم خارج الجزيرة وأهل الكتاب فهناك خيار ثالث هو الجزية إزاء من يخشى عدوانهم. وينظر في تفاصيل المسألة تفسير القرطبي ٢٧٢/١٦-٢٧٣ ثم ٨/٩٠١-١١١).

ينظر المحرر الوجيز 1/7 (الجر قراءة الجمهور ، والرفع قرأ به ابن محيصن وروى عن ابن كثير من السبعة و 71/7 ، 71/3 والكشاف (دار المعرفة) 71/7 – 181 . وفي معجم القراءات 71/5 ، 71/5 و 71/5 نسبت قراءة الرفع لابن محيصن فقط .

⁽٤) قرأ بالجر حمزة والكسائى من السبعة (السبعة لابن مجاهد ٦٧٨ والاقناع ٨٠٦/٢) وقرأ عاصم وباقى السبعة بالرفع .

⁶ ينظر المحرر الوجيز ٣٩١/١٥ و ٣٩٣ . وقراءة الرفع لنافع من الأئمة السبعة (الموضع نفسه في المرجعين السابقين) .

(١٧) وعند تعدد التوابع مع تعدد المتبوعات كالعطف مع النعت في قوله تعالى ﴿ عَالِيهُمْ ثِيَابُ سُندُسِ خُصْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ (سورة الإنسان ٢١) لا يتعين إلا بالإعراب. فقد قرئ بجر خضر صفة للسندس، وبرفعها صفة للثياب، قرئ بجر إستبرق عطفا على السندس فيكون الإستبرق نوعا آخر من الثياب، فيكون الإستبرق نوعا آخر من الثياب، فيكون الإستبرق نوعا من الأكسية غير الثياب كالملاحف مثلا(١).

(١٨) قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ ﴾ (سورة الأنفال) ، قرئت "يسألونك الأنفال " بتعدية الفعل ونصب الأنفال مفعولا به(٢) ... ولاختلاف معنى الفعل اختلف الإعراب – فعلى القراءة الأولى السؤال معناه الاستفهام عن حكم الأنفال وتوزيعها . وعلى القراءة الأخرى السؤال معناه أنهم يطلبون أخذ الأنفال أو الأخذ منها – ولا حديث عن الحكم هنا . (وهذا أسلوب له تطبيقات موسعة لكثرة المشترك) .

هذا ، وتتبع القراءات يأتى بعشرات الأمثلة التى يختلف فيها المعنى لاختلاف القراءة في الضبط الإعرابي (٢).

والتضمين أسلوب برأسه يؤثر في الإعراب لأنه يغير المعنى ، وقد مرت أمثلة كثيرة منه نذكر بواحد منها ﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ

⁽۱) ينظر المحرر الوجيز ٢٤٩/١٥. وفي البحر المحيط ٢٠٠/٨ وحاشية زادة ٥٩٣/٤ أن الرفع على تقدير ثياب إستبرق. والقراءتان سبعيتان (ينظر السبعة ٦٦٤ – ٦٦٥، والإقناع ٢٠٠/٨).

⁽۲) القراءتان في الكشاف دار المعرفة ۱۱۲/۲ . وقراءة التعديه دون " عن " نسبت إلى ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وغير هما (معجم القراءات ٤٣٧/٢) وليست سبعية .

⁽۲) تصفح معجم القراءات مثلا . وكتب توجيه القراءات كالحجة لأبى على الفارسى ، ولابن خالويه ، ولابن زنجلة والكشف لمكى ... يكشف عما قد يبلغ المئات من هذا النوع .

أَجِلَهُ ﴾ عزم يتعدى بعلى ، لكن " تعزموا " هنا بمعنى تشدوا وتوتقوا (١) ، فنصبت المفعول مباشرة - بناء على الفعل المضمن .

وهذه مجموعة أخرى من الأمثلة - رأينا أن من حق الدارس لهذا الموضوع أن يقف عليها بأسلوب صاحبها العلامة على النجدى ناصف في كتابه من قضايا اللغة والنحو نورده بمراجعه مع إضافة بعض التوثيقات .

(۱) قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتُوكُلُ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسَبُهُ إِنَّ اللّه بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلُ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ، فقرئ بالغ أمره بالرفع وبالإضافة على معنى أنه سبحانه لا يفوته مطلوب ولا يعجزه مراد ، وقرئ " بالغ " بالرفع والتنوين مع رفع " أمر ف " بعده على معنى أن أمر الله سبحانه نافذ إلى غايته لا يرده ولا يعوقه معوق ، ويكون قوله سبحانه : ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ بيانا آخر لمقتضى التوكل الذي رغب فيه صدر الآيات ، وقرئ " بالغا أمر ف " بالنصب ورفع لفظ " أمر ه " على معنى أن الله - ومن شأن أمره النفاذ - قد جعل لكل شئ تقديرا يجئ عليه ، وتوقيتا يقع فيه (٢) .

⁽۱) العبارة القرآنية المذكورة من سورة البقرة / ٣٥ ، وجاء في طبعات المغنى أنّ تعزموا في الآية بمعنى تتووا . لكن ترجح لذيّ أن كلمة تنووا هنا محرفة عن تشدوا (من الشد بمعنى الربط والإيثاق) وذلك لأن صدر الآية يجيز التعريض بالخطبة وإكنان أمر الزواج في النفس " أو أكنتم في أنفسكم " وما يكن في النفس هنا نية الزواج عينها فالنهي عن عزم عقدة النكاح " حتى يبلغ الكتاب أجله " هو نهي عن إجراء " العقدة " فعلا (وهو شد العقدة) لا عن النية .

⁽٢) الكشاف : ٢٧/٢ . (الآية من سورة الطلاق ٣ . وقراءة الرفع والإضافة ، الرفع بالتنوين مع نصب " أمره " سبعيتان ، وقراء الرفع بالتنوين مع رفع أمره قرأ بها أبو عمرو وغيره ، وقراءة النصب بالتنوين ورفع " أمره " قرأ بها المفضل (معجم القراءات ١٦٦ – ١٦٧) .

- (٢) وقال تعالى : ﴿ وَدُوا لُو ْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ فقرئ "يدهنون" بالنون على معنى فهم يدهنون رجاء أن تدهن مثلهم ، وقرئ " فيدهنوا " بحذف النون على معنى ودوا لو تدهن ليدهنوا مثلك(١) .
- (٣) وقال: ﴿ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكُثْرُ ﴾ فقرئ "تستكثر "بالجزم، فيكون النهى عن المن والاستكثار جميعا، باعتبار الاستكثار نوعا من المن، فإن من شأن المنان بما يعطى أن يعده كثيرا وإن كان غير كثير. وقرئ "تستكثر "بالرفع على معنى ولا تمنن بما تعطى مستكثرا له أو طالبا عليه الكثير من العوض، وقرئ "تستكثر "بالنصب وإضمار أن على معنى: ولا تمنن بما تعطى لأنك تستكثر هرا).
 - (٤) وقال: ﴿ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحُوذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْتَعْكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، قرئ "نمنعكم "بالجزم على التقرير للاستحواذ والمنع ، أى لقد استحوذنا عليكم ومنعاكم ، وقرئ بالنصب على المصاحبة ، أى لقد استحوذنا عليكم مع منعنا لكم من المؤمنين أن ينالوكم بمكروه (أى قَرنًا هذا بهذا)(٣) .

⁽۱) الكشاف: ۲/۹۸٪، المغنى: ۱۹٤/۱ (الآية من سورة القلم ۹ وقراءة حذف النون غير سبعية ولم تنسب لأحد بعينه بل قيل إنها وجدت في بعض المصاحف أي بلا نون (معجم القراءات ۱۹۶/۷).

⁽۱) الكشاف: ۲/۲۰ . الآية من المدثر ٦ . وقراءة الرفع هي السبعية ، وقراءة الجزم رويت عن الحسن وابن أبي عبلة ، وقراءة النصب رويت عن الحسن والأعمش ويحيى بن يعمر (معجم القراءات ٢٦٠/٧).

⁽۲) الكشاف: ۱: ۲۲۲. (الآية من سورة النساء (٤) ، وقراءة الجزم هي السبعية ، أما قراءة النصب فلم تذكر في معجم القراءات ولم يعرف القارئ بها ، واللوى جاء في الكشاف (دار المعرفة بيروت ٢٠٦/١) وقُرى ونمنعكم بالنصب بإضمار أن) .

- (٥) وقال : ﴿ إِنَّ رَبَكَ يَعْلَمُ أَنَكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلْثَى اللَّيْلِ وَنِصِفْهُ وَتُلْتُهُ ﴾ وقرى "ونصفه وثلثه "بالجر على معنى إنك تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من نصفه وثلثه(١).
- (٦) وقال : ﴿ يَالْيَتَنَا نُردُ وَلا نُكَذَبَ بِآيَاتِ رَبَّنَا ﴾ فقرئ "ولا نكذب " بالرفع عى معنى ياليتنا لا نكذب، وقرئ "ولا نُكذَب " بالنصب على معنى ليتنا يكون لنا عود إلى الحياة يصاحبه التصديق والإيمان (٢) .
- (٧) وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَـهُ جَزَاءً الْحُسْنَى ﴾ ، فقرئ "جزاء " بالنصب والتنوين على معنى فله الحسنى مَجْزيًا بها ، وقرئ "جزاء الحسنى " بالرفع والإضافة إلى الحسنى على معنى فله جزاء خصاله الحسنى التي تكون من الإيمان والعمل الصالح ، وقرئ " جزاء " بالرفع والتنوين على معنى فله جزاء شم أتبعه الحسنى على طريقة الإبهام والتفسير . قصدا إلى الإعظام والتفخيم (٣) .
- (^) وقال: ﴿ وَقَدْ مكر وا مكْرَهُمْ وَعَنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مَنْهُ الْجَبَالُ ﴾ فقرئ "لِتِرولَ" بكسر اللام الأولى ونصب الأخرى على معنى: وما كان مكرهم لتزولَ منه الجبال مهما عظم وتبالغ في الشدة. وقرئ بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى على معنى وإنّ مكر هم لشديدٌ غالب، حتى لتزول منه الجبالُ الراسيات (٤).

⁽۱) الكشاف : ۲ : ۵۰۲ . الآية من سورة المزمل ۲۰ والقراعتان سبعيتان (معجم القراعت ۲۰ /۲۵۵۷) .

⁽۲) الكشاف: ۱ : ۲۸۸ (الآية من الأنعام ۲۷ والقراءتان سبعيتان . ينظر معجم القراءات ۲۲۲/۲) .

⁽٢) راجع البحر المحيط ١٦٠ : ٦ ، ١٦١ والطراز ٢ : ٧٨. من سورة الكهف ٨٨ . وقراءة النصب والتنوين لعبد الله بن أبى السحاق ينظر معجم القراءات ٤٠/٤) .

⁽ن) الكشاف : ١ : ٥٠٩ . (الآية منسورة إبراهيم ٤٦ والقراءتـان سبعيتان (السبعة ٣٦٣ ومعجم القراءات ٢٤٣/٣) .

(٩) وفى أساليب العطف تعرض مشكلات توقع فى الحيرة والشك ولايمكن حلها وفهم المراد بها على وجهه إلا بالإعراب ، فمثلا يقول الله تعالى فوصتى بها إبراهيم بنيه ويَعقُوب أنه ، فليس يدرى القارئ دون توقيف : أيعقوب معطوف على إبراهيم (فيكون يعقوب وصتى بها أيضا) أم معطوف على بنيه فيكون المعنى ، ووصتى بها إبراهيم بنيه ووصتى بها يعقوب فى جملة بنيه أيضا (لأن يعقوب ابن لابنه إسحاق) . (١)

(١٠) وقوله جل ذكره: ﴿ ... وَيُتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبُويَكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . لايعلم فيه ولا في مثله بغير الإعراب هل قبل مبنيه فيكون إبراهيم وإسحاق بدلين من "أبويك" ويكون المعنى : أتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك إبراهيم وإسحاق من قبل ، أم هل قبل معربة ومضافة إلى مابعدها فيكون المعنى : كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق، أي من قبل هذين الجدين من الجدود العلا. (٢)

فهذه أمثلة تبلغ الثلاثين ، بعضها يمثل أبوابا تتأتى فى كل منها كثير من الأمثلة (كالنعت والعطف عند تعددهما وتعدد متبوعهما ، وكالأفعال المشتركة والمضمنة) ، وقد اجتزأنا بما ذكرنا ، لأن فيه – إن شاء الله تعالى – مقنعا جدً كاف – لمن يبحث عن الحقيقة مجردا من الهوى . ومن يهد الله فهو المهتدى .

⁽۱) قرئت الآية بالرفع والنصب على المعينين (الكشاف: ١:٧٥) (الآية من سورة البقرة ١٣٢ وقراءة رفع يعقوب هي السبعية والقراءة بنصب يعقوب نسبت إلى إسماعيل المكبي وآخرين ينظر معجم القراءات ١١٧/١.

⁽۲) الكشاف: ۱: ۲: ۲۰ . (الآية من سورة يوسف ٦ . وإعراب قبل مع إضافتها لم ترد قراءة في معجم القراءات ١٤٩/٣ و لا في الكشاف (دار المعرفة بيروت) ٢٤٢/٢ - ٢٤٢/٣ ، وربما جاء بها العلامة على النجدي من حيث هي احتمال أمام من يقرأ القرآن دون تلق لبيان تغير المعنى بتغير الإعراب) .

الفصل الخامس

هل تغنى القرائن عن التزام الإعراب وعلاماته

هذا جانب يفرض مواجهته الكلامُ عن أصالة الإعراب وجدواه ، لأن تصوير الإعراب بأنه مجرد قرينة واحدة ضمن سبع قرائن يُوصل بمجموعها إلى المعنى التركيبي هو وجه للتهوين من شأن الإعراب يساند الدعوبين : عدم أصالته وعدم جدواه . وقد جاء هذا التصوير ضمن بناء أعده د. تمام حسان لدراسة اللغة العربية معناها ومبناها . والدكتور تمام هو أيضا أحد كبار رواد الدراسات اللغوية الحديثة ، وكتبه وآراؤه تشكل ركنا مهما من هذه الدراسات اللغوية ، ولذا ينبغي أن تدرس آراؤه بكل الجدية . والذي يُهمنا هنا من هذه الأراء هو ما يتصل بمسألة الإعراب .

وضع د. حسان تصور الوصول المتلقى - سامعا أو قارئا - إلى المعنى التركيبي لجملة ما قائما على تحسس المتلقى علامات الجملة (يعنى ألفاظها) واحدة بعد أخرى ليلاحظ ما يتمثل فيها من قرائن تقود إلى المعنى التركيبي . ففي جملة "ضرب زيدا عمرا " يلحظ المتلقى أن :(١)

١ - ضرب: هذه الكلمة على صيغة فعَل - واعتمادا على حصيلة معرفته
 يعرف أن هذه الصيغة هي للفعل الماضي ، و إذًا فضرب فعل ماض .

٢ - زَيْدٌ - يلحظ المتلقى :

- (أ) صيغة الكلمة فيعرف أنها اسم.
- (ب) أن " زيد " مضبوطة بالضم فيعرف أنها مرفوعة .

⁽١) انظر العربية معناها ومبناها ص ١٨١ - ١٨٢ (مع تصرف للتوضيح) .

- (ج) أن الفعل مسند إليها . (وسمى هذه قرينة التعليق) .
 - (د) أنها متأخرة عن الفعل.
 - (هـ) أن هذا التأخر عن الفعل واجب .
 - (و) أن الفعل معها مبنى للمعلوم.
- (ز) أن الفعل مسند إلى المفرد الغائب وهذا يطابق زيد .
 - " وبسبب كل هذه القرائن يصل إلى أن " زيد هو " الفاعل .

٣ - عَمْرًا: يلحظ المتلقى:

- (أ) صيغة الكلمة فيعرف أنها اسم.
- (ب) أن " عمرا " عليها علامة النصب فيقرر أنها منصوبة .
 - (ج) أن الفعل معدّى إليها (قرينة التعليق).
 - (د) أنها متأخرة الرتبة عن الفاعل والمفعول.
 - (هـ) أن هذه الرتبة غير ملتزمة .
- " وبسبب كل هذه القرائن " يسارع " إلى القول بأن عمر ا مفعول به .

وقد أتبع د. تمام حسان تحليل هذا المثل بقوله "ولا شك أن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها هي قرينة التعليق لأنها:

- ١ قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل في بعض الأحيان .
- ٢ أن التأمل فيها يقود في الأغلب الأعم من الحالات إلى متاهات الأفكار الظنية التي لا تتصل اتصالا مباشرا بالتفكير النحوى ، وتخرج لهذا السبب عن طبيعة الالتزام بحدود المنهج .
- ٣ أن الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التحليل الإعرابي . وما
 دام الناس يحسون ويعترفون بالإحساس بصعوبة الإعراب أحيانا ، فإن

معنى ذلك أن من الصعب عليهم أحيانا أن يكشفوا عن هذه القرينة المعنوية (قرينة التعليق) وهي أم القرائن النحوية جميعا(١).

ونلاحظ على هذا التصوير أمرين أحدهما مجمل وهو محاولة تهويل شأن الإسناد الذي سماه التعليق ، فهو " أم القرآن "، وهو " الغاية الكبرى من التحليل الإعرابي " ثم محاولة استبعاده من مجال النحو (كيف ؟ وإلى أين ؟ لا أدرى) وذلك واضح في رقم (٢) من كلامه هنا، وفي وصفه بالصعوبة مرتين في رقم (٣) .

أما الأمر الآخر فهو ملاحظات مفصلة في مايلي :

ا - أنه أغفل المعنى المعجمى (= اللغوى) إغفالا تاماً فلم يجعل له أى الرق في الإعراب والمعنى التركيبي - وهو قد صرح بذلك فقال إن المعنى على مستوى النظام الصوتى والنظام النحوى هو معنى وظيفى ، وإذا اتضح المعنى الوظيفى أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعنى المعجمى أو المقام (١) . وتأكيدا لهذا نظم بيتاً من ألفاظ لا معنى لها (١) ، ثم أعربه إعراباً كاملاً ثم قال هذا الإعراب الكامل التفاصيل يبين إلى أى حد نستطيع الاتكال في التحليل اللغوى على ما أطلقنا عليه اصطلاح "المعنى الوظيفى" . فهذا المعنى يحدد الفهم صوتيا من حيث إن الحرف مقابل استبدالي، وصرفيا من حيث إن المبنى إطار شكلى يتحقق بالعلامة، ونحويا من حيث إن العلاقة السياقية تكشف لنا عن ترابط المبانى التي تحقق بالعلامات في باق النص. أما ما فوق ذلك من معنى الكلمة

⁽۱) نفسه ۱۸۲ .

⁽۲) نفسه ۱۸۲ .

⁽٣) هو قوله:

قاص التجينُ شمالهُ بتريصه ال فاخى فلم يستف بطاسية البرن

المفردة أو معنى المقام أى المعنى الدلالي فذلك مالا يوصل إليه بواسطة المبنى فقط(١) .

- وإغفال أثر المعنى المعجمى (= اللغوى) في الإعراب خطأ كبير . فقد سبق أن فصلنا وجود ذلك الأثر وجودا حقيقا يتمثل في أربعة سبل :
- (أ) أن المعنى المعجمى للفعل هو الذى يقضى بكون ذلك الفعل لازما أو متعديا ، وهذا بالطبع يوجه علاقات الجملة بحيث يكون فيها فاعل فقط إن كان الفعل لازما ، أو فاعل ومفعول إن كان متعديا ، وهذا أثر إعرابي أساسي .
- (ب) أن المعنى المعجمى هو الذى يتحكم أحيانا فى تعيين الفاعل والمفعول يقضى بذلك كما والمفعول يقضى بذلك كما فى أكل زيد الرغيف وتظهر قيمة ذلك حين التجاوز عن الرتبة مثل أكل الرغيف زيد أوالرغيف أكل زيد إذا حُمِلَ الكلام على

⁽۱) لتوضيح كلام د/ تمام : كلمة الكتاب : المعنى الصوتى لها أن الحرف الأول منها كاف لا قاف وأن تلك الكاف إذا غيرت إلى عين أو راء مثلا تغير المعنى وهذا هو معنى أن الحرف مقابل استبدالى " والفهم " الصرفى أنها على صيغة فعال وهذه الصيغة تأتى عليها علامات (يعنى كلمات) كثيرة وتحققت هنا بهذه الكلمة بالذات ، والفهم النحوى هو العلاقات بين العلامات (أى كلمات) الجملة ، ونلحظ مايلى :

أ - أن هذا التوزيع للمعنى هو أصلا من عمل فيرث .

ب - وأن العبارة " أما ما فوق ذلك من معنى الكلمة المفردة أو معنى المقام أى المعنى الدلالى فذلك ما لا يوصل إليه بواسطة المبنى فقط " موهمة . فليس المدعى فى مجال مسألة الإعراب هذه أن معنى الكلمة أو المقام يوصل إليه بواسطة المبنى ، بل المدعى أن معانى الكلم والعلاقات التركيبية بينها تؤثر فى الإعراب وأن الإعراب فرع المعنى .

الوجه المتعارف. وهذا الأثر الإعرابي في حالة التجاوز عن الرتبة - جوهري تماما .

- (ج) أنه إذا قُصِد بالفعل أو ما يعمل عمله معنى غير معناه الأصلى فإن تركيب الجملة: يجرى على حسب المعنى المقصود لا الأصلى من حيث التعدى واللزوم ومن حيث الحرف الذي يعدى به.
- (د) أن المعنى المعجمى يوجه إلى تكييف الموقع الإعرابي كما في أحصى مالا وأحصى ذهنا مثلا وقد قدمنا أمثلة كثيرة وهذا أيضا أثر جوهرى، فإغفال كل هذا الأثر بجوانبه المتعددة خطأ بالغ.

٢ - أن الوصول إلى الإعراب الدقيق (وهو دليل المعنى التركيبي الدقيق) عن طريق التحسس للقرائن الظاهرة المتمثلة في الصيغ وعلامات الإعراب والرتب وما إليها بالصورة التي وضعها د. تمام حسان أمر غير موثوق به حتى على مستوى الجمل البسيطة التي مثل بها .

ذلك أنه يمكن أن يكون هناك جمل يخيّل للمتلقى المتحسس الذى لا يُعمِل ذهنه أنها على نفس الصورة الظاهرية ، في حين أنها مختلفة ولها إعراب مختلف ومعنى تركيبي مختلف .

وعلى سبيل المثال فإننا يمكن أن نصوغ جملا على النسق الظاهرى لجملة "ضرب زيد عمرا ". ولكنها تخالفها في الحقيقة . فالجمل : ملَكَ زيدٌ رَجُلاً / دَهْرًا ، وأَكَلَ زَيدٌ طَمَعًا ، وجرى زيدٌ وَثَبًا، وزُرِعَتُ الأرض شَجَرًا - كل من هذه الأمثلة يبدأ بفعل ماض للمعلوم ويليه فاعله (ماعدا المثال الأخير فالفعل فيه للمجهول ويليه نائب فاعله) ويلى الفاعل أو نائب الفاعل اسم منصوب ، لو سارع " المتلقى إلى إعرابه مفعولا به لكان مخطئا ، فإن " رجلا " حال ،

"ودهرا " مفعول فيه و " طمعا " مفعول لأجله ، و " وثبا " مفعول مطلق ، و"شجرا " تمييز .

وسبب اختلاف إعراب هذه المنصوبات عن إعراب "عمرا" في "ضرب زيد عمرا " هو اختلاف "النوع النحوى " لتلك المنصوبات عن النوع النحوى لكلمة "عَمْرا" علَم على ذات، في حين أن كلمتى " طَمَعًا" و " وَنُبًا " مصدران . ولفظ " دهرا " اسم زمان، ورجلا " اسم جنس ذات مُوَوَل هنا بصفة أي بالغا، و"شجرا " اسم جنس جمعى غير مؤول . وتأثرا بالنوع النحوى لكل من تلك الكلمات في سياقها أعْربت بما سبق ، وأسهم المعنى المعجمى في بعض ذلك ، ومنه أن "ملك" معناها تولى الملك فكانت " رجلا " حالا بمعنى بالغا ، ولما كان معنى " الطمع " مما يدفع إلى الأكل ويسببه أعربت " طمعا " مفعولا لأجله ، ولما كان الوثب نوعا من الجرى أعربت "وثبا" مفعولا مطلقا مبينا للنوع ، ولما كانت حقيقة الزرع أن ينصب على الشجر لكن الفعل استوفى مفعوله لكلمة الأرض أعربت "شجرا" تمييزا محولا عن المفعول به ...

وهكذا يتبين أن تحسسُ القرائن الظاهرة في مكونات الجملة - دون تبين الذهن المعانى اللغوية والأنواع والتكبيفات النحوية لكل من تلك المكونات = لايوصل إلى الإعراب أو المعنى التركيبي الذي قصده منشئ الكلام.

7 - أنه مع التغاضى عن كل ما سبق (فى ٢،١) وافتراض صلاحية ذلك الإسلوب الذى وضعه د. تمام حسان للوصول إلى الإعراب ، ومن شم إلى المعنى التركيبي فإنه لا يصلح إلا في الجمل النمطية بصورتها القريبة والبسيطة معا . وقد قدّمنا أن النمطية إما أن تحرم العربية من إحدى أهم خصائصها وهي المكانية التصرف في كلمات الجملة ونسقها بتحريك بعض الكلمات عن رتبها ، أو بحذفها ، أو بالفصل بين ما الأصل فيه النتابع منها - وهذا الحرمان عُدُوان

وجريمة فى حق اللغة وتراتها وأهلها بالإضافة إلى أنه انتقاص من حرية وحقً متاحين لجمهور مستعمليها ، وإما أن تصيبها بالقصور الفاحش بحيث تهبط إلى مستوى يغنى عنه التعامل بالإشارة . وهذا أيضا فيه من الضيّر للغة ولمستعملها مثل ما سبق ، وليس من حق أحد أن يرتكب هذا أو ذاك .

وقد قلنا إن الوصول إلى المعنى التركيبي بالطريقة التي وضعها د. تمام حسان يمكن افتراض تأتيه لكن في الجمل النمطية القريبة والبسيطة وحدها - كالمثال الذي أعربه - وهو يمثل نمطا واحد ، أما في الجمل النمطية التي ليست قريبة وهي كثيرة قد تبلغ الثلاثين (۱) فإن صلاح الطريقة التي وضعها د. تمام حسان لتحليلها وصولا إلى الإعراب (الدال على المعنى التركيبي) أمر مشكوك

⁽۱) الجمل النمطية هي صور تأليف الكلام التي تلتزم فيها الرتبة وذكر ما يطرد ذكره ووصل ما يطرد وصله (- وهذا التعريف لها وضعته استنباطا . وهي تؤخذ مما ذكره ابن هشام شرح قطر الندى تحد محيى ٤٤) عن صور تأليف الكلام أنها ست : يتألف من اسمين أو من فعل واسمين أو ثلاتة أو أربعة . وما هو من اسمين أربع صور مبتدأ له خبر ، أو له فاعل أو نائب فاعل سد مسد الخبر ، أو اسم فعل وفاعل ، وما هو من وفاعل ، وما هو من فعل واسم له صورتان فعل وفاعل أو ناب فاعل ، وما هو من جملتين الشرط وجوابه . وأما الثلاث الباقية فهي كان وظن وأعلم وأخواتهن مع ما دخلن عليه . فهذه إحدى عشرة صورة للجمل النمطية . القريب منها هو الفعل وفاعله أو نائب فاعله ، والمبتدأ مع الخبر . وفي رأيي أنه كان ينبغي ذكر الأساليب المطردة التي خرجها النحاة على الصور المعروفة كأساليب التعجب ، والمدح والذم ، والاستفهام وأن يذكر هنا الجمل المكونة من إن وأخواتها . ولا ، وما - مع ما دخلن عليه كما ذكرت كان والندبة والاستغاثة ، والاختصاص ، والتحذير والإغراء . والمبتدأ المخبر عنه بظرف أو والندبة والاستغاثة ، والاختصاص ، والتحذير والإغراء . والمبتدأ المخبر عنه بظرف أو جار ومجرور ... فهذه نحو ثلاثين صورة للجمل النمطية جلها جمل ليست قريبة . وما عداها فهو غير نمطى وهو لايكاد يحصى .

فيه تماما ، لأن الوصول بتلك الطريقة إلى المعنى التركيبي لسائر الجمل النمطية - على ما حددناها به (۱) - يتطلب إلماما واعيا بجلّ قواعد النحو القديم ، وذلك بصرف النظر عن تحفظنا إزاء أسلوب التحسس الأعشى لألفاظ الجملة ، فإذا تم ذلك الإلمام فإنه يمكن تحصيل المعنى التركيبي للجمل النمطية البسيطة . بطريقة د. تمام (كما يمكن ذلك بالطريقة المعتادة - وهي أدق ، كما أنها أولى بالاتباع لنضجها) .

ثم يبقى الكلام عن الجمل النمطية المركبة - وهى كثيرة تزيد عن الثلاثين (٢)، ثم الجمل غير النمطية - وهى ما طرأ على بعض مكوناتها حذف أو تقديم أو تأخير أو فصل بين متلازمين . وذلك النوع من الجمل كثير كثير يحتاج إحصاؤه إحصاء علميا إلى مبحث خاص (٣) والإدعاء بأن المنهج الذى يجسده المثل الذى حلّله د. تمام حسان يصلح للنحو كله كادعاء إمكان عبور المحيط تعلقا بحزمة من القش (٤)، لأن تفاصيل صور تركيب الجمل وما يطرأ

^{(&}lt;sup>()</sup> ينظر التعليق السابق .

⁽۲) النظر العجلى أنه يخلص من الجمل الكبرى ذات الوجه وذات الوجهين أربع جمل مركبة (ينظر المغنى تحد محيى الدين ۲۸۰ – ۳۸۲) وأنه يضاف إليها سبع جمل لامحل لها من الإعراب وتسع جمل لها محل (ينظر المعنى ۲۲۵–۲۲۸) ولكن التفاصيل التي تضمنها تحليل ابن هشام لتلك الجمل التي لها محل والتي لا محل لها يضاعف عددها مرات (ينظر المغنى ۳۸۲–۲۲۸).

⁽۲) ينظر في الحذف والتقديم والتأخير والفصل (الخصائص ٢/٣٦٠-٤١) ، وينظر للحذف خاصة المغنى ٦٠٣-٦٤٩ ، وهذا كله للتمثيل لا للحصر ويتطلب الأمر النظر في سنن العرب في كلامها " ينظر الصاحبي لابن فارس (تد، السيد صقر ٢٢١ إلى آخر الكتاب".

^(÷) يلاحظ أن تصور د/ تمام للتحليل النحوى مبنى على أساس الإحاطة بالمعلومات النحوية التى أدخلها في التحليل (الصيغ وصور الإعراب والإسناد والتعدية والرتب والمطابقة .. وصور تركيب الجمل .. الخ) ، هذه واحدة ، والأخرى أن ثغرات هذا التصور تجعلنا =

على مكونات كل صورة من تغيرات حذفا أو تقديما أو تأخيرا أو فصلا .. لاتدع احتمالا لنجاح هذا المنهج .

٤ - والحق أن تفسير الإعراب والمعنى التركيبي بالقرائن على ماوصف د. تمام حسان فيه من التكلف أكثر مما فيه من الدقة والتحقيق . ذلك أن المتلقى للكلام يتلقف خلاصة ما يراد به وهي الخلاصة المتمثلة في الإسناد أي "الخبر" أو الحكم أو الفائدة التي يحملها الكلام - وهذا هو ما قرره د. تمام حسان نفسه في قوله " إن الكشف عن هذه القرينة (يعنى الإسناد) هو الغاية الكبرى من التحليل الإعرابي " وقوله عن هذه " القرينة " إنها أم القرائن النحوية جميعا " وهذا هو الحق والدقيق في كلامه عن "القرائن". فالإسناد (وتتبعه التعدية أو اللزوم) هو محور بناء الجملة وعلاقتها ، وهو محور الآثار الإعرابية فيها . وما دام الأمر كذلك - وكلام د. تمام يقضى به كما رأينا - فإن سائر ما ذكر من " قرائن " . هو مكملات بعضها كالبدهي مثل كون المسند إليه اسما ، وقريب من ذلك المطابقة ، وبعضها ضوابط فنية للصياغة والإعراب لا للمعنى كالرتبة وحكم التزامها ، أما العلامة الإعرابية فإنها يستدل بها على المعنى التركيبي عند الصياغة المركبة ، والصياغة غير النمطية ، وعند الالتباس . ومن ثم فإن إدخال كل هذه القرائن - على الصورة التي رأيناها ، مع الإسناد وما يتبعه كالتعدية - وهما مناط الإعراب = يؤدى إلى إغراق الإعراب والتهوين من شأنه باعتداده قرينة واحدة من بين قرائن كثيرة. وقد تكلمنا عن الإسناد والتعدية - من خلال كلامنا عن علاقة الإعراب بالمعنى والمبحث التالى له - بما يكفى ويشفى ان شاء الله .

⁼نتساءل عن جدوى هجر النحو القديم الذى عالج مئات الأئمة - على امتداد بضعة عشر قرنا - كل ثغراته إلى تصور جديد ملىء بالثغرات ، وهو فى أحسن تقدير له محاولة للتعبير عن القديم نفسه بمصطلحات جديدة غير محكمة .

العامل :

بقى مما يهمنا من آراء د. نمام حسان في الإعراب كلامه عن العامل ومنقشة فكرة وجود عامل للإعراب لفظى أو معنوى اشتهرت منذ إنكار ابن مضاء القرطبي (٩٢هم) لفكرة العامل ، وردّه الأثر الإعرابي إلى المتكلم : هو الذي يرفع وينصب ويجر . (١) ومن الطبيعي أن يكثر ذلك الكلام في العصر الحديث تبعا لعوامل كثيرة . وأقرب الطرق للوصول إلى رأى علمي - مع الاختصار - هو التمييز بين الحقائق الثابتة وبين تفسيرها. وأهم الثوابت هنا هو:

(۱) أن اللغة وصلت إلينا معربة على ما نراها به فى القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلى والإسلامى .. وإلى الآن - فهذا أمر مقطوع به تماما . وقد ناقشنا التشكيك فى هذا فى صدر هذا الكتباب . ومعنى ذلك أن العلماء وجدوا المرفوع مرفوعا والمنصوب منصوبا .. النخ ووجدوا ذلك واقعا جاريا فى نطق عرب عصر الاحتجاج ، وملتزما فى ما رووه أو روى لهم من القرآن والحديث والشعر والنثر . فليسوا هم الذين رفعوا أو نصبوا أو جروا ... وكل شك أو تشكيك فى هذا فإنما مرجعه الهوى التقصير أو الغفلة .

(۲) أن الأئمة العرب وضعوا قواعد النحو (صور تركيب الجمل وإعراب أجزائها ومقدمات ذلك من أنواع الكلم وأحوالها من حيث الإعراب والبناء والتثنية .. الخ) استنباطا مبنيا على الاستقراء ، (واكتشافاً) من الظواهر المطردة في واقع التراث اللغوى الذي عاصروه أو رُوى لهم - لا (اختراعا) . واقتصر عملهم بعد كشف القواعد وصياغتها - على وضع المصطلحات أي أسماء أجزاء الكلام وعناصر القواعد (مفرد / جملة / مثني / جمع / ضمة / فتحة / كسرة / رفع / نصب / جر / جزم / مبتدأ / خبر / فاعل / مفعول ... الخ) أي أنهم (وضعوا) الأسماء فقط . والشك أو التشكيك في هذا يرجع أيضا ، إلى هوى أو غفلة .

⁽۱) ينظر الرد على النحاة تد . د/ محمد إبراهيم البنا . ص ٦٩ وما بعدها .

أما التفسير فهو أن الأتمة لحظوا وجود علامات صوتية بعينها تلحق أو اخر الكلم بصورة مطردة كلما وقعت تلك الكلم في سياقات بعينها من الجمل، ففسر وا وجود تلك العلامات بأنه أثر أو عمل لتلك السياقات. فلحظوا مثلا أنه كلما أسنِد وقوع فعل ما إلى اسم فإن ذلك الاسم تلحق آخرَه ضمة أو واو (إذا كان الأسماء الستّة أو جمع مذكر سالما) فسموا الاسم الذي أسند إليه وقوع الفعل " فاعلا " ، وسموا تلك العلامات " رفعا " ، وقالوا إن الفعل يرفع الفاعل أي أن علامة الرفع هذه هي عمل للفعل أي أثر له . كذلك لحظوا أن معنى الفعل إذا كان واقعا على اسم فإن ذلك الاسم تلحق آخر م فتحة (أو ألف إذا كان من الأسماء الخمسة ..) فسموا الاسم الذي وقع عليه الفعل "مفعولا "، وسموا تلك العلامات "النصيب" ، وقالوا أن الفعل ينصب المفعول ، أي أن علامة النصب هذه هي عمل للفعل أي أثر لـه. وهكذا فالفعل هنا وهناك عامل ، وحروف الجر والجزم والنصب عوامل ، وكان وأخواتها ، وإن وأخواتها عوامل وهكذا . فهذا تفسير هم . فمن شاء قبل ومن شاء رد ، وليبحث عن تفسير آخر . لكن رده لايقدح أبدا في سلامة أصل تفسيرهم ودلالته وهو اطراد وقوع تلك الضبوط الإعرابية كلما وقعت في السياقات المقتضية لها حسب ما مثلنا . ثم إن هناك ما بضاف أخبر ١:

ا الأئمة الذين قالوا بالعامل المؤدر كانوا دائرين في قلب النطاق الذي يأخذ به عقلاء البشر جميعا وهو نسبة التالي إلى تأثير الأول إذا اطرد وقوعهما على التوالي^(۱) ودلالة هذا النوع من اطراد توالي وقوع أمرين على

⁽۱) عبارة د/ محمد البنا " أن الكلمة إذا كانت طالبة لغيرها ، وصحب هذا الطلب تأثير في الكلمة المطلوبة (اصطلحنا) على أن تسمى هذه الكلمة الطالبة عاملة والكلمة المطلوبة معمونة لها لوجود العمل مع وجودها وزواله مع زوالها (السابق ١٧،١٥) والتعبير بالطنب إضافة قيمة معبرة عن العلاقة ومعلنة للتأثير .

ارتباطهما معترف بها علميا(١) فلم يكونوا أهل فند .

۲ – أن تفسير هم أقرب إلى العلم والعقل من تفسير ابن مضاء الـذى جعل العامل هو المتكلم – وكأن اللغة أمر فردى بحيث يرفع المتكلم الفاعل أو ينصبه كما يريد ، وغاب عنه أن تواطؤ المجتمع على اللغة بصورتها المتعارف عليها هو أهم مقوماتها(۲) ، وهو ركيزة الاطراد والالتزام الاجتماعي باللغة ومعاني تراكيبها .

" - أن هناك معنى صحيحا يؤيد تفسير الإعراب بالعوامل خلاصته أن اللغة تعبير عن المعانى (أعنى الأحداث) الواقعة . وبما أن الأحداث منها ما يقتصر على صاحبه كالقيام والقعود ، ومنها مايجوز صاحبه إلى غيره كالضرب الذى يقع على مضروب والكتابة التى تقع على مكتوب ، وبما أن الحدث يتعلق واقعيا بمحدثه ويؤثر في من وقع عليه = فلا غرابة أن يؤثر لفظ الفعل الذى هو المما الحدث في لفظى الفاعل والمفعول . من باب صوغ الكلام على سمت الأحداث التى يعبر عنها (") .

وبعد ، فهل يعنى كل ما أسلفنا عن أصالة الإعراب وجدواه أن هناك حكمة ما رواء تعيين العلامات الإعرابية المعروفة بأعيانها لتدل على أنواع المواقع

⁽۱) ينظر المستصفى للغزالى ٢/١٤ وما أحال إليه ، والتعريفات (الدوران) . وما فيهما مردد في " جون ستورت مل " د/ توفيق الطويل (نوابغ الفكر العربي٦) ص ١٤٢ – ١٤٥ . ١٤٥ .

⁽۲) أشار إلى هذه النقطة د/ تمام في العربية معناها ومبناها ١٨٥ ، د/ محمد إبراهيم البنا في دراسته التي صدر بها " الرد على النحاة " لابن مضاء ص ١٤ - ١٥ ، ١٩ .

⁽٢) ينظر الخصائص ١٥٣/٢ - الكلام عن استفعل .

الإعرابية (الرفع بعلاماته للإسناد ، والنصب بعلاماته للمفعولية وما بمعناها ، والجر بعلاماته للإضافة وما بمعناها، والرفع بعلاماته في الأفعال للتجرد، والنصب بعلاماته لمعنى الاستقبال، والجزم بعلاماته للنفى والشرط وما إليهما) والجواب أن القضية التي ندافع عنها هي تمييز مواقع المفردات في الجمل بعلامات تدل عليها – أيا كانت تلك العلامات . فهذا التمييز والدلالة عليه بعلامات كاننة ما كانت هو حقيقة الإعراب . فأما أن يكون الرفع للإسناد والنصب للمفعولية الخ (وليس العكس مثلا) = فهذا ما وضعه العرب ونحن نلتزم به لأننا ورثناه عنهم وهم أصحاب الحق في التشريع للغتهم التي طبعوا عليها . وشأننا في هذا الالتزام وفي أساسه شأن غيرنا من الأمم تماما : فكلها ورثت لغاتها وتتمسك بها . ولم تحاول أية أمة أن تستحدث تعديلا جوهريا في لغتها يمس صميمها ، لأن اللغات العامة لا تُصنطنع اصطناعا . وقد فشات محاولات اصطناع لغات عالمية (۱) .

شم إن هذا لا يمنع من التماس حكمة لاتخاذ تلك العلامات خاصة لمدلولاتها ، وهذه الحكمة التى تلتمس هى اجتهاد : من اقتنع به قبله ، ومن لم يقتنع به فهذا حقه ، وله أن يلتمس حكمة أخرى ، أو يعدّل فى الحكمة المسوقة (٢)

⁽۱) ينظر علم اللغة د/ وافى ط٧ ص٢٢ ، ١٧٨ ، وأضواء على الدراسات اللغوية د/ نايف حرما ٥٩ بشأن تلك المحاولات .

⁽٢) كأن نقول إن الرفع هو العلامة الأصلية أى الصورة الأصلية للكلمة ، ويقتصر في التماس الحكمة على علامات النصب والجر والجزم .

وللخليل بن حمد إمام اللغويين والنحاة (نحو ١٧٠ هـ) كلام عن التماس الحكم للأمور النحوية يصرح بما ذكرناه بشأنه من إمكان للتبديل والتعديل. فقد سئل عن العلل التى يعتل بها في النحو فقيل له: أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال إن العرب نطقت على سجبتها وطباعهاوعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها تعليله وإن لم ينقل-

أو يترك التماس الحكم أصلا^(۱) لكن ليس له أن يرتب على رفض حكمة العلامات رفض العلامات نفسها، لأن هذا الترتيب غير علمي^(۲). والعلامات واقع يمثل جزءا من نظام لغوى متكامل هو وعاء لحضارة الأمة وفكرها يحمل أنفاسها منذ آلاف السنين. وليس من حقه من باب أولى رفض وجود الإعراب أو جدواه، لأن وجود الإعراب وأصالته واقع أسلفنا براهينه كما أسلفنا براهين جدواه.

⁼ ذلك عنها . واعتللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه - فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن تكن هناك علة (أخرى) له فمتّلى فى ذلك متّلُ رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شئ منها قال : إنما فعل هذا لعلة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا (علل) سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك. فجائز أن يكون الحكيم البانى الدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك ، فإن سنح لغيرى علمة لما عللته (هى) أليق بالمعلول فليأت بها " الإيضاح للزجاجى ح 7 - 77 .

⁽۱) ذكر هذا الموقف أيضا في المقتصد للجرجاني ٣٢٧/١ - إذ قال بشأن اختصاص الفاعل بالرفع والمفعول بالنصب وليس العكس " وها هنا طريقة أخرى ، وهي أن يُرفَع السؤالُ من أصله ، وذلك أنهم لو كانوا قد نصبوا الفاعل ورفعوا المفعول على ما يقترحه هذا السائل - لكان لآخر أن يقول : كيف لم يبن الأمر على العكس ؟ وكل سؤال انقلب فهو باطل . فاللازم إذا اختصاص كل واحد منهما بعلامة لا تكون لصاحبه . وما عدا ذلك من القول فاقتراح وتحكم فأعرفه " أ ه .

⁽۲) نقول غير علمى لأن سحب رفض تعليل الظاهرة على الظاهرة الثابتة نفسها تعميم خاطئ لا أساس له ، ثم لأن فى الطبيعة وفى أنفسنا مالا يحصى مما لانعلم حكمته أو حقيقته ونحن نقبله ثم نجتهد فى استكشاف حكمته ، وهذا هو الموقف الصحيح ، أما رفض المطرد المحكم النافع لمجرد أننا لا نعرف وجه جريانه على هذه الصورة دون غيرها = فموقف يتنزه عنه ذوو العقول .

ومن الحكم التي سيقت في مجال وضع الحركات لدلالتها "أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة. فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون (وهو الضم وما اليه) ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون (وهو الفتح وما اليه) .

* * * * *

⁽۱) الخصائص لابن جنى ۹/۱ . وقد نسب هذا إلى الخليل نفسه ، ينظر المقتصد للجرجاني . ٣٢٦/١

	•			
				•
		•		
			*	
			•	
•				
-				

الفصل السادس

معطيات أخرى للإعراب

بعد أن فرغنا من إثبات أصالة الإعراب ودلالته على المعانى فى القرآن الكريم واللغة العربية ، يحسن أن نضيف هذا الفصل عن بعض المعطيات الأخرى للإعراب - فوق دلالته على المعانى . وقد عرفنا أن الإعراب نظام كامل من العلاقات ينتظم كل كلمة فى الجملة - اسما كانت أو فعلا أو حرفا . وأن علامات الإعراب (أو البناء) المعروفة هى أبرز دوال تلك العلاقات .

ومن أهم معطيات هذا النظام أنه يمكن - في إطار ضوابط معينة - من تحريك عناصر الجملة تقديما أو تأخيرا ، كما يمكن من الفصل بين بعض المتلازمات في هذا النظام ، بل إنه يُمكن أيضا من إضمار (حذف) بعض العناصر - وذلك اعتمادا علىأن نظام الإعراب هذا يربط كلا من تلك العناصر بموقعه في الجملة ،ويشير إليه ، بحيث يتمكن مستوعب هذا النظام من التعرف على الهيكل الأصلى للجملة ومواقع تلك العناصر مهما تحركت تلك العناصر أوغاب بعضها. ويجدر أن نذكر هنا أن تحريك بعض عناصر الجملة أو غيابها عن مواقعها الأصل فيه أنه إنما يقع لأغراض يقتضيها مقام التعبير (أي أغراض بلاغية) أو تقتضيها الصياغة اللفظية كما في الشعر - مثلا أي أن هذه الإمكانيات جزء من النظام الإعرابي العربي ، وليست إمكانات عبثية .

ونظراً إلى أن تلك الإمكانات (التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والتقدير) كل منها موضوع برأسه له ضوابطه وأحكامه، وأنه ليس هنا مجال عرضها بتفاصيلها، بل يجزئ منها في مقامنا ما يبين أو يذكر

بصورها من حيث هي إمكانات يتيحها نظام الإعراب ، فإننا سنام بكل منها المامة سريعة .

أولاً: عن التقديم والتأخير (١):

أ - في الجملة الفعلية ومكملاتها:

- الفعول على الفاعل كصنحب زيدًا عمرو ، وعلى الفعل الناصب له مثل : زيدًا صنحب عمرو والأصل صحب زيد عمراً.
- ٢ وكذا يجوز تقديم المفعول فيه (الظرف) على الفاعل نحو صام عندتك زيد ، وعندك صام زيد والأصل صام زيد عندك ، ومثل سار يوم الجمعة جعفر ، ويوم الجمعة سار جعفر والأصل سار جعفر .
 يوم الجمعة .
- ٣ ويجوز تقديم المفعول له على الفعل نحو بِراً بك زرتك ، والأصل زرتك براً بك .
- ٤ -- ويجوز تقديم المفعول معه نحو " جاء والطيالسة البرد". والأصل "
 جاء البرد والطيالسة ".
- ويجوز تقديم الحال على صاحبها وعى الفعل نحو "جاء ضاحكا زيد"،
 و "ضاحكا جاء زيد" والأصل "جاء زيد ضاحكا " .
- ت ويجوز تقديم المستثنى على المستثنى منه نحو " قام إلا زيدا القومُ " ،
 و " ما قام إلا زيدا أحدٌ " . والأصل " قام القوم إلا زيدا " و "ما قام أحد إلا زيدا " .

⁽۱) هذه الإلمامة والأمثلة مقتبسة بتصرف من خصائص لابن جنى ۳۸۲/۲ - ۳۸۵ وفيه ضوابط التقديم والتأخير .

٧ - ويجوز تقديم المعطوف بالواو على المعطوف عليه نحو "قام وعمرو " ، و " زيد " ، و " كتبت وكتابا لافتة " . والأصل " قام زيد وعمرو " ، و " كتبت لافتة وكتابا " .

ب - في الجملة الاسمية:

- ١ يجوز تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ نحو " أقائم أخوك " ، و "فى الدار صاحبك " .
- ٢ يجوز تقديم خبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها أنفسها نحو " كان غائبا أخوك " والأصل " كان أخوك غائبا ".

ج - في القرآن الكريم (١):

- ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة ١٢٤) تقديم المفعول به على الفاعل .
 - ﴿ بَلُ اللَّهَ فَاعْبُدُ ﴾ (الزمر ٦٦) تقديم المفعول به على الفعل .
- ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ (الأنعام ١٤٦) تقديم المفعول الثاني على الفعل .
- ﴿ فَأُو ْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (طبه ٦٧) تقديم المفعول لأجلبه ومتعلق الفعل على الفاعل) .
- ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُ هُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ ﴾ (القمر ٧) تقديم الحال على عاملها وصاحبها .

هذه الأمثلة مختارة – مع إضافة التوضيح – من عشرات الأمثلة التي وردت في الكتاب الذي نشر بعنوان " إعراب القرآن / المنسوب للزجاج تحد إبراهيم الإبياري 700/7 .

- ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَيَهُونَ فَي الأَرْضِ ﴾ (المائدة ٢٦) تقديم المفعول فيه على الفعل والفاعل .
- ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (الذاريات ١٧) تقديم المفعول المطلق / أو صفته / أو الظرف على الفعل) .
 - ﴿ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يعْملُونَ ﴾ (الأعراف ١٣٩) تقديم الخبر على المبتدأ.
- ﴿ وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَ لِمَنْ تَبِعَ دَيِنَكُمْ قُلْ إِنَ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ (آل عمر ان ٧٣) تديم المستثنى على المستثنى منه. على معنى: ولاتصدقوا أن يؤتى حد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم. (١)
- ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا يَ مُنقَ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء ٢٤٧) تقديم المفعول المطلق على الفعر والذعل .
- ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلمُون ﴾ (الاعراف ١٧٧) تقديم مفعول خبر كان عليها .
- ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَل هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَمَاواتِ وَالأَرْضِ بَصَـائِرَ ﴾ (الإسراء ١٠٢) تأخير الحال (بصائر) عن صاحبها وهو (هـؤلاء).
- ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ في الْكَلاَلَة ﴾ (النساء ١٧٦) تأخير المتعلق "في الكلالة " عن متعلقه " يستفتونك .

⁽۱) ينظر الدر المصون للسمين الحلبي (تحد. أحمد لخراط) 701/7.

تُاتياً - الفصل (١):

- ﴿ وَلُو لا كُلَمَةٌ سَبَقَتُ مِنْ رَبَكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمَّى ﴾ (طـ119) الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه (كلمةٌ .. وأَجَلٌ) .
- ﴿ فَبَشَرُ تَاهَا بِإِسْمَاقَ ومنْ وَرَاءِ إِسْمَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود ٧١) الفصل بين المعطوف " يعقوب " وأداة عطفه الواو .
- ﴿ رَبِّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلَمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ (البقرة ١٢٨) الفصل بين المعطوف " أُمّة " وأداة عطفه "المواو " .
- ﴿ لَكِيْ لَا يَعْلَمْ بَعْدَ عَلْمِ شَيْئًا ﴾ (النحل ٧٠) بين المفعول "شيئاً" والفعل مع فاعله بالظرف " بعد علْم " .
- ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوجَا. قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا ﴾ (الكهف ٢-٢) بين الحال "قيما " وصاحبها "الكتاب" .
- ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكِّ فَاطْرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (إبراهيم ١٠) بين الصفة "فاطر السموات" والموصوف لفظ الجلالة .
- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جنتان ... ذُوَاتَا أَفْنَانٍ ... ﴾ (الرحمن ٤٦ و ٤٨) بين صفات الجنتين " ذواتا أفنان" وما في آيتي ٥٠ و ٥٢ بآيات " فبأَيّ آلاء ربِّكما تُكذّبان " ٤٩، ٤٩ ، ٥١ .

⁽۱) وهذه الأمثلة كذلك مختارة من المرجع السابق - مع إضافة التوضيح . وهناك كذلك أمثلة أخرى كثيرة . وبعض الأمثلة تصلح للفصل والتقديم والتأخير معاً كالمثال الأخير في النقديم والتأخير . وقد جمع صاحب المرجع المذكور الأمرين في نفس الباب الذي أحلنا عليه . وينظر عن " الفصل " الخصائص لابن جني ٢٩٠/٣ - ١٤ ففيه الكثير من الأمثلة القرآنية وغير القرآنية مع بسط ما في تحليلها .

- ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ (الأحزاب٥١) بين التوكيد "كلهن" والضمير في "يرضين" وهو المؤكد.
- ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ (محمد ١٨) بين المبتدأ "ذكراهم " وخبره المقدم " أنَّى لهم " بجملة شرطية .
- ﴿ فَكَيْفَ نَتَقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيِبًا ﴾ (المزمل ١٧) بين المفعول به " يوما " والفعل " تتقون " بالجملة الشرطية .
- ﴿ وَمَاأُرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ . بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبُرِ ﴾ (النحل ٤٣-٤٤) بين المتعلق "بالبينات والزبر " ومتعلقه " أرسلنا " أو " نوحي " .
- ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَنَا أَنْسَرَلَ هَـؤُلاء إِلاَّرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَـائِرَ ﴾ (الإسراء ٢٠١) بين الحال "بصائر" وصاحبها "هؤلاء".

ثالثا: الحذف:

كما أن للتقديم والتأخير والفصل مقتضياتها وضوابطها فكذلك لإضمار (أى حذف) بعض العناصر مقتضياتها وضوابطها (۱) . ثم إن وجود عناصر الجملة يساعد ذهن مستقبل الكلام المستوعب لنظام الإعراب في العربية على لحظ التركيب الأصلى للعناصر وللعلاقات بينها . أما في حالة الحذف فينبغي أن يكون هناك ما ينبه إلى وقوع حذف وإلى المحذوف . وذلك مثل غياب بعض عناصر الجملة أو غموض تركيبها بصورتها الظاهرة ، أو الحاجة إلى توجيه علامة إعراب تحملها بعض العناصر – أي بيان وجهها وسببها ، أو إلى معرفة المعنى الدقيق وتجنب الغلط فيه – وما إلى ذلك (٢) .

⁽٢) محتويات هذه الفقرة: اجتهاد

والأهم لما نحن فيه ما يحتاج إلى توجيه إعراب واقع ، والى بيان أصل الجملة . ثم ما يشكل فهمه إلا بملاحظة وقوع الحذف .

أ - فمن الأول^(١):

- ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ (النحل ٣٠) فالمقام لا يسوع أن تكون "خيرا" منصوبة بقالوا ، ولا معنى لذلك وإنما هى نصبت بمثل الفعل المسئول عنه أى: أنـزل خيرا ، وبذا يتجه النصب ويتم بناء الجملة .
- ﴿ إِذْ دَخُلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴾ (الذاريات ٢٥) أي قالوا نُسلَمُ سلاما ، قال سلام عليكم ، أنتم قوم منكرون " فأضمر للكلمة الأولى فعلا مثل " نسلم " ، وللثانية خبراً مثل "عليكم"، وللثالثة منذأ مثل : " أنتم " .
- ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيلِينَ ﴾ (الأحزاب ٤٠) أي ولكن كان رسول الله ﷺ .
- ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَـهُ . بَلَـى قَـادِرِينَ عَلَـى أَنْ نُسَـوَّيَ بِنَانَهُ ﴾ (القيامة ٣-٤) أي بلي نجمعها قادرين ...
- ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف١٨و ٨٣) أى فشأنى صبر جميل ، أو فصبر جميل أمثل من غيره .
- ﴿ قُلْ لا تُقْسَمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾ (النور٥٣) والآية في المنافقين الذين يتخلفون عن الغزو مع رسول الله ﷺ ثم عند مساءلتهم يُقْسِمُون على أنهم يبطنون الطاعة وسيخرجون معه إن أمرهم .

⁽۱) ما في أ . ب هذا اختير مما في المغنى (محى الدين) ٢-/٦٣ - ٦٥٠ للاقتصار على ما يتصل بالجانب الذي نعالجه - مع الحرص على التوضيح .

وعبارة "طاعة معروفة "تصح خبرا لمبتدأ محذوف "أى المطلوب طاعة واضحة صحيحة لا دخل فيها. أو هى مبتدأ خبره محذوف أى "أمثل بكم "وفيها وجوة أخرى(١).

- ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فَيهَا بِالْغُدُو وَالْآصَالِ . رِجَالٌ .. ﴾ (النسور ٣٦ ٣٧) حسب قراءة يسبح بالبناء للمجهول فرجال ترفع فاعلا لفعل مبنى للمعلوم تقديره يُسبَح .
- ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثُةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَةٌ وَاحِدٌ ﴾ (النساء ١٧١) الآية موجهة إلى الذين يتخذون المسيح وأمه إلاهين مع الله . أى يكن الانتهاء خيرا لكم .
- ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ منازِلَ حَتَى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (يس٣٩):

 "القمر" منصوب بفعل محذوف (تقديره "وسخرنا" أو نحوه) والذى قبله

 ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ .. والشَّمُسْ.. ﴾ بالرفع فليس القمر بالنصب معطوفا على المرفوع.
- ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلِيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرِأَتَانِ ﴾ (البقرة ٢٨٢) الآية عن الشهادة . أي فالشاهد رجل وامرأتان .
- ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخُوانُكُمْ ﴾ (البقرة ٢٢٠) الضمير الواقع مفعولا "هم" مرجعه العبيد، فقدر مثله مبتدأ أي فهم إخوانكم.
- ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكتابِ حلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصِنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصِنَاتُ مِنْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة ٥) أي حل لكم كذلك .

⁽۱) ينظر المحرر الوجيز ۱۰/٥٣٦ - ٥٣٧ والمغنى محيى الدين ٢١٩/٢ .

- ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ﴾ (البقرة ١٩٦) الآية عن حالة المحرم بحج أو عمرة . والمراد (... أو به أذى من رأسه، فحلق شَعر رأسه فعليه فدية ..).

ب - ومما لا يفهم على وجه إلا بملاحظة الحذف ولو لم يحتج إلى توجيه إعراب واقع:

- ويقولون: "أنت منى فرسخان". أى بعدك عنى فرخسان ، لأن المخاطب نفسه ليس مسافة تقاس.
- ﴿ وَاسْأَلُ الْقَرِيْهَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ (يوسف ٨٢) أى أهل القرية لأن القرية التي هي الأبنية لا تُسأل.
- ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَالْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف ٧٩) أى كل سفينة صالحة بدليل أنهم خرقوا سفينتهم لتصبح غير صالحة حتى لايأخذها .
- ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ (سبأ ١٠-١١) والضمير في له عائد على داود / أي اعمل دروعا سابغات) فهي اللبوس الذي يصنع من الحديد .
- ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبِلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَنِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً .. ﴾ (الحديد ١٠) أى لا يستوى هو ومن أنفق من بعده، لأن فعل الاستواء إنما يكون بين شيئين والذى ذكر شئ واحد، فقدر الثانى، وبقية الآية فيها مصداق هذا التقدير .

- قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عند حدك راض والرأى مختلف

أى نحن راضون بما عندنا - كما أنك راض بما عندك .

لقد اقتصرنا في بيان معطيات الإعراب في بناء الجملة العربية من حيث تمكينه من تحريك عناصرها والتصرف فيها بالتقديم والتأخير والفصل والإضمار (الحذف) اقتصرنا في بيان ذلك على ما يُثبت هذه المعطيات ويحفظ وضوح الصورة ويحول دون الغرق في التفاصيل النحوية . ولعله بهذا يتبين وثاقة الزمام الذي يقود به نظام الإعراب سبل صياغة العبارة العربية ، ومدى تغلغل مقررات وضوابطه في كل تصرفات الصياغة .

وبهذا - وبكل ماسبق يتبين أن محاولة تصديع نظام الإعراب في اللغة العربية هي محاولة لتصديع بناء العربية نفسه . لكن يبقى أنه من واجب الغير أن يدرسوا ويمحصوا ثم يقترحوا ما يخلص النحو العربي من التعقيدات الجدلية التي تجر إليها (الصنعة) ؛ تيسيرا على دارس هذه اللغة الشريفة وحفاظا عليها في نفس الوقت .

الباب الخامس

الحق والرجال

هذا باب ختامى عقدناه لبيان أن ما أقيم عليه هذا الكتاب هو الحقائق العلمية الواقعية ، وأن موقفنا لم يكن عماده نصرة رجال أو أقوال ، فجعلنا هذا الباب أخيراً لنردف به الحقائق العلمية التي قدمناها عليه حتى يتبين القارئ أن ما أخذنا به هو الحق الذي أثبتته الدراسة العلمية وأن أئمة هذا التخصص قد قرروا بالإجمال – منذ عشرة قرون وأكثر – ما قررته هذه الدراسة بالتفصيل وبذا يجتمع للقارئ رافدا الإقناع واليقين .

فعقدنا فصلاً أول لمقولات الأئمة في دلالة الإعراب على المعانى، وفصلاً آخر عرفنا فيه بقطرب وهو الوحيد الذي انفرد بين القدماء بجحد دلالة الإعراب على المعانى ثم عقدنا فصلاً ثالثاً لتفنيد الشبه التي ساقته إلى رأيه أو توضيحها .



الفصل الأول

النحاة المتقدمون ودلالة الإعراب على المعنى

إن مسألة علاقة علامات الإعراب بالمعانى لم تخف على الأئمة، بل تتبهوا لها ، وتعرض كثيرون منهم لبيانها . ونورد هنا ما قالمه أو قيل عن عدد منهم فيها ، وذلك مقابلة لقول قطرب .

أ - الفراء (يحيى بن زياد ٢٠٧ هـ) .

قال عنه ثعلب: " ... وإنما صح قول الفراء لأنه عمل النحو والعربية على كلام العرب فقال: كل مسألة وافق إعرابها معناها، ومعناها إعرابها فهو الصحيح " .

" ولم يوجد في كلام العرب وأشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مطابق للإعراب ، والإعراب مطابق للمعنى (١) ".

⁽۱) النص كاملا كما جاء في إنباه الرواة ٨/٤ - ٩ ف ١ " قال ثعلب " العرب تخرج الإعراب على الألفاظ دون المعاني - ولا يفسد الإعراب المعاني . وإذا كان الإعراب يفسد المعنى فليس من كلام العرب " .

ف ٢ " وإنما صبح قول الفراء لأنه عمل النحو والعربية على كلام العرب فقال : كل مسألة وافق إعرابها معناها ومعناها إعرابها فهو الصحيح "

ف " وإنما لحق سيبويه الغلط ، لأنه حمل كلام العرب على المعانى دون الألفاظ " ف ٤ : مام روحد في كلام العرب وأشعار الفحول الا ما المعنى فيه مطابق للإعراب

ف٤ : ولم يوجد في كلام العرب وأشعار الفحول إلا ما المُعنى فيـه مطابق للإعراب، والإعراب مطابق للمعنى "

فُه "قال (تعلب): وما نقله هشام عن الكسائى فلا مطعن فيه . وما قاسه فقد لحقه فيه المغمز ؛ لأنه سلك بعض سبيل سيبويه . فعمل العربية على المعانى وترك الألفاظ والفراء حمل العربية على الألفاظ والمعانى فبرع واستحق التقدمة وذلك قولك " مات زيد" فلو عاملت المعنى لوجب أن تقول " مات زيدا " لأن الله تعالى الذى أماته . ولكنك عاملت اللفظ فأردت " سكنت حركات زيد " أ. ه . وفي الفقرة الأولى مالا يتفق مع =

ب - ابن قتيبة (٢٧٦هـ):

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: "ولها (أى العرب) الإعراب الذى جعله الله وَشَيْا لكلامها ، وحلِية لنظامها ، وفارقا فى بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنبين المختلفين كالفاعل والمفعول ، لا يُفْرِق يبنهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب .

ولو أن قائلا قال : هذا قاتل أخى - بالتنوين ، وقال آخر " هذا قاتل أخى - بالإضافة - لدل التنوين على أنه قد قتله" (حذف التنوين يعنى الإضافة ووقوع الحدث فى الماضى ، وبقاؤه يعنى أن اسم الفاعل ناصب لمفعوله، وأن الحدث مستقبل) .

" ولو أن قارئا قرأ (فلا يَحْزُنْك قولُهم . إنا نعلمُ مايُسِرُون ومايعلنون) وترك طريق الابتداء بإنا ، وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب أن بالقول كما ينصبها بالظن (أى قرأ (فَلاَ يَحْرُنك قولُهم أَنَّا نَعْلَمُ مايسرون) لقلب

⁼ الفقرة الأخيرة والصواب أن " دون " في كلام ثعلب ف ا محرفة عن " و " أي .. الألفاظ والمعاني .

والمقصود بالمعنى فى كلام ثعلب هو المعنى التركيبى: تعيين الفعل وفاعله ومفعوله، ولم بقيام الفعل بالفاعل كمات زيد ومرض وحزن ويشمل صدوره منه مثل ذهب زيد، واقتضاءه مفعول مثل أكل الطعام.

أما المعنى الحقيقى ويتمثّل فى المحدث الحقيقى للحدث . وهذا لا يراعى فى الإعراب ولو روعى لأوقع كل ناطق فى مشكلة القدر والمسئولية وما إلى ذلك .

ومراعاة اللفظ تكون بأن الفعل المبنى للمعلوم مثلا يكون له فاعل قياما بـ أو وقوعا منه وحده أو على غيره ، وهذا يلتقى مع المعنى التركيبي . ونفى ثعلب في ف ا منصب على المعنى الحقيق .

أما اتهامه لسيبويه فقد تتبعت مظان الاتهام فى الكتاب فوجدت سيبويه يلتزم دائما بالمعنى التركيبى الذى هو وجه للصنعة اللفظية التى يشير اليها ثعلب ولم أجد ما ينقض هذا أويتبت اتهام تعلب .

المعنى عن جهته ، وأزاله عن طريقه ، وجعل النبى الله محزونا لقولهم إن الله يعلم ما يُسِرُون ومايعلنون " وهذا كفر ممن تعمده ، وضرب من الله لا تجوز الصلاة به ، ولايجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه " .

" وقد قال رسول الله على " لا يُقْتَل قرشى صبرا " فمن رواه جزما (أى بجزم الفعل) أوجب ظاهر الكلام للقرشى ألا يُقْتَل إن ارتد، ولا يُقْتَص منه إن قَتَل. (أى لأن الكلام يكون حينئذ نهيا من النبى على عن قتل القرشى صبرا مطلقا) ، ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل " أ. هد(۱)

ج - الزجاجي (٣٣٧ هـ):

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في جواب سؤال " ماالذي دعا إلى الإعراب واحتيج إليه من أجله ؟ " الجواب أن يقال " إن الأسماء لما كانت تعتورُها المعانى ، فتكونُ فاعلة (مرة) ومفعولة (أخرى) ، ومضافة (مرة) ومضافا إليها (أخرى) ، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعانى ، بل كانت مشتركة = جُلِت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعانى . فقالوا : ضرب زيد عمرا " ، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له ، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به ، وقالوا " ضرب زيد على أن الفعل الم يُسمَ فاعله ، وأن المفعول قد ناب منابه . وقالوا " هذا غلام زيد " فدلوا يخفض زيد على إضافة الغلام إليه . وكذلك سائر المعانى : جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ؛ ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات داللة على المعانى . هذا قول جميع النحوين إلا قطربا(٢) .

⁽١) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤ ، وما بين الأقواس إضافة للتوضيح .

⁽٢) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٦٩ - ٧٠ .

وقال عن فائدة علم النحو الذى وظيفته دراسة الإعراب وما إليه: "الفائدة فيه الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير ، وتَفَهُّمُ كتاب الله عز وجل الذى هو أصل الدين والدينا والمعتمد ، ومعرفة أخبار النبي على وكلامه ، وإقامة معانيها على الحقيقة "(۱) .

د - أبو سعيد السيرافي: (٣٦٨ هـ):

وقال أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي في شرحه لقول سيبويه إن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين " وإن كان أراد باللفظ الحركة فهو قولُك ما أحْسَنَ زيدًا – إذا أردت التعجب ، وما أحْسَنَ زيدٌ – إذا أردت أنه لم يحسن ، وما أحسن أعينه أم أنفه أم يحسن ، وما أحسن أعينه أم أنفه أم وجهه أم خدٌه . وكذلك ضرب زيد عمرا – اختلفت حركة زيد وحركة عمرو لاختلاف المعنبين ، إذ كان أحدهما فاعلا والآخر مفعولا "(١) ثم قال عن إتاحة الإعراب الفرصة للتقديم والتأخير " وذلك أنا قد بينا أن العرب لحاجتها إلى اتفاق القوافي في شعرها ، وانتظام السجع في خطبها وكلامها جعلوا الإعراب دالا على معانيها باختلاف الحركات فقدموا وأخروا للتوسع في الكلام"(٦) ونحن نلاحظ تنويه الزجاجي والسيرافي بما يتيحه الإعراب من تحريك عناصر العبارة لأغراض لفظية أو بلاغية . وذلك بالإضافة إلى الغرض الأساسي من الإعراب،

⁽۱) الإيضاح ٩٥ ، وفى ص ٩١ منه " ... ثم إن النحويين لما رأوا فى أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعانى وتُبين عنها سمّو ها إعرابا أى بيانا ، وكأن البيان بها يكون " ... و " الإعراب الحركات المُبينة عن معانى اللغة ، وليس كل حركة إعرابا ، كما أنه ليس كل الكلام معربا " .

⁽۲) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ۲۹/۲.

^(۳) نفسه ۷٤/۲ .

هـ - ابن جنی (۲۹۳هـ):

وقال أبو الفتح عثمان بن جنى :

" الإعراب هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ . ألا ترى أنك إذا سمعت "أكرم سعيدٌ أباه وشكر سعيدًا أبوه " علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول . ولو كان الكلام شرحًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فإن قلت: فقد تقول "ضرب يحيى بشرى " فلا تجد هناك إعرابا فاصلا ، وكذلك نحوه. قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله .. أُلزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب. فإن كان هناك دلالة من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم ، والتأخير نحو " أكل يحيى كمثرى " ، لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت. وكذلك ضربت هذا هذه ، وكلم هذه هذا (يعنى أن تذكير الفعل أو تأنيثه يشير إلى الفاعل المناسب له) .

وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك " أكرم اليحبيان البشريين ، وضرب البشريين اليحيون " .

وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس فقلت : كلم هذا هذا فلم يجبه لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت ، لأن في الحال بيانا لما تعنى .

وكذلك قولك " ولدت هذه " - من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكرة .

وكذلك إن ألحقت الكلام ضربا من الإتباع جاز لك التصرف لِمَا تُعْقِبُ من البيان ، نحو " ضرب يحيى نفسه بشرى " ، " أو كلم بشرى العاقل مُعْلَى " ، أو "كلم هذا وزيدًا يحيى (١) ".

⁽۱) ينظر الخصائص ۲۵/۱ .

وفى كلام ابن جنى هذا كثير مما يبين قيمة الإعراب ، ثم ما يكلف عياب الإعراب من التزام النمطية ، أو الاتكاء على قرائن لفظية أو حالية تبين المعنى التركيبي المراد ، وأن غياب النمطية والقرائن يوقع في الإبهام .

وقال ابن جنى عن النحو: "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره - كالتثنية والجمع ، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب ، وغير ذلك ، ليلْحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها ".(١)

و - ابن فارس (٥٩٥هـ):

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى من العلوم الجليلة التى المتصت بها العرب الإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذى هو أصل الكلام . ولولاه ما مُيِّزَ فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد. وذكر بعض أصحابنا أن الإعراب يختص بالأخبار ، وقد يكون الإعراب فى غير الخبر أيضا ، لأنا نقول : " أزيدٌ عندك ؟" و " أزيدًا ضربت ؟". فقد عمل الإعراب وليس هو من باب الخبر " .

وقال أيضا " فأما الإعراب فبه تميّز المعانى ، ويوقَف على أغراض المتكلمين : " وذلك أن قائلا لو قال ما أحسن زيد - غير معرب، أو ضرب عمرو زيد - غير معرب ، لم يوقَف على مراده . فإذا قال : " ما أحسن زيدا ، أو ما أحسن زيد " أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده (٢) " (يعنى

⁽۱) الخصائص ۲٤/۱ وهو يفسر تسمية هذا العلم نحوا بانتحاء سمت كلام العرب وقد أخذنا بغير هذا انظر أول الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا .

⁽۲) ينظر الصاحبي لابن فارس (تد . السيد صقر) ۲۲ ثم ۳۰۹ .

أن الجملة الأولى تعجب ، والثانية استفهام ، والثالثة نفى أو استفهام) .

ثم يذكر مزيدا من الأمثلة: "ثم يقولون: " هذا غلامًا أحسن منه رجلا يريدون الحال في شخص واحد. و " هذا غلامٌ أحسن منه رجل " فهما إذًا شخصان.

" وتقول : كم رجلاً رأيت ؟ في الاستخبار ، وكم رجل رأيت في الخبر - يراد به التكثير" (كم الاستفهامية تمييزها منصوب ، والخبرية تمييزها مجرور).

" وهن حواجً بيت الله . إذ كُن قد حججن ، حواجٌ بيت الله . إذا أردن الحج " . (لأن إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله تعنى أنه للزمن الماضى أو ما بمعناه (فيكون الحج قد وقع) ، ونصبه مفعوله يدل على أنه للحال أو الاستقبال أو الاستمرار التجددي فيكون الحج سيقع في المستقبل) .

" ومن ذلك : جاء الشتاء والحطب " لم يرد أن الحطب جاء إنما أراد الحاجة إليه ، فإن أراد مجيئهما قال " والحطب "(١) (الأول منصوب على أنه مفعول معه ، فإذا رفع كان معطوفاً) .

وذكر في موضع آخر "وجهك وجُه حرِّ (بالإضافة) ، "وجهك وجه حر " " وجهك وجه حر " " (على النعت)(٢) .

و – وهناك المزيد من شهادات الأئمة المتقدمين على جدوى الإعراب ، ودلالته على المعانى ${}^{(7)}$.

⁽۱) نفسه ۳۱۰ .

⁽٢) نفسه ٥٥ ، وهناك كلام عن الإعراب في ص ٧٦ منه أيضا .

⁽۲) ينظر الأصول في النحو لمحمد بن السرى بن سهل المعروف بابن السراج (۲۱٦هـ) (تد. د. عبد الحسين الفتلي) ا/٤٤ حيث قال " ... فسمُوا هذا الصنف الثاني من التغيير الذي يلحق الاسم والفعل بعد تسليم حروفهما ونضد بنائهما (يعني أنه يلحق أواخسر-

والخلاصة أن ما رعمه قطرب من نفى العلاقة بين علامات الإعراب والمعانى – لم يظاهره عليه أحد ، (تأمل قول الرجاجى بعد ما عرض بيانه فى إثبات دلالة الحركات على المعانى " هذا قول جميت النحويين إلا قطربا " بل أثبتوا العلاقة بين تلك العلامات والمعانى إثباتا مؤكدا – مبينين وجه ضرورة وجودها ، وضاربين الأمثلة المؤكدة لتميز المعانى بوجود العلامات ، والتباس المعانى بغيابها . ونوه كثيرون منهم بإتاحة الإعراب لفرصة تحريك عناصر الجملة بالتقديم والتأخير دون أن يختل المعنى ، لأن الإعراب يحرسه، ونوه بعضهم بوظيفة علم النحو – الذى يقرر قواعد الإعراب – "أن يلحق من ليس من أهل العربية بأهلها " فى الفصاحة نطقا وفهما .

وجه كلمة الخليل:

استشهد د. إبراهيم أنيس لكون حركات (الإعراب) ليست لإفادة المعانى ، قول سيبويه: " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به " ونحن نقول: نعم جاء هذا في كتاب سيبويه ، لكنه فهم على غير وجهه غلطا أو مغالطة . فالذي يريده الخليل أن مكونات "

[&]quot;الأسماء والأفعال) ، ويقع لفروق ومعان تحدث ... إعراباً ، وبدءوا بذكره في كتبهم لأن حاجة الناس إليه أكثر "أ. هـ بتصرف ، وانظره في ١/٣٥ حيث قال "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب ، حتى يقف منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة. فباستقراء كلام العرب ما عُلِمَ أن الفاعل رفع ، والمفعول به نصب. واعتلالات النحويين على ضربين : ضرب منها هو المؤدى إلى كلام العرب كقولنا كل فاعل مرفوع ... "

وينظر التبصرة والتذكرة للصيمرى (ق٤هـ) ٧٦/١ حيث قال: " وأصل الإعراب للأسماء دون الأفعال. وإنما كان ذلك كذلك، لأن الأسماء تكون على صيغة واحدة ، وتختلف عليها المعانى ، فلابد من أن يفرق بينهما نحو قولك : " ما أحسن زيدا فى التعجب ، وما أحسن زيد فى النفى، وما أحسن زيد على الاستفهام ألا ترى أن الإعراب فرق بين هذه المعانى، ولولا هو لم تتميز " وينظر شرح الرضى الكافية ١٨/١، ١٩، ٢٠ .

البناء " (كلمة البناء يقصد بها البنية أي " التركيب ") هي الحروف الساكنة مجردة عن الحركات . فبناء (كتب) مكون من الكاف والباء والياء - ساكنات. أما الحركات (الفتحات في حال البناء للمعلوم ، وضمه الكاف وكسرة التاء وفتحة الباء في حالة البناء للمفعول ، وكذلك الضمتان في حال النظر إلى الكلمة على أنها جمع كتاب) فهن زوائد لسن من صلب هذا البناء . وإنما هن يدخلن في كل بناء ويعترينه ليمكن النطق به – بمعنى أننا لا نستطيع أن ننطق الحروف الثلاثــة سواكن متتابعات مرة واحدة (كتّب) ، ولذلك يؤتى بتلك الحركات ليفصل بها بين تلك السواكن ليمكن النطق(١) وهذا التحليل الذي ذكرته صحيح وهو ليس تأويلا ، ولكنه صريح في كلام سيبويه تكشفه جملة حذفها من احتج بالعبارة ليكمل له الاحتجاج - وهو تصرف غير علمي . والعبارة كاملة هكذا : ؛ " وزعم الخليل " أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد . وهن يلحقن الحرف (يعنى الكلمة) ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه " فالجملة الأخيرة التي أغفلت توضح المراد بصدر العبارة تماما . وبهذا يتبين أن كلام الخليل صحيح ، ولكن لا علاقة له بالإعراب . لأنه يتكلم عن حركات البنية الداخلية للكلمة ، وليس عن حركات آخر ها التي هي حركات إعراب.

⁽۱) هناك وظيفة أخرى للحركات هي إعطاء الصيغة هيئتها: فعلا ماضيا للمعلوم – إذا كانت الحركات فتحات ، أو للمجهول إذا كن ضمة فكسرة ففتحة أو جمع كتاب إذا كن ضمة ثم ضمة و هكذا .



الفصل الثاني

قطرب صاحب الدعوى الأول

نظراً إلى اتكاء د. إبراهيم أنيس على رأى قطرب (تلميذ سيبويه) الذى نفى فيه دلالة الإعراب على المعانى - وقد أسلفنا نص كلام قطرب في هذه المسألة (١) - فإننى سأعرض بإيجاز ما قال المترجمون لقطرب عنه .

ترجمة قطرب:

جاء عنه في معجم الأدباء "محمد بن المستنير بن أحمد أبو على المعروف بقطرب ، البصرى النحوى اللغوى ، سمى قطربا لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيبويه سَحَراً رآه على بابه فقال له يوماً : ما أنت الا قُطْربُ ليل ، والقطرب : دويبة تدب ولا تفتر (٢) فلقب بذلك ، وهو أحد أئمة النحو واللغة ، أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن عيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة ، وأخذ عن النظام المتكلم إمام المعتزلة وكان على مذهبه ، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه، لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع ، واتصل قطرب بأبي دلف العجلي وأدب ولده ، وأخذ عنه ابن السكيت وقال : كتبت عنه قمطراً ثم تبيئت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً . توفي أبو على ببغداد سنة ست ومانتين . وله من التصانيف : كتاب معاني القرآن، وغريب الحديث ، وإعراب القرآن، والمثلث في

⁽١) ينظر نص ما قاله في القسم الأول من هذا الكتاب ، ص ١٠ - ١١ .

^(۲) أي لا تمل .

اللغة ، وكتاب الرد على الملحدين في متشابة القرآن ، ومتشابه القرآن، وكتاب الفرق، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الأضداد ، وكتاب فعل وأفعل ، وكتاب الأصوات ، وكتاب الأزمنة ، وكتاب القوافي ، وكتاب خَلْق الإنسان ، وكتاب خَلْق الإنسان ، وكتاب خَلْق الفرس ، وكتاب الهمزة ، وكتاب العلل في النحو ، ومجاز القرآن ، والمصنف الغريب في اللغة وغير ذلك . ومن شعره:

إن كنت لست معى فالذكر منك معى والعين تُبْصِر مَن تهوى وتَفْقِده والعين تُبْصِر مَن تهوى وتَفْقِده

يراك قلبى إذا ما غبت عن بصرى وناظر القلب لا يخلو من النظر

بمنزلــة مـا بعدهـا متحــول وراض بعيـش غيـره سـيبدل ومصطْلَم(١) من دون ما كان يأمل"

لقد غرّت الدنيا رجالا فأصبحوا فساخط عيش ما يبدّل غيسره وبالغ أمسر كان يأمسلُ غيسرَه

ويهمنا هنا مما ذكر في الترجمة السابقة ما اختصره السيوطي إذ قال عنه ".. أخذ عن عيسى بن عمر ، وكان يرى رأى المعتزلة النظامية ، فأخذ عن النظام مذهبه ، واتصل بأبي دُلف العجلي وأدب ولده . ولم يكن ثقة . قال ابن السكيت (٢٤٤هـ): كتبت عنه قمطرا ، ثم تبينت أنه كان يكذب في اللغة ، فلم أذكر عنه شيئا(٢) . وقال عنه الأزهري (٢٧٠هـ) صاحب معجم تهذيب اللغة "قطرب ليس من الثقات "(٣) .

⁽۱) أى مبعد مقطوع.

^(۲) بغية الوعاة ١/٢٤٢ – ٢٤٣ .

[.] $^{(7)}$ تهذیب الغة (حلز) ٤ / $^{(7)}$.

وأخيراً يهمنا مما ذكر في بعض كتب التراجم الأخرى أنا أبا القاسم المهلبي تلميذ قطرب - جعل لقطرب جُعْلاً على أن يقدّمه على نفسه ويقر له بالعلم ، ويقول في ذلك شعراً . فأجابه إلى ذلك قطرب وقال شعراً أوله :

ذا ما أقسر بيه قطرب على نفسه لأبي القاسم

سِ وصيرتُ في يده خاتمي وصار أبو قاسم عالمِي(١) بأن قال قد بذنى فى القيا فصرت على السن تلميذه

وللإنصاف نقول إن كل ما قاله أبو الطيب عن قطرب هو "وأخذ عن يونس بن حبيب ممن اختص به دون غيره محمد بن المستنير قطرب ، وكان حافظاً للغة ، كثير النوادر والغريب"(١) ولم يذكر عنه السيرافي إلا تعليل لقبه(١) . ولم يذكر عنه الزبيدي إلا اسمه، وثلاثة عبارات (مما رواه عن العرب) في إحداها قلب – أتى قطرب بنظيرين له من القرآن الكريم ، وقصته مع تلميذه(١) . كما لم يذكر عنه أبو المحاسن إلا تعليل لقبه ، وأن له كتاباً في القرآن "حسنا كثير الفوائد " ، وأنه عمل كتاباً في النحو يلقب " بالجماهير " وصفه أبوالمحاسن بأنه " ليس بالطائل " ، وقصته مع تلميذه(٥) . لكن ابن النديم ذكر – بجانب اسمه، وتعليل لقبه ؛ وتأديبه لولد أبي دلف ، وأسماء كتبه – أنه " أخذ عن سيبويه ،

⁽۱) ذكر هذا الزبيدى في طبقات النحويين واللغويين ١٠٠ ، وأبو المحاسن في تاريخ العلماء النحويين ٨٤ ، والقفطى في إنباه الرواة ٣١٩/٣ – ٢٢٠ .

⁽۲) مر اتب النحويين ۲۷ .

^{(&}quot;) أخبار النحويين البصريين ٦٥.

^(۱) طبقات النحويين ۹۹ – ۱۰۰ .

^(°) تاريخ العلماء النحويين ٨٣-٨٤.

وعن جماعة من علماء البصربين ، ثقة فى ما يحكيه (1) . والقفطى ذكر لقبه ، وأنه نزل بغداد، وأن محمد بن الجهم روى عنه ، وقصته مع تلميذه ، وأنه كان "موثقا فى ما يمليه (1) . وذكر وفاته (1.7 - 1).

أى أن ابن السكيت والأزهري وياقوتا والسيوطي ذكروا - عدم توثيقه ، في حين ذكر توثيقه ابن النديم والقفطي، وربما يعد قول أبي الطيب فيه "كان حافظًا للغة " توثيقًا، ولو اقتصر الأمر على الحكم بالثُّقـة أوغيرها مجردا لسهل الأمر وقرب ، وقلنا إن هناك تكافؤا. لكن الخطير الذي لا يمكن تجاهله. هو قول ابن السكيت: " إنه (كان قد) كتب عنه قِمطرا ، ثم تبين له أن قطربا كان يكذب في اللغة ، فلم يذكر عنه شيئا " هذه ترجح كِفَّةَ عدم الثَّقة في أمانة قطرب بدرجة حاسمة ؛ لأن العالِمَ لا يضحِّي بجهد بذله في جمع حصيلة علمية هي قوام حياته في مقابل أوهام أو ظنون أو شكوك ، ثم إن الخبر يقول " تبين له " أي أنه ثبت له بيقين أن قطربا "كان يكذب في اللغة " . يضاف إلى هذا أن الأصل في وسط هؤلاء العلماء اللغويين الذين ينقلون عن العرب مفردات أو عبارات لغوية -لاشعر مدح أو قدح يُكْسِبُ وجها عند الناس - هو الأمانة ، فذِكْرُ خلاف الأصل، ومِنْ رَجُل مدقق كابن السكيت ، وإزاءَ رجل من طبقة أعلى منه ، ودون وجود عنصر المنافسة .. لا يكون الاتهام بالكذب مع كل ذلك إلا بوجود شواهد متيقنة . كذلك فإن انصياع قطرب لعرض تلمية الآخر أن يقر له بالتفوق عليه مقابل جُعّل (مال) أمر له دلالته في مدى تماسكه واعتزازه بقيمة علمه . وأخيرا فان اعتزاله ، وتنزيله معانى القرآن الكريم على مذهب المعتزلة، وإصراره على

⁽۱) الفهرست (تد . د. ناهد عباس عثمان) ۱۰۲ .

^(۲) إنباه الرواة جـ ۲۱۹/۳ – ۲۲۰ .

⁽٢) ذكر وفاته ابن النديم ، وياقوت ، والقفطئ ، والسيوطى ينظر الفهرست ومعجم الأدباء وإنباه الرواة وبغية الوعاة في المواضع المحددة قبلا .

مراغمة جمهور المسلمين بذلك ، واستعانته بالسلطة على هذه المراغمة له دلالته على استمانته في إظهار رأيه أو مذهبه، وفي نصرة هواه، مما ييسر تصور أنه قد يكذب ويدعى ليصل إلى مايريد. ولست حريصا على الطعن فيه ، ولكنى أبين بعض أبعاد الأقوال ودلالتها وفاء بحق البحث. وأهم هذه الدلالات عندى أن فساد الطوية في مجال علمي وثيق الصلة بالدين.. يحجب القلب عن الآراء الصحيحة، ويزين الأراء الباطلة . كما قال تعالى ﴿ كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يكسبُونَ ﴾ . جاء في الإتقان للسيوطي . "قال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره : القول في أداب المفسر : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أوًلا ، ولزوم سنة الدين : فإن من كان مغموصا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا ، وكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ، ولأنه إن كان متهما بالإلحاد فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ، ولأنه إن كان متهما بالإلحاد يبغى الفتنة ويغري الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة ، وإن كان متهما بالإلحاد متهم بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية . فأن متهم من اتباع السلف ولزوم طريق الهدى ...

ثم قال " ومن شروطه صحة المقصد في ما يقول ليَلقَى التسديد فقد قال الله تعالى: ﴿ وَالْذِينَ جَاهَدُوا فَينَا لَنهُدِينَهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ، وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به (أي بالتفسير) إلى غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله". (٢) وقد تبين مما عرضناه من سيرة قطرب أنه لم يتوفر له كمال صحة المعتقد ولا الزهد ولا التخلص من الهوى .

⁽۱) ني الأفساد بينهم وفتتهم .

⁽٢) ﴿ تَقَلَ (نصامحمد أبي الفضل) : ٢٠١ - ٢٠٠ .

	•		

الفصل الثالث.

تفسير شبه قطرب

بقى ما جاء به قطرب من أمثلة تطبيقية للاحتجاج لزعمه عدم دلالة الإعراب على المعانى ، وهو ما يبدو من عدم اتساق الحركات الإعراب تطبق على ألفاظ بعض الأساليب مع مواقع تلك الألفاظ.

وهذا الاحتجاج مبنى على خطأ مركب فى فهم مسألة الإعراب. فالحروف (كان وأخواتها) إنما تعمل نيابة عن أفعال ، والفعل لا يعمل بسبب عين معناه اللغوى ، وإنما بسبب كون هذا المعنى يتحقق فى الواقع دون مفعول كقام زيد ، أولا يتحقق معناه إلا بوجود مفعول مثل قطف فلان الزهرة ، ولقط العصفور الحد ... إلخ . فمعنى القطف واللقط لا يتصور إلا بوقوع الفعل على الزهرة أو الحب مثلا – وقد ذكرنا هذا من قبل مفصلا ، ومن هنا نصب المفعول الذى وقع عليه الفعل. ويستوى فى هذا غرس على الشجرة وقطع على الشجرة . فالشجرة مفعول منصوب فى الجملتين وهى فى الأولى قد غرست ، وفى الثانية قطعت – لكن ليس هذا هو سبب النصب ، وإنما سببه أن طبيعة الفعل فى كل منهما لا تتصور ولا تتم إلا بوجود مفعول يقع عليه الفعل . ووقوع الفعل على المفعول هو الذى ينصبه .

فاعتراض قطرب ومن بعده د. أنيس مبنى على توهم أنه يجب أن تتماثل الأفعال في أعيان معانيها ليكون تماثلها في عملها مقبولا ، وأنه يجب أن يكون لكل معنى لغوى إعراب خاص به . وهذا توهم يجاوز نطاق الوعى العقلى . فهذا رد لكل المجموعة الأولى التي أوردها قطرب وهي ما اتفق إعرابه واختلف

معناه " إن زيدا أخوك ، ولعل زيدا أخوك وكان زيدا أخوك " تاويلهن " أحقق " و" أرجى " و " أشبه " ... وهكذا وهذا التأويل أعنى القول بأن إن وأخواتها تعمل لأنها " بمنزلة الأفعال " قال به نصاً سيبويه "(١) أستاذ قطرب قبل أن يورد قطرب اعتراضه . ولو فقه قطرب كلام أستاذه ما اعترض . ثم إن الأئمة بعد سيبويه أكدو كلامه أيضا .

وأما المجموعة الثانية وهي ما اختلف إعرابه واتفق معناه وقد ذكرها د. إبراهيم أنيس في صورة قبول ألفاظ بعض الأساليب لأكثر من ضبط دون اختلاف المعنى ، فهذا مبنى على تقدير العرب ، وله قياسه . ففي مثل ما زيد قائم وما زيد قائما . " ما " الأولى تميمية لم تعمل لأنها حرف عام يدخل على الأسماء والأفعال ، والثانية حجازية أعملوها تشبيها بليس . وكذلك سائر ما في هذه المجموعة : منذ يومين ومنذ يومان ، ما في الدار أحد إلا زيد ، إلا زيدا . هو اختلاف لهجات له قياسه . وأما لا مال عندك ولا مال عندك . فقد جاء اتفاق المعنى من كون المال اسم جنس عاما فلما وقع عليه نفي الوحدة التقي مع معنى نفي الجنس ، وذلك بالإضافة إلى ضعف السند اللهجي للا التي لنفي الوحدة ") . وأما في مثل " إن القوم كلهم ذاهبون " ، "وكلهم ذاهبون " فاختلاف تقدير ونظر .

⁽۱) في الكتاب (تد. هارون) ۱۲۱/۱۲، ۱٤۰، ۱٤۸، والمقتصد ۲۱۱/۱، وشرح الرضي الكافية ۱۰۹/۱ – ۲۵۷، ۲۵۷.

⁽٢) إعمال " لا "النافية عمل " ليس " ليس له سند حاسم عن العرب . قال الرضى فى شرحه الكافية ١١٢/١ " والظاهر أنه لا يعمل " لا " عمل " ليس " لا شاذا ولا قياسا ولم يوجد فى كلامهم خبر " لا " منصوبا كخبر " ما " و " ليس " ، وهى فى نحو " لا براح " ، و " لا مستصر خ " الأولى أن يقال هى ... " لا " التبرئة إلا أنه يجوز أن تهمل مكررة نحو "لا حول ولا قوة " ، ويجب ذلك (الإهمال) مع الفصل بين اسمها وبينها ، ومع المعرفة ، ويشذ فى غير ذلك نحو " لابراح " وذلك ضعفها فى العمل " .

فمن نظر إلى " كلهم " على أنها توكيد نصنبها ، ومن نظر إليها على أنها بداية جملة الخبر رفعها .

وأما ليس زيد بجبان ولا بخيل "، "لا بخيلا "فهو قريب من السابق، لأن الذي جر عطف على الظاهر، والذي نصب راعى أن قوله " بجبان "خبر "ليس "حقه النصب، والباء زائدة، فعطف عليها بالنصب رعاية لهذا الاعتبار وهذا كله متعالم لدى النحاة عبروا به وبمثله عما بنفوس العرب.

وأما اعتراض د. أنيس بقولهم "قمت احتراما لك ، وقمت لاحترامك " فهو دليل لنا لا علينا ؛ فلما حُذف الحرف نُصبِ المفعول لأجله ليتميز موقعه الإعرابي ، ولما ذكرت اللام جرت ما بعدها ووضّحت المعنى الموقعي ، وكذلك الأمر في نصب الظرف وجره بفي ، فهي صيغ أسلوبيه ينبغي أن تظل متاحة ، والحجر خطأ وتزيد.

وأخيرا فإن قول أبى على إنه يجوز إسكان حركة الإعراب ، وقراءة أبى عمرو "يأمر كم "ونحوه بإسكان الراء = هو أمر معروف فى اللغة فى إطار التخفيف بإسكان الحركة التى تتوسط عدة حركات متوالية بصرف النظر عن كونها حركة إعراب أو غير حركة إعراب. وذلك يجرى فى داخل اللفظ الواحد إذا توالت فيه حركات مختلفة نحو : عَلْمَ ، وظُرُفَ ، ورَجُلٌ ، وكَبِدٌ ... كل ذلك يمكن أن ينطق بإسكان وسطه ، وكذلك مثل مُنْ تصباً بإسكان الصاد ، وقد يجرى فى كلمتين إذ توالت حركات من آخر الأول وأول الثانى مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَق وَيَصْبُر * بإسكان القاف ، ومثل قو الشاعر .

" فاليوم أشرب غير مستحقب "

بإسكان باء أشرب(۱) . وهذا باب متعالم عند علماء العربية . وليس معناه أن الإعراب لا دلالة له ، لأن الحركات مأخوذة في الحسبان ، والتسكين تخفيف معروف أنه بديل للحركة . وكذلك الأمر في إدغام المتقاربين " والقلائد ذلك " ، "خزائن رحمة ربي " فهما من الإدغام الكبير ، وفيه تخفيف لحركة معروفة أعنى مأخوذة في الحسبان . وهناك من مثل الإدغام الكبير ما لا يكاد يحصى . ولكن كل هذا التخفيف طوارئ مبنية على الأصل تثبته ولا تتفيه . وقد أسلفنا أن القرائن قد توجه إلى المعنى بما يكفى . ولكنها تظل في نطاق التوجيه لا التعيين ، وفي بعض الحالات لا كلها . فإذا خففت الحركات في هذه الحالات فلا يعنى ذلك إمكان التخلي عن الوسيلة الأساسية والعامة لتعيين المعنى .

ويعجبنى هذا الفصل ، ولنلحظ ضيق ابن جنى مثل هذه الشبه التى واجهناها فى هذا الفصل ، ولنلحظ ضيق ابن جنى بضيق أفق موردى هذه الشبه وضعف فهمهم واستيعابهم . قال فى باب(٢) عقده بعنوان " باب فى الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو فى نفسه عن إحكام العلة " : " اعلم أن هذا الموضع هو الذى يتعسف بأكثر من ترى . وذلك أنه لا يعرف أغراض القوم (=يعنى علماء اللغة الآخذين عن العرب) فيرى لذلك أن ما أوردوه من العلة ضعيف واه ساقط غير متعال ."

" وهذا كقولهم: يقول النحويون إن الفاعل رَفْعٌ ، والمفعول به نصب ". وقد ترى الأمر بضد ذلك . ألا ترانا نقول: " ضُرب زيد " فنرفعه وإن كان مفعولا به ، ونقول " إن زيدا قام " فننصبه وإن كان فاعلا ، ونقول: " عجبت من قيام زيد " فنجره وإن كان فاعلا . ونقول أيضنا : قد قال الله عز وجل ﴿ وَمِنْ حَيْثُ

⁽١) ينظر الخصائص ٣٣٨/٢ - ٣٤١ ، وخصائص اللغة العربية د. محمد حسن جبل .

⁽۲) الخصائص ۱۸۶ – ۱۸۵ .

خَرَجْتَ ﴾ فرفع "حيث " وإن كان بعد حرف الخفض . ومثله عندهم في الشناعة قوله عز وجل ﴿ للَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ وما يجرى هذا المجرى " .

وهنا قال ابن جنى فى الرد على موردى هذه الشبه: "ومثل هذا يُتْعِب مع هذه الطائفة ، لاسيما إذا كان السائل [عنه] من يلزم الصبر عليه . ولو بدأ الأمر بإحكام الأصل لسقط عنه هذا الهوس وذا اللغو. ألا ترى أنه لو عرف أن الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلا فى المعنى ، وأن الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم ، وأن الفعل الواجب (= المثبت) وغير الواجب (= المنفى) فى ذلك سواء ، لسقط صداع هذا المضعوف ، وكذلك القول على المفعول أنه إنما يُنصب إذا أُسْنِد الفعل إلى الفاعل فجاء هو فضلة ، وكذلك لو عرف أن الضمة فى نحو حيث وقبل وبعد ليست إعرابا ، وإنما هى بناء " .

وبعد ، فقد واجهنا الإدعاء بعدم أصالة الإعراب في العربية وعدم دلالة الإعراب على المعانى فيها بما فندهما تماما بمعونة الله ، وبهذا وذاك اندحر هذا الهجوم على القرآن والعربية ، وثبت أن الإعراب أصيل فيهما . كما ثبت أنه لا يمكن الاستغناء عن الإعراب إلا إذا كان الكلام يتتاول المعانى الجارية والسطحية التي يمكن أن تغنى فيها الإشارة عن الكلام نفسه . أما عند تتاول المعانى العميقة والمتداخلة والمركبة ، وعند الاحتياج إلى التقديم والتأخير والفصل وما إلى ذلك لأغراض بلاغية أو تعبيرية فإن الإعراب يكون من أهم ما يعين على الوصول إلى المعنى المراد بدقة ووضوح ، وقد عبرنا عن ذلك من قبل أكثر من مرة .

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .



الخاتمسة

- ١ بينا بحول الله وقوته زيف كل الشبه التى بنى عليها ادعاء عدم أصالة الإعراب فى اللغة العربية والقرآن الكريم . فأثبتنا وجود الإعراب فى الساميات القديمة، وفى اللهجات العربية العامية الحديثة، وزيفنا الدعاوى التى بنيت على تشعب قواعد الإعراب: ادعاء عجز الأميين عن مراعاة الإعراب فى كلامهم، وادعاء عجز العرب عن إنشاء النحو ، وادعاء تكلف قواعد الإعراب وتطبيقها فى القرن الهجرى الثانى على النتاج العربى السابق له وعلى القرآن الكريم ، وقدمنا توضيحا لذلك صورة موجزة لنشأة النحو، وصورة كلية تجمع قواعده المتشعبة، لتتبين أصالته فى بيئته العربية، وقرب صورته الإجمالية من الأميين والدارسين .
- ۲ قدمنا شواهد علمية تطبيقية صوتية وخطية تثبت وجود الإعراب في عربية القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) وفي القرآن الكريم منذ أول نزوله،
 بل وفي الشعر الجاهلي قبل نزول القرآن
- ٣ أثبتنا أن هناك علاقة حقيقة بين الإعراب والمعنى بنوعيه . فالمعنى اللغوى يؤثر في الإعراب من أربعة سبل (فنية)(١)، والمعنى التركيبي الذي يريده منشئ الكلام هو الذي يوجه إلى طريقة صياغة التركيب ، ومن ثم إلى الضبط الإعرابي ، كما أن النوع النحوى الذين (يختاره) منشئ الكلام للمفردات المكملة للجملة يوجه إلى تكييفها الإعرابي(٢).

⁽۱) نقصد بالفنية أن تلك السبل تعتمد على المعنى المعجمى البحت - الذى لا دخل لمنشئ الكلام في شحن الكلمة به . والسبل الأربعة مذكورة في فصلة علاقة المعنى اللغوى بالإعراب .

⁽٢) تراجع فصلة علاقة المعنى التركيبي بالإعراب .

وبهذا وذاك يكون الإعراب فرعا للمعنى "كما قيل . ثم يصبح متاحا للمتلقى الذى يعرف المعانى اللغوية أن يتخذ الضبط الإعرابي والتكييف الإعرابي دليلا إلى المعنى الذى أراده منشئ الكلام رجوعا من اللازم إلى الملزوم أو من الأثر إلى المؤثر . كما أثبتنا - بفصل كامل - دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ، وقدمنا لذلك أمثلة كثيرة .

- ك وضح من المعالجة، أن العلامات الإهرابية التي هي أثر مباشر للإسناد والتعدى هي الدليل الأساسي إلى المعنى التركيبي، وذلك باعتراف صاحب نظرية القرائن نفسه، وأن محاولة إغراقها لتكون مجرد قرينة واحدة ضمن نحو سبع قرائن هو تكلف لا أساس له. كذلك ثبت أن التحسس الصوري الأعشى للقرائن مع إغفال المعاني بأنواعها ، ودون الاعتماد الأساسي على الإسناد والتعدية لايوصل إلى المعنى التركيبي. ومن ثم فالعلامات الإعرابية هي الدليل الموثوق به والمسعف إلى المعنى التركيبي .
- يستخلص أيضا مما سبق أنه في حالة الجمل النمطية القريبة والبسيطة يمكن الاستغناء عن علامات الإعراب ودلالاتها(۱). ولكن علينا أن نستحضر أن حالات التعبير والتفاهم القريبين التي يستخدم فيها ذلك النوع من الجمل قد يمكن الاستغناء فيها عن الكلام نفسه . فإن الإنسان يستطيع أن يعبر بالإشارة وحدها عن احتياجه للشرب أو الكل أو إلى قلم ليكتب أو نحو هذا من الأمور المعروفة له ولمن حوله ، كما يستطيع أن يعبر بالإشارات عن القبول أو الرفض أو الدهشة أو التعجب لأمر ما ، وهو من باب أولى يستطيع أن يعبر عن كل ذلك وما ماثله بعبارة تخلو من علامات الإعراب. لكن علينا أن نتذكر أن هذه الأمور القريبة لا تمثل خصيصة الإنسان

⁽١) سبق إلى التنويه بهذه الإمكانية الإمام أبو القاسم الزجاجي ينظر الإيضاح ٩٦ .

ورسالته على الأرض. إن خصيصة الإنسان هي الفكر الذي لا تتناهي مجالاته وسبحاته . وبهذا الفكر تناط عمارة الأرض بكل أبعاد معنى العمارة مادية ومعنوية . والحضارات والتقافات والإنجازات العلمية من أدنى مستوياتها إلى أعلاها هي نتاج هذا الفكر . والأداة التي فطرت في الإنسان لقولبة المعانى الجزئية ، وإجراء الفكر إلى أعلى مستويات التجريد والتركيب والتعقيد هي اللغة بصور أساليبها التي لا تتناهى ؛ ومن ثم فلابد أن تظل الأساليب اللغوية للتعبير عن الفكر بكل صورها المنتجة متاحة -مهما كانت متداخلة أو مركبة . والضوابط الإعرابية معوان عظيم علي، بقاء هذه الأساليب متاحة ؛ لأن هذه الضوابط تتيح التعبير الدقيق عن المعانى وتكبيفها مهما دقت الفروق بينها - كما رأينا في الأمثلة التي عرضناها للمفاعيل وما إليها ، وكما رأينا أن الضوابط الإعرابية تتيح تحريك عناصر الجملة. تقديما وتأخير ا(١) ، وتتيح الفصل والحذف أحيانا، اعتمادا على ذكاء المتلقى وقدرته على استشفاف المراد (وتقدير) المحذوف تهديا بالإعراب واستدلالا به - وذلك بالإضافة إلى " سنن " استنها العرب في التعبير ، وفصل العلماء(٢) ضوابطها . كالتضمين والاتساع والحمل عى المعنى (٦) ... وهذه فيها تيسيرات توازن ما يستثقله مهاجمو الإعراب. وهذا كله يحقق أغراضا في التعبير عن المعانى . فيحق للإنسان أن يحافظ على تلك الضوابط والسنن حفاظه على خصيصة الفكر بمستوياتها التي تميزه عن الحيوان.

⁽١) وأيضا سبق إلى هذا ينظر كتابنا هذا ص ١١٥ - ١١٦ .

⁽۱) ينظر في سنن العربية - الصاحبي لابن فارس ٢٨٩ - ٢٦٤ بانتقاد ، واقتبس الثعالبي شطر ا منها في فقه اللغة وسر العربية .

⁽۲) عن هذه الثلاثة ينظر الأشباه والنظائر للسيوطى (تحد. مكرم) الاتساع ٢٩/١ ، نتضمين ٢٤١/١ . الحمل على المعنى ١٠٢/٢ .

٦ - ينبغى أن تبرز هنا بعض الحدود:

أ - ليس من حق أحد أن يحجر على مستعمل اللغة ليلتزم بالأساليب القريبة والجزئية ، أو ليتجنب الأساليب المركبة أو المترابطة ، أو ليهجر سنن التعبير التي يتيحها وجود الإعراب في اللغة . كما أنه ليس من حق أحد أن يهوِّن من شأن وسيلة اتخذتها أمة- منذ أقدم ما عرف من تاريخها اللغوى، ولنحو عشرين قرنا- لتسعف مستعمل اللغة بدليل للعلاقات بين عناصر جملها وللمعاني التركيبية ، دون أن يضيع الوقت والجهد في تــأمل يصل به إلى تلك العناصر . أما الذين يرون بعض صور تلك الوسيلة (الإعراب) تعقيدا يُتْقِلها فمن حقهم أن يلتمسوا سبيلا إلى تيسير تلك الصور، بل إنه من واجب من له أهلية وكفايـة للاجتهـاد في هـذا التيسـير ألايضن به . ومثل هذا الذي له الأهلية والكفاية يعلم يقينا أن التيسير إنما يقوم على فقه كامل للقواعد ، ثم فطنة ودقة يمكن بهما التخلص من بعض الخلافات والصور الشاذة والنادرة ، ومن تفسير الصورة الواحدة في أكثر من باب دون مقابل في المعنى ، كما يمكن بهما اعتماد الوجه الذي يفسر أكثر من صورة . ومع الإخلاص في الجهد والقصد يكون التوفيق .

٧ - وأخيرا فإنه ليس من حق أحد أن يحتج على أهل لغة بخصائص لغة أخرى ، فإن لكل لغة تاريخها وظروفها وبناءها المتكامل الذى لا يقوم على سوائه إذا اختلجت بعض خصائصها(١).

ولله الحمد والمنة

⁽۱) سبق إلى التنبيه إلى هذه العلامة على الجندى ناصف (من قضايا اللغة والنصو) ص١١٣،٩٠٠ .

ثبت المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (تصوير / عالم الكتب بيروت. و /
 تح. محمد أبي الفضل .
- ۳- أخبار النحويين البصريين للسيرافي / تحدد. محمد إبراهيم البنا / دار
 الاعتصام .
- 3- الأشباه والنظائر للسيوطى / تصحيح طه عبد الرعوف سعد / تصوير دار الكتب العلمية ببيروت .
- ٥- الأصول في النحو لابن السراج/ تد عبد الحسين الفتلي/ مؤسسة الرسالة.
 - ٦- أضواء على الدراسات اللغوية د. نايف خرما .
 - ٧- الأعلام للزركلي / دار العلم للملايين .
 - ٨- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني / مركز تحقيق التراث .
- 9- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى / تحـ محمد أبى الفضل / دار الفكر العربى .
- ١٠- أنوار التنزيل (تفسير) البيضاوي (مع حاشية الشيخ زاده) دار صادر .
 - ١١- أو ج التحرى ليوسف البديعي .
- ١٢- الإيضاح في علل النحو للزجاجي / تحد. مازن المبارك / دار النفائس .
 - ١٣- البحر المحيط (تفسير) أبي حيان الأندلسي دار الفكر .
- ۱٤- البسيط (شرح جمل الزجاجي) لابن أبي الربيع / تحدد. عياد الثبيتي / دار الغرب الإسلامي .
 - ١٥- بغية الوعاة للسيوطي / تد محمد أبي الفضل / دار الفكر .
 - ١٦- البيان والتبيين للجاحظ / تد عبد السلام محمد هارون / مكتبة الخانجي .
 - ١٧ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تد السيد صقر/دار التراث القاهرة.
 - 🗥 🗀 تاج العروس (شرح القاموس) للزبيدي (تصوير) دار مكتبة الحياة 🕟

- ١٩ تاريخ بغداد .
- ٢- تاريخ الأدب العربى د. كارل بروكلمان ترجمة د. عبد الحليم النجار و د. رمضان عبد التواب ود. يعقوب بكر / دار المعارف .
- ۲۱ تاریخ التراث العربی . فؤاد سزکین ترجمة د. محمود فهمی حجازی و د.
 عرفه مصطفی و آخرین جامعة محمد بن سعود.
- ۲۲ تاریخ العلماء النحویین لأبی المحاسن التنوخی / تحد د. عبد القادر الحلو / جامعة محمد بن سعود .
- ٢٣ تاريخ اللغات السامية . إسرائيل ويلفنسون لجنة التأليف والترجمة والنشر / مطبعة الاعتماد .
- ۲۲- التبصرة والتذكرة للصيمرى / تحد. فتحى على الدين / مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى .
 - ٢٥- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدى.
- ٢٦- التطور النحوى للغة العربية برجشتراسر ترجمة وتصحيح وتعليق/ د.
 رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي ودار الرفاعي.
 - ٢٧- تفسير القرآن العظيم ابن كثير .
- ۲۸ التمهید فی أصول الفقه للكلوذانی / تحد. مفید محمد أبو عمشة / مركز البحث العلمی بجامعة أم القرئ .
 - ٢٩- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني / حيدر أباد .
- -٣٠ الجامع لأحكام القرآن (تفسير) القرطبي / دار الكاتب العربي (عن طبعة دار الكتب) .
- -71 جامع البيان (تفسير) الطبرى/ تح السيدين أحمد ومحمود محمد شاكر/ دار المعارف .
 - ٣٢ حولية كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة ٢ سنة ١٤٠٤ –١٩٨٤.
 - ٣٣- الخصائص لابن جنى / تح الشيخ محمد على النجار / دار الكتاب العربي.

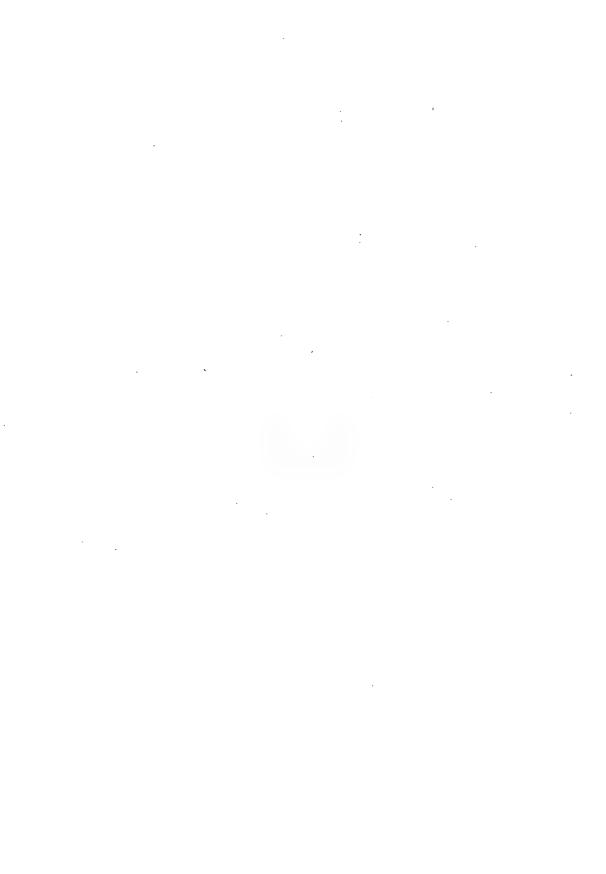
- ٣٤- خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق د. محمد حسن حسن جبل / دار الفكر القاهرة .
 - ٣٥- در اسات في فقه اللغة/ محمد الأنطاكي ط٤/ دار الشروق العربي .
 - ٣٦- در اسات المستشر قين حول صحة الشعر الجاهلي د. عبد الرحمن بدوي .
 - ٣٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي .دار الفكر بالقاهرة.
 - ٣٨ ديو ان امر ئ القيس .
 - ٣٩- ديوان عبيد / تحد. حسين نصار / مصطفى البابي الحلبي .
 - ٤٠ ديو ان النابغة / تد محمد أبي الفضل .
- ٤١ الرد على النحاة لابن مضاء/ تحد. محمد إبر أهيم البنا / دار الاعتصام .
- ٢٢- السيرة النبوية لابن هشام / تح مصطفى السقا وصاحبه / مصطفى الحلبي
 - ٤٣- شرح ابن يعش لمفصل الزمخشري / عالم الكتب.
- 23- شرح الرضى شافية ابن المنجب تحد / محمد محيى الدين وصاحبيه/ مصطفى الحلبي .
- ٥٥- شرح كتاب سيبويه للسيرافي تحدد. رمضان عبد التواب وصاحبيه / الهيئة المصرية العامة للكتاب .
 - ٤٦- شرح ما فيه التصحيف والتحريف.
 - ٤٧- شواذ القراءات لأبي عبد الله الكرماني (مخطوط).
 - ٤٨- الصاحبي لابن فارس تد السيد صقر / عيسي البابي الحلبي .
 - ٤٩ صحيح البخاري (كتاب الشعب) .
- ٥- طبقات فحول الشعراء لابن سلام / تد الشيخ محمود شاكر / دار المدنى بحدة .
- ٥١ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحـ محمد أبي الفضل ، دار المعارف .
 - ٥٢- العربية ليوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجار/ مكتبة الخانجي.
 - ٥٣- العربية معناها ومبناها د. تمام سان .

- 05- العقد الفريد لابن عبد ربه تحد. الترحيني .
- ٥٥- فتح البارى لابن حجر العسقلاني / الحلبي .
 - ٥٦- الفتوحات الإلهية (تفسير) الجمل.
- ٥٧- فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ٥٨ فقه اللغات السامية كارل بروكلمان ترجمة د. رمضان عبد التواب / جامعة الرباض .
 - 09- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي تحـ مصطفى السقا وآخرين.
 - ٦- فهارس كتاب سيبويه للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة/ دار الحديث.
 - 71- الفهرست لابن النديم.
 - ٦٢- في الأدب الجاهي د. طه حسين .
 - ٦٣- في الشعر الجاهلي د. طه حسين .
 - ٦٤- قراءات الصحابة د. الموافي الرفاعي البيلي (مخطوط).
 - -٦٥ الكتاب لسيبويه تح عبد السلام محمد هارون / دار المعارف .
 - 77- الكشاف (تفسير) الزمخشري / دار المعرفة بيروت.
 - ٦٧- مجلة العرب ١٣٩٥ ١٣٩٦ ه.
 - ٦٨- مجلة المجلة الأعداد من ١٤٨ إبريل سنة ١٩٦٩م -١٩٧٠م.
 - ٦٩- مجلة المعرفة جـ ١٠ فبراير ١٩٣٣ .
 - ٧٠- محاكمة فكر طه حسين أنور الجندى .
 - ٧١- المحتسب لابن جنى تح محمد على النجار .
 - ٧٢- المحرر الوجيز (تفسير) ابن عطية تد الرحالي الفاروق وأصحابه (قطر).
 - ٧٣- المحكم في نقط المصاحف للدائي تحد. عزة حسن / دار الفكر دمشق.
 - ٧٤- مختصر شواذ القراءات لابن خالويه .
 - ٧٥- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوى تح محمد أبي الفضل / نهضة مصر.

- ٧٦- المزهر في علوم اللغة للسيوطي تحد محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه /
 تصوير المكتبة العصرية .
 - ٧٧ المصاحف لابن أبى داود / دار الكتب العلمية بيروت .
 - ٧٨- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية د. ناصر الدين الأسد.
 - ٧٩- معجم الأدباء لياقوت / دار الفكر .
 - ٨- معجم البلدان لياقوت .
 - ٨١- المعجم المفهرس لألفاظ القر أن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٨٢- مغنى اللبيب لابن هشام / تح محمد محيى الدين عبد الحميد / دار الفكر .
 - ٨٣- مفاتيح الغيب (تفسير) الرازي / دار الغد العربي .
 - ٨٤- المقتصد (شرح) عبد القاهر إيضاح أبي على الفارسي .
- ٥٥- المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني / تحد محمد الصادق قمحاوي / مكتبة الكليات الأز هرية .
 - ٨٦- من أسرار العربية د. إبر اهيم أنيس ط٦ مكتبة الأنجلو المصرية.
 - ٨٧- من قضايا اللغة والنحو للعلامة على النجدى ناصف .
 - ٨٨- الموشح للمرزباني .
 - ٨٩- المنطق الوضعي د. زكي نجيب محمود .
 - ٩٠- نحو وعي لغوى د. مازن المبارك .
- 91- نزهة الألباء لأبى البركات بن الأنبارى تحد. إبراهيم السامرائى / مكتبة المنار / الأردن .
 - ٩٢ نقد الاستغراب في الدراسات اللغوية / د. محمد حسن حسن جبل .
- 97- همع الهوامع للسيوطى (تصحيح) محمد بدر النعساني / مكتبة الكليات الأزهرية .
 - ٩٤ وفيات الأعيان لابن خلكان / تد محمد محيى الدين عبد الحميد .



فلرس



ثبت المتويات (الفهرس)

الصفد	الموضـــوع
0	مقدمة الطبعة الثانية
٧	التقديـــم
11	القسم الأول: الإدعاءات وأدلتها
١٣	أولا: الإدعاءات
۲.	ثانياً: أدلة جاحدي أصالة الإعراب ودلالته على المعانى
	القسم الثانى : مناقشة نظرية للإدعاءات
40	تُم إثبات أصالة الإعراب ودلالته على المعانى إثباتاً علمياً
7 V	الباب الأول : الرد على إدعاء فقدان الآثار القديمة والحديثة للإعراب
79	الفصل الأول: الرد على ادعاء خلو اللغات السامية من الإعراب
•	الفصل الثاني: مناقشة الاستدلال بخلو اللهجات العامية الحديثة من
٣٧	الأعراب على أن الإعراب لم يكن في أي وقت .
٤١	الباب الثاني: مناقشة الدعاوي التي أسست على تشعب قواعد الإعراب ودقتها
•	الفصل الأول: الأميور يتعاملون باللغة فطرياً وتلقائياً دون إحساس
٤٣	بشعب
•	الفصل الثانسي : القول بقصور عقليات العرب
: £٦	= عنصرية مبنية على نظر فاسد
• •	الفصل الثالث : تكلف القواعد ثم تطبيقها على العربية
٤٩	= بناء على مستحيلات
• •	الفصل الرابع : الرد على إدعاء تطبيق القواعد الإعرابية على القرآن
	الكريم بعد التوصيل إليها في أواخر القرن الثاني
٥١	الهجرى .

الفصل الخاسن : نشأ النحو وهو علم قواعد الإعراب الفصل السادس : التشعب تشقيق علمي وراءه قواعد كلية محدودة الباب الثالث : شواهد تطبيقية واقعية لأصالـة الإعراب ووجـوده في القرآن الكريم منذ أول نزوله وفي عربية القرن السابع الميلادي وما قبله المفصل الأول : شواهد صوتية لوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ١٧ الفصل الثاني : شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث : إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ١٢٥ الفصل الثاني : شواهد خطية المعنى : اللغوي والتركيبي المعاني ١٢٥ الفصل الثانب : علاقة المعنى : اللغوي والتركيبي الإعراب الموابد على المعاني الفصل الثانب : علاقة المعنى التوي بالإعراب الموابد وعلماته الفصل الثانب : علاقة المعنى التوران عن الترام الإعراب وعلماته الفصل الماسدس : هل تغنى القرائن عن الترام الإعراب وعلماته المعاني الفصل المعاني المعاني المعاني المعاني المعاني المعاني المعاني المعاني المعاني الفصل المعاني المعاني المعاني المعاني المعاني الفصل المعاني	الصفحة	Fried W	18 ₂₁ 18	الموضيوع
الباب الثالث: شواهد تطبيقية واقعية لأصالة الإعراب ووجوده في القرآن الكريم منذ أول نزوله وفي عربية القرن السابع الميلادي وما قبله الفصل الأول: شواهد صوتية لوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ١٧ القصل الثاني: شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاني اللغوي والتركيبي المعاني ١٢٥ الفصل الثالث: علاقة المعنى: اللغوي والتركيبي بالإعراب الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب ١٢٥ الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب ١٢٩ الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم ١٥٩ الفصل الماسدس: هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل المعاني المعاني القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل المعانس: المعطيات أخرى للإعراب الغامس: الحق والرجال النحاة المتقدمين ولالة الإعراب على المعاني المعاني النحاة المتقدمين ولالإعراب الخامس: الخامس: الحق والرجال	٥٧	علم قواعد الإعراب	امث : نشأ النحو وهو :	الفصل الذ
الباب الثالث: شواهد تطبيقية واقعية لأصالة الإعراب ووجوده في القرآن الكريم منذ أول نزوله وفي عربية القرن السابع الميلادي وما قبله الفصل الأول: شواهد صوتية لوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ١٧ القصل الثاني: شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاني اللغوي والتركيبي المعاني ١٢٥ الفصل الثالث: علاقة المعنى: اللغوي والتركيبي بالإعراب الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب ١٢٥ الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب ١٢٩ الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم ١٥٩ الفصل الماسدس: هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل المعاني المعاني القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل المعانس: المعطيات أخرى للإعراب الغامس: الحق والرجال النحاة المتقدمين ولالة الإعراب على المعاني المعاني النحاة المتقدمين ولالإعراب الخامس: الخامس: الحق والرجال	٦٣	علمى وراءه قواعد كلية محدودة	ادس : التشعب تشقيق -	القصل الس
القرآن الكريم منذ أول نزوله وفي عربية القرن السابع الميلادي وما قبله الفصل الأول: شواهد صوتية لوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ١٧ الفصل الثاني: شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ١٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاتي الفصل الثاني: علقة المعنى: اللغوي والتركيبي الإعراب المهالي ١٢٥ الفصل الثاني: علاقة المعنى المعاتي الفصل الثانية على المعاتي المعاتي الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم ١٩٩ الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم ١٩٩ الفصل الماسية على القرائن عن الترام الإعراب وعلماته ١٧١ الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الفصل الماسة والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمة المرابع الناء الماس : الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمة من دلالة الإعراب على الفصل الفاصل الأول: النحاة المتقدمة من دلالة الإعراب الماس المالة المتقدمة المتقدمة المالة الإعراب الغالم المالة المتقدمة المتقدمة المناء المالة الإعراب الخامس المعالية المتقدمة المناء المالة الإعراب المالة الأول النحاة المتقدمة معربيات المالة الإعراب المالة الأول النحاة المتقدمة من دلالة الإعراب المالة الأول المالة المتقدمة المناء المالة الأول المالة	 ف ی	عية لأصائمة الإعراب ووجموده	تْ : شواهد تطبيقية واقا	الباب الثالد
الفصل الأول: شواهد صوتية لوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ١٧ القصل الثاني: شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاني النفصل الأول: نوعا المعنى: اللغوي والتركيبي النفصل الأول: نوعا المعنى المعوني بالإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى المعنى بالإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب ١٢٥ الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ١٢٥ الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ١٩٥ الفصل المادس: هل تعنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الخامس: الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمة ١٨٥ النعال المنادس: الحق والرجال				
الفصل الأول: شواهد صوتية لوجود الإعراب في القرآن الكريم في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) (١٠ الفصل الثاني: شواهد خطية لوجود الإعراب في القرآن الكريم منذ الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاني والتركيبي الفصل الأول: نوعا المعنى: اللغوى والتركيبي ١٢٥ الفصل الثانب، علاقة المعنى السعوى بالإعراب ١٢٩ الفصل الثانب، علاقة المعنى السعوى بالإعراب ١٢٩ الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم ١٩٥ الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعاني في القرآن الكريم ١٩٥ الفصل المعانس: هل تعنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الفامس: الحق والرجال الباب الخامس: الحق والرجال الفصل الأول: النجاة المتقدمون ولالة الاعراب على المعاني المعا	79		الميلادى وما قبله	•
القصل الثانى: شواهد خطية لوجود الإعراب فى القرآن الكريم منذ الفصل الثانى: شواهد خطية لوجود الإعراب فى القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب فى الشعر الجاهلى ٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعانى الفصل الثول : نوعا المعنى: اللغوى والتركيبي الفصل الثانب : علاقة المعنى المعوى بالإعراب الفصل الثانب : علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثانب : علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثانب عدلالة الإعراب على المعانى فى القرآن الكريم ١٩٥ الفصل الخامس : هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته الإعراب الفصل السادس : معطيات أخرى للإعراب الفصل المادس : المحق والرجال الفصل الأول : النحاة الماتقدمون و ١٩٥ النات الماد الله النات الفصل الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ النات الماد الفصل الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ النعراب الفصل الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ الماد الماد الماد الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ الماد الماد الماد الماد الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ الماد الماد الماد الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ الماد الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ الماد الماد الماد الأول : النحاة الماتقدمون و ١٨٥ الماد الما	ف ، ،	ود الإعراب في القرآن الكريم ا	ل : شــواهد صـوتيــة لوج	الفصل الأوا
الفصل الثانى: شواهد خطية لوجود الإعراب فى القرآن الكريم منذ نزوله الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب فى الشعر الجاهلى ٩٩ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعانى النفصل الأول : نوعا المعنى: اللغوى والتركيبي الفصل الثانب: علاقة المعنى اللغوى والتركيبي الإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب المعانى الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم الاسادس : هل تغنى القرائن عن إلترام الإعراب وعلاماته الفصل السادس : معطيات أخرى للإعراب الغامس : الحق والرجال الناب الخامس : الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمة الإعراب على المعانى عالم المعانى الناب الخامس : الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمة الإعراب على المعانى عالم المعانى الأول: النحاة المتقدمة الإعراب على المعانى الأول: النحاة المتقدمة المعانى الأول: النحاة المتقدمة الإعراب على المعانى الأول: النحاة المتقدمة المعانى الأول: النحاة المتقدمة المعانى الأول: النحال المتقدمة المعانى الأول: النحاة المتقدمة المعانى الأول: النحاء المتقدمة المعانى الأول: النحاة المتقدمة المعانى المعانى الأول: النحاة المتقدمة المعانى ا		ى (السابع الميلادي)	القرن الأول الهجر	
الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاني الفصل الأول: نوعا المعنى: اللغوى والتركيبي الفصل الأول: نوعا المعنى اللغوى والتركيبي الفصل الثانب، علاقة المعنى اللغوى بالإعراب الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم المعانى الفصل الخامس: هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الغامس: الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمون والمراك المعانى المعانى الأول: النحاة المتقدمون والمرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمون والمراك النحاء المتقدمون والمرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمون والمراك المعانية الم	نند	ود الإعراب في القرآن الكربــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	ى: شواهد خطية لوج	الفصل الثانم
الفصل الثالث: إثبات وجود الإعراب في الشعر الجاهلي ١٩٥ الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاتى الفصل الأول: نوعا المعنى: اللغوى والتركيبي الفصل الثانب: علاقة المعنى المعوى بالإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب ١٣٩ الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ١٥٩ الفصل الخامس: هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الفصل المادش: معطيات أخرى للإعراب الفامس: الحق والرجال ١٩٧ الفصل الأول: النحاة المتقدمة الإعراب المتعارب الأول: النحاة المتقدمة الإعراب المتعاربة المتعار				
الباب الرابع: دلالة الإعراب على المعاتى الفصل الأول: نوعا المعنى: اللغوى والتركيبي الفصل الثانب: علاقة المعنى اللغوى بالإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم الفصل الخامس: هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الباب الخامس: الحق والرجال		ب في الشعر الجاهلي	تْ : إثباتِ وجود الإعراب	القصل الثالن
الفصل الأول : نوعا المعنى : اللغوى والتركيبي الفصل الثانب : علاقة المعنى اللغوى والتركيبي الإعراب الفصل الثانب : علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثانب : علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم الفصل الخامس : هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته الفصل السادس : معطيات أخرى للإعراب الفصل السادس : معطيات أخرى للإعراب الخامس : الحق والرجال الفصل الأول : النجاة المتقدمين والرجال الفصل الأول : النجاة المتقدمين والرجال الفصل الأول : النجاة المتقدمين والراب الفصل الأول : النجاة المتقدمين والرجال الفصل الأول : النجاة المتقدمين والرجال الفصل الأول : النجاة المتقدمين والراب الفصل الأول : النجاة المتقدمين والرجال المتعرب المتعرب المتعرب الأول المتقدمين والرجال المتعرب المتعرب المتعرب المتعرب الأول المتعرب ال			الإعراب على المعاتى	الباب الرابع: دلال
الفصل الثانب: علاقة المعنى اللعوى بالإعراب الفصل الثانب: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثانب : علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ١٥٩ الفصل الخامس : هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل السادس : معطيات أخرى للإعراب الخامس : الحق والرجال الباب الخامس : الحق والرجال الفصل الأول : النجاة المتقدمين ودلالة الإعراب المتابية المتقدمين ودلالة الإعراب الفصل الأول : النجاة المتقدمين ودلالة الإعراب على المتابية المتقدمين ودلالة الإعراب على المتابية المتقدمين ودلالة الإعراب على المتابية المتقدمين ودلالة الإعراب على المتابية الإعراب المتابية المتقدمين ودلالة الإعراب على المتابية المت	, , ,	ی والترکیبی	: نوعا المعنى : اللغو	القصن الأول
الفصل الثالث: علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الثالث : علاقة المعنى التركيبي بالإعراب الفصل الرابع : دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ١٥٩ الفصل الخامس : هل تعنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته الفصل السادس : معطيات أخرى للإعراب الخامس : الحق والرجال الفصل الأول : النحاة المتقدمين والرجال الفصل الأول : النحاة المتقدمين والرائم الاعراب على الماليات المتقدمين والرجال الفصل الأول : النحاة المتقدمين والرائم الاعراب على الماليات المتقدمين والرجال الفصل الأول : النحاة المتقدمين والرائم الاعراب على الماليات المتقدمين والرجال المناس الأول : النحاة المتقدمين والرائم الاعراب على الماليات المتقدمين والرائم الاعراب على الماليات المتقدمين والرائم الاعراب على الماليات المتقدمين والمتقدمين والمتقدمين والمتعرب الماليات المتعرب الماليات الماليات المتعرب الماليات الما				
الفصل الرابع: دلالة الإعراب على المعانى في القرآن الكريم ١٥٩ الفصل الخامس: هل تعنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته ١٧١ الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الخامس: الحق والرجال الخامس: الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمين ودلالة الاعراب على الله الله الله الله الله الله الله ال		يبى بالإعراب	ت : علاقة المعنى الترك	الفصل الثال
الفصل الخامس: هل تغنى القرائن عن إلتزام الإعراب وعلاماته الما الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الفصل السادس: الحق والرجال الباب الخامس: الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمون والاعراب على الله الله الله الله الله الله الله ال				
الفصل السادس: معطيات أخرى للإعراب الخامس: الحق والرجال ١٩٧ الفصل الأول: النحاة المتقدمون والاام الاعراب عامل الأول: النحاة المتقدمون والاام الاعراب عامل الأول: النحاء المتقدمون والاام الاعراب عامل الأول: النحاء المتقدمون والاام الاعراب عامل الأول: النحاء المتقدمون والاام الاعراب عامل الأول النحاء المتقدمون والاام الاعراب عامل الأول النحاء المتقدمون والاام المتعارب المت		من التزام الإعراب وعلاماته	س : هل تغنى القرائن ء	الفصل الخام
الباب الخامس: الحق والرجال الفصل الأول: النحاة المتقدمون ورااة الاصلام الله الله الله الله الله الله الله ا				
الفصل الأول: النحاة المتقدمون ورالاة الأمراب على ال		4	ق والرجال	الباب الخامس: الد
	199	ة الإغراب على المعاني	: النحاة المتقدمون ودلالا	الفصل الأول
الفصل الثاني : قطرب صاحب الدعوى الأول		ى الأول	: قطرب صاحب الدعو	الفصل الثانى
القصل الثالث: تفسير شبه قطرب				
الخاتمـة				الخاتمية

تصسويب أخطساء

الصـــواب	الخطأ	الســـطر	الصفحة
سيجريد هونكه	سيمريد هونكه	الأخير/ هامش	٤٨
فالإعراب بالحروف	الإعراب بالحروف	18	0 8
الخطاب الأخفش	الخطاب الأخفس	۲۲ هامش	٦.
وإحصاء الجمل من كتاب	والجمل من كتاب	۲۱ هامش	71

حقوق الطبع محفوظة رقم الإيداع ٣١١٥ / ٢٠٠٠

البربرش للطباعة الحديثة بسيون-غربية ت: ٢٧٤٢٣٧٥